ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين

غزوات علي بن أبي طالب عليه السلام

أو

أشعة الأنوار في فضائل حيدر الكرار

تأليف

العلامة البارع الأستاذ الهمام
الشيخ جعفر النقدي (ره)

مطبوعات دار الأندلس
بيروت لبنان / النجف الأشرف

غـزوات

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

عني بنشره
الحاج مسلم الحاج حميد الدجيلي
مطبوعات دار الأندلس
النجف الأشرف
بيروت - لبنان

غـزوات

أميـر المؤمنين علي بن أبي طـالب (ع)

أو

أشعة الأنوار في فضل

حيـدر الكـرار

تـــأليف

العلامة البارع الأستاذ الهمام

الشيخ جعفر نقدي «ره»

مطبوعات دار الأندلس

النجف الأشرف

بيروت ـ لبنان



الشيخ جعفر النقدي

١٣٠٣ - ١٣٧٠

جعفر ابن الحاج محمد بن عبدالله بن محمدتقي بن الحسن بن الحسين بن علي النـقدي الربعى النوازي النجفي.

ولد بمدينة العمارة عام ١٣٠٣ هـ و نشأ بها على أبيه الذي كان من أربـاب الثـراء وذوي اليسار والأحسان، فعنى بتربيته وغذاه بروحه فكان مثالاً للأخلاق العالية والأتزان المحبوب ولع بالعلم وما أن احسن أبوه بولعه هذا حتى هيّأ له الأسباب التي توصله إلى بغيته فهاجر إلى النجف مهد العلم ومنتدىٰ الأدب فأنصرف المترجم له إلىٰ تحصيل العلم والاختلاف علـى أربابه، ولمْ يمضِ زمان إلّا وقد أصبح مرموقاً من جميع إخوانه الذين تسابقوا على الفضيلة واختص أخيراً بالحضور في الفقه بالسيد محمد كاظم اليزدي المتوفى ١٣٣٧ هـ فانتهل مـن نميره العذب، وفي الأصول بالشيخ ملاكاظم الخراساني المتوفى ١٣٣١ هـ وبالهيئة والحساب وباقي الفنون على الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني وما وجد قومه فيه الدليـل الهـادي والمرشد الموجه حتى وفد فريق منهم إلى النجف لاستقدامه إلى مسقط رأسه وجرى ذلك عام وفاة والده المرحوم سنة ١٣٣٢ هـ. والذي ساعده على رجوعه استاذه ومـربيه العـلّامة اليزدي بعد أن عززه بالشهادات الناطقة بفضله والمعربة عن تفوقه وبنبوغه. وتولىٰ القـضاء الشرعي وبقى يتنقل فيه. إلى أن توفى سنة (١٣٧٠).

اشتغل بالتأليف والنشر وانجز كثيراً من الكتب المهمة ومن اثناء بقائه في العمارة اغتنم وجوده الزعيم الديني المرحوم السيد ابوالحسن فبعث له بوكالة عامة ينوب بها عنه في ذلك القطر وكمرجع تحل من قبله المشاكل الدينية. وذكره السماوي في الطليعة ج١ ص٦١ [فاضل مشارك في جملة من العلوم وأديب حسن المنثور والمنظوم ولد في العمارة وسمت به همته الى التحصيل في النجف وكان ابوه من ذوي اليسار ومحبي العلم فوافقه على ذلك وسكن معه النجف فجد بهمة سامية وفهم مستقيم: وصنف في علوم آلية ودينية وله نظم حسن].

مؤلفاته:

١ - أباة الضيم في الإسلام (بغداد)

٢ - الإسلام والمرأة (ط ١: بغداد ١٣٤٨، ط ٢: النجف ١٣٧٤)

٣ ـ الانوار العلوية والاسرار المرتضوية في أحوال اميرالمؤمنين وفضائله ومناقبه وغزواته (١٩٦٢ النجف الحيدرية)

٤ ـ وسيلة النجاة في شرح الباقيات الصالحات (العمارة)

٥ ـ تأريخ الامامين الكاظمين عليهما السلام (بغداد ١٩٥٠)

٦ ـ تدابير المنازل أو السياسات الاهلية : لابن سينا (بغداد ١٩٢٩)

٧ ـ تنزيه الإسلام (العمارة ١٩٤١)

٨ ـ الحجاب والسفور (بغداد ١٣٤٨ هـ)

٩ ـ الدروس الأخلاقيّة (النجف ط ١ : ١٩٣٨، ط ٢ : ١٣٧٤)

١٠ ـ ذخائر القيامة في النبوة والامامة

١١ ـ زهرة الادباء في شرح لامية شيخ البطحاء (النجف ١٣٥٦)

١٢ ـ زينب الكبرى بنت الامام علي عليه السلام (النجف ط ١ : الحيدرية ١٩٤٧، ط ٢ : ١٩٦٠ المطبعة الحيدرية)

١٣ ـ السياسات الأهلية : لابن سينا (ط بغداد)

١٤ ـ ضبط التأريخ بالاحرف: في قواعد انشاء التأريخ بحروف الجمل (صيدا ١٩٤٧)

١٥ ـ غرة الغرر في أحوال الائمة الاثنى عشر عليهم السلام

١٦ ـ غزوات أميرالمؤمنين على بن ابي طالب ٧ أو الأنوار في فضل حيدر الكرار (النجف الحيدرية ط ١ : ١٩٦١، ط ٢ : ١٩٦٥)

١٧ ـ فاطمة بنت الحسين عليه السلام (النجف الحيدرية ١٩٦٤)

١٨ ـ فضل مسجد السهلة والكوفة

١٩ ـ منظومة عقد الدرر: في علم الحساب (طهران ١٣٢٢ هـ)

٢٠ ـ منن الرحمن في شرح قصيدة الفوز والامان في مدح صاحب العصر والزمان (١ ـ ٢) النجف الحيدرية ١٣٤٤ ـ ١٣٤٥ هـ

٢١ ـ مواهب الواهب في إيمان أبي طالب (النجف الحيدرية)

٢٢ ـ المولد النبوي الشريف (النجف الحيدرية ط ٢ : ١٣٦٨)

٢٣ ـ نزهة المحبين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام واشعة الانوار في فضل حيدر الكرار (النجف الحيدرية ط ١ : ١٩٥٠، ط ٢ : ١٩٦١)

٢٤ ـ نماذج من شعر جعفر النقدي (نشرها علي الخاقاني «شعراء الغري» جلد ٢ (النجف الحيدرية ١٩٥٤ م) ص٧٦ ـ ١٠٧

٢٥ ـ نور الانوار في الأدعية والعوذة والاحراز والاذكار (النجف ١٣٥٣)

٢٦ ـ الروض النضير في شعراء وعلماء القرن المتأخر والأخير

٢٧ ـ الحسام المصقول في نصرة ابن عم الرسول في الكلام

وله مقالات كثيرة نشر اكثرها في الجرائد والمجلات العراقية والمصرية والسورية منها (العرفان) و(المرشد) و(التهذيب) و(الفضيلة) و(الاستقلال) و(النور) و(الهدى) و(بغداد) و(الاعتدال) و(النجف).

وفاته

توفي ﷺ في اليوم التاسع من شهر المحرم عام ١٣٧٠ هـ في الكاظمية وفي حسينية آل ياسين حيث كان يستمع ذكرى واقعة الطف ضحى النهار وما أن توغل الخطيب في وصف مصرع السبط الشهيد إلّا واستعبر المترجم له ثمّ بكى بكاءاً قوياً واستمر في بكائه حتى لم يشعر لناس إلّا وقد اغمى عليه فحركوه وإذا به قد فارق الحياة الدنيا فارتجت الكاظمية لفقده وشيع تشييعاً حاراً من قبل أهالي المدينة إلى النجف حيث دفن يوم العاشر من المحرم في الصحن الحيدري بين مرقدي الامام اليزدي والسيد الداماد.

وكان سبقه العلامة الشيخ محمد السماوي إلى دار البقاء في ثاني المحرم فأرخ وفاتهما السيد محمد صادق آل بحر العلوم بقوله:

قد دهىٰ الكون رنة وعويل ورزايا مثيلها ليس يوجد

ألآن الأنام تندب شجواً شهر عاشور سبط طه محمد

ألآن الأيام جاءت بخطب إثر خطب فالعيش اضحىٰ منكد

أبها قد قضىٰ الحسين فأرخ (أقضى جعفر بها و محمد)

ورثاه أيضاً الشيخ عبدالغفار الشيخ محمد مهدى ابن الشيخ آغا الدزفولي الأنصاري بمقطوعة أرخ في آخرها عام وفاته بقوله:

مذ طار أقصى القلب في رزئه أرخته (غاب بدار السلام)

تغمد الله المترجم له بفاضل رحمته وحشره مع النبي وآله الميامين في جنات النعيم.

قم المقدسة ـ محمد صادق الكتبي

المصادر:

١ ـ شعراء الغري للخاقاني جلد ٢

٢ ـ معجم رجال الفكر للأميني جلد ٢

٣ ـ معجم المؤلفين العراقيين ج ١ كركيس عواد

حول الكتاب

الحمدلله الذي أنعم علينا نعمة الولاية والصلاة على نبينا محمد وأهل بيته الميامين.

هذا الكتاب يتضمن رشحات من فضائل اميرالمؤمنين ويعسوب الدين الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام وهو من الكتب الجليلة المعتبرة للعالم المحقق البار الشيخ جعفر نجل الحاج محمد النقدي ـ تغمّدهما الله بواسع رحمته وغفرانه ـ.

طبع الكتاب لأول مرّة في النجف (المطبعة الحيدرية) على عهد والدنا الشيخ محمدكاظم الكتبي حفظه الله تعالى وطبع ثانية في سنة ١٩٦٥ م كذلك.

نسأله تعالى أن ينفعنا من نشره في آخرتنا ودنيانا إنّه سميع الدعاء.

محمد صادق الكتبي

تقريظ الكتاب

للوافد إلى ربّه آية الله السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي رحمه الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي أحكم كرماً منه قواعد الدين المبين، بنبيه محمد خاتم النبيين، ووصيه أميرالمؤمنين وآله الغر الميامين صلّى الله عليهم أجمعين.

وبعد: فلا يخفى على الشيعة الابرار المتمسكين بولاية حيدر الكرار، أن هذا الكتاب الشريف والتأليف المنيف، المشتمل على مناقب أمير البررة وقاتل الكفرة سيد الوصيين علي أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، قد بذل الجهد في جمعه وتهذيبه وتأليفه وترتيبه: العالم الفاضل والمهذب الكامل صاحب الفضل الازهر، جناب الشيخ جعفر نجل الحاج محمد النقدي أيده ألله تعالى وسدده واسعده وارشده، حرصاً في الثواب ورجاء لاحياء ذكر الأئمة الاطياب، فالمأمول ممن رآه واطلع عليه سيما من اهدي إليه أن يبذلوا الجهد في نشره وطبعه كما بذل مؤلفه الجهد في جمعه ويكسبوا بذلك جزيل الاحر وجميل الذكر وجليل الفخر إنشاء الله تعالى.

حرر يوم الاربعاء ثالث ربيع الثاني سنة ١٣٣١ هج

محمد كاظم الطباطبائي

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي أنعم علينا نعمة الولاية والصّلاة على نبينا محمد المختار مصباح الهداية وآله الطاهرين الأبرار أولى الدراية والرواية .

وبعد : فيقول تراب أقدام أهل العلم جعفر بن محمد النقدي غفر الله له بمنه وكرمه هذا كتاب جمعت فيه قطرات من بحار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه وشيئاً من أحواله انتخبته من مؤلفات أصحابنا قدّس الله أرواحهم في أوقات الفراغ وبعد إكماله أهديته إلى والدي جعلت فداه لعلّي أتمكن من قضاء بعض حقوقه وأسأل الباري تعالىٰ أن ينفعني به في آخرتي ودنياي وقد سميته : (نزهة المحبين في فضائل أمير المؤمنين أو أشعة الأنوار في فضائل حيدر الكرار) .

الأخبار الواردة في ولادة أمير المؤمنين عليه السلام وتاريخها وتربية النبي صلى الله عليه وآله وسلم له واختصاصه به وكملة عبد الحميد بن أبي الحديد التي لخص فيها ما أعطاه تعالىٰ من الصفاة الحميدة .

قال ابن الصباغ المالكي في كتابه (الفصول المهمة) وُلِدَ عليه السلام بمكة داخل البيت الحرام ثالث عشر رجب المكرم سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين سنة وقبل

المبعث باثنتي عشرة سنة وقيل بعشر سنين ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه .

وفيه بالإسناد عن موسى بن جعفر عن أبيه عن محمد عن أبيه عليّ بن الحسين قال : كنت جالساً مع أبي ونحن نزور قبر جدنا وهناك نساء كثيرة إذ أقبلت امرأة منهن فقلت لها : من أنت رحمك الله ؟ قالت : أنا زيدة بنت العجلان من بني ساعدة ، فقلت لها : هل عندك شيء تحدثينا به ؟ قالت : أي والله حدثتني أمي أم عمارة بنت عبادة بن مالك بن العجلان الساعدي أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب عليه السلام كئيباً حزيناً فقلت : ما شأنك يا أبا طالب ؟ فقال : إن فاطمة بنت أسد في شدّة المخاض إذ أقبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فأخذ بيده فجاءا بها إلى الكعبة فاجلساها في الكعبة فطلقت طلقة فولدت غلاماً نظيفاً لم أر كحسن وجهه فسماه أبو طالب علياً وقال :

سميته بعلي كي يدوم له عز العلو وفخر العز أدومه

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خبر طويل رواه جماعة من الأصحاب منهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار رضي الله عنهم أنه قال : في جملة كلام له قد خُلقت أنا وعلي عليه السلام من نور واحد وأن نورنا كان يسمع تسبيحه من أصلاب آبائنا وبطون أُمهاتنا في كل عصر وزمن إلى عبد المطلب فكان نورنا يظهر في وجوه آبائنا ، فلما وصل إلى عبد المطلب إنقسم النور نصفين نصف إلى عبد الله ونصف إلى أبي طالب عمي وانهما كانا إذا جلسا في ملأ من الناس يتلألأ نورنا في وجهيهما من دونهم حتى أن السباع والهوام كانت تسلّم عليهما لأجل نورنا حتى خرجنا إلى دار الدنيا وقد نزل عليَّ جبرائيل عند ولادة ابن عمي علي عليه السلام ، وقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك الآن ظهرت نبوتك واعلان وحيك وكشف رسالاتك إذ أيدك الله تعالى

بأخيك ووزيرك وخليفتك من بعدك والذي شد به أزرك وأعلا به ذكرك على أخيك وابن عمك فقم إليه واستقبله بيدك اليمنىٰ فإنه من أصحاب اليمين وشيعته الغر المجلون . قال ﷺ : فقمت فوجدت أمي بين النساء والقوابل من حولها وإذا بسحاب قد ضربه جبرائيل عليه السلام بيني وبين السماء ، فإذا هي قد وضعته قال ﷺ : فاستقبلته ففعلت ما أمرني ربي ومددت يدي اليمنىٰ نحو أمه فإذا عليّ مائل على يدي واضعاً يده اليمنىٰ في أذنه يؤذن ويقيم بالحنيفية ويشهد بالوحدانية لله وبرسالتي ، ثم انثنى إلي وقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقلت : وعليك السلام . إقرأ يا أخي فوالذي نفسي بيده قد ابتدأ بالصحف التي أنزلها الله تعالىٰ على آدم عليه السلام وأقام بها إبنه شيث عليه السلام فتلاها من أولها إلى آخرها حتى أنه لو حضر آدم عليه السلام لاقرّ له أنه احفظ لها منه . ثم تلا صحف نوح عليه السلام ثم صحف إبراهيم عليه السلام ، ثم تلا التوراة حتى أنه لو حضر موسىٰ لشهد له أنه أحفظ لها منه ، ثم قرأ الإنجيل حتى إنه لو حضر عيسىٰ لأقرّ له أنه أحفظ منه ، ثم قرأ القرآن الذي أنزل الله عليَّ من أوله إلى آخره . ثم خاطبني وخاطبته بما يخاطب به الأنبياء ، ثم عاد إلى حال طفوليته وهكذا أحد عشر إماماً من ذريته يفعل في ولادته مثل ما يفعل الأنبياء عليهم السلام .

وروى شعبة عن قتادة عن أنس عن العباس بن عبد المطلب وهي المروية عن الحسن بن محبوب عن مولانا الصادق وهو الحديث المختصر : أنه انفتح البيت من ظهره ودخلت فاطمة فيه ، ثم عادت الفتحة والتصقت وبقيت فيه ثلاثة أيام فأكلت من ثمار الجنة ، فلما خرجت ودخلت دارها وكان أبو طالب هناك مع رسول الله ﷺ فسلّم عليهما أمير المؤمنين ، ثم تنحنح وقال : بسم الله الرّحمن الرّحيم : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الآية ، فقال رسول الله : قد أفلحوا بك وأنت والله أميرهم وتميرهم من علمك فيمارون وأنت والله دليلهم وبك والله يهتدون ، وفي الخبر المشهور عن يزيد بن قعنب أن فاطمة لما دخلت

البيت والتزق الحائط رمنا أن ينفتح لنا قفل الباب ، فلم ينفتح فعلمنا أن ذلك أمر من الله عزّ وجلّ . ثم خرجت بعد اليوم الرابع وبيدها أمير المؤمنين ثم قالت : أني فضلت على من تقدّمني من النساء لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عزّ وجلّ سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله إلاّ اضطراراً وأن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً ، واني دخلت بيت الله الحرام وأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف سميه علياً فهو علي والله العلي الأعلىٰ يقول أني شققت اسمه من اسمي وادبته بأدبي ووقفته على غامض علمي وهو الذي يكسر الأصنام .

وروي أنه عليه السلام لما قربت ولادته أتت فاطمة إلى بيت الله وقالت : أي ربي إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب مصدقة بكلام جدي إبراهيم فبحق الذي في هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت ولادتي فانفتح البيت ودخلت فيه ، فإذا هي بحواء ومريم وآسية وأم موسىٰ فلما وُلد عليه السلام سجد على الأرض يقول : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأشهد أن علياً وصيه بمحمد تتم النبوة وبي تتم الوصية وأنا أمير المؤمنين فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وفتح فاه بلسانه وحنكه وأذن في أذنه اليمنىٰ وأقام في اليسرى ففتح عينيه وضحك في وجه رسول الله فأتاه أبوه وقال : إن ولدي قد عرف ابن عمه ، الخبر .

ولله درّ محمد بن منصور السرخسي حيث يقول :

ولدته منجية وكان ولادها	في جوف كعبة أفضل الأكنان
وسقاه ريقته النبي ويا لها	من شربة تغني عن الألبان
حتى ترعرع سيداً سنداً رضى	أسداً شديد القلب غير جبان
عبدَ الإله مع النبي وأنه	قد كان بعد يعد في الصبيان
فلذاك زوجه الرسول بتوله	وغدا إمام الإنس ثم الجان
شهدت له آيات سورة ﴿هل أتىٰ﴾	بمناقبٍ جلّت عن التبيان

وللعلامة الكبير حجة الإسلام الحاج ميرزا إسماعيل الشيرازي قدّس سره في ولادة أمير المؤمنين علي عليه السلام :

رغداً لعيش فزده رغدا بسلاف منك تشفي سقمي

* * *

طرب الصب على وصل الحبيب وهنا العيش علي بعد الرقيب
وفنىٰ من أكؤس الراح النصيب واسقنيها توأماً لا مفردا
فالهنا كل الهنا في التوأم

آتني الصهباء ناراً ذائبة كللتها قبسات لاهبة
واسقنيها والندامى قاطبة فلعمري إنها ري الصدا
لفؤاد بالتصابي مضرم

ما أحيل الراح من كف الملاح هي روح هي روح هي راح
فادرها في غدو ورواح كذكاء تتجلى صرخدا
رصعتها حبب كالأنجم

حبذا آناء أنس أقبلت أدركت نفسي بهاما أملت
وضعت أم العلىٰ ما حملت طاب أصلاً وتعالىٰ محتدا
مالكاً ثقل ولاء الأمم

آنست نفسي من الكعبة نور مثل ما آنس موسىٰ نار طور
يوم غشىٰ الملأ الأعلىٰ سرور قرع السمع نداء كندا
شاطىء الوادي طوى من حرم

ولدت شمس الضحىٰ بدر التمام فانجلت عنا دياجير الظلام
ناديا بشراكم هذا غلام وجهه فلقة بدر يهتدى
بسنا أنواره في الظلم

هذه فاطمة بنت أسد أقبلت تحمل لاهوت الأبد
فاسجدوا ذلاً له فيمن سجد فله الأملاك خرت سجدا
إذ تجلى نوره في آدم

كشف الستر عن الحق المبين وتجلى وجه رب العالمين
وبدا مصباح مشكاة اليقين وبدت مشرقة شمس الهدى

فانجلى ليل الضلال المظلم

نسخ التأييد من نفى ترى فأرنا وجهه رب الورى
ليت موسى كان فينا فيرى ما تمناه بطور مجهدا

فانثنى عنه بكفى معدم

هل درت أم العلى ما وضعت أودرت ثدى الهدى ما أرضعت
أو درت كف النهى ما رفعت أو درى رب الحجى ما ولدا

جلّ معناه فلما يعلم

سيد فاق علا كل الأنام كان إذ لا كائن وهو إمام
شرف اللّه به البيت الحرام حين أضحى لعلاه مولدا

فوطا تربته بالقدم

أن يكن يجعل للّه البنون وتعالى اللّه عما يصفون
فوليد البيت أحرى أن يكون لولي البيت يدعى ولدا

لا عزير لا ولا ابن مريم

هو بعد المصطفى خير الورى من ذرى العرش إلى تحت الثرى
قد كست علياءه أمر القرى عزة تحمى حماها أبدا

حيث لا يدنوه من لم يحرم

سبق الكون جميعاً في الوجود وطوى عالم غيب وشهود
كلما في الكون من يمناه جود إذ هو الكائن للّه يدا

ويد اللّه مدر الأنعم

سيّد حازت به الفضل مضر بفخار قد سما كل البشر
وجهه في فلك العليا قمر فبه لا بالنجوم يهتدى

نحو مغناه لنيل المغنم

هو بدر وذراريه بدور عقمت عن مثلهم أم الدهور

كعبة الوفاد في كل الشهور فاز من محو فناها قصدا
بمطاف منه أو مستلم

ورثوا العلياء قدماً من قصى ونزار ثم فهر ولوى
لا يباري حيهم قط بحي وهم أزكى البرايا محتدا
وإليهم كل فخر ينتمي

أيها المرجى لقاه في الممات كل موت فيه لقياك حياة
ليتما عجل بي ما هو آت علني القي حياتي في الردىٰ
فائزاً منه بأوفىٰ النعم

وفي النهج : من كلام له عليه السلام وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة وبالمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويلفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ، ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرب الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم علماً من أخلاقه ويأمرني بالإقتداء به . وقال عليه السلام من خطبته القاصعة ولم يجمع بيت في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشم روح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

وروي بأسانيد مختلفة عن مجاهد أنه قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال فقال رسول الله لحمزة والعباس أن أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترون من هذه الأزمة فانطلقا بنا نخفف من عياله ، فدخلوا عليه فطالبوه بذلك فقال : إذا تركتموا لي عقيلاً فافعلوا ما شئتم فبقي عقيل عنده إلى أن مات أبو طالب . ثم بقي في وحدة إلى أن أخذ يوم بدر وأخذ حمزة جعفراً ، فلم يزل معه في الجاهلية والإسلام

وأخـذ رسول الله ﷺ علياً وهو ابن ست سنين كسنـه ﷺ حين أخـذه أبو طالب فربته خديجة والمصـطفىٰ وتربيتهما أحسن من تربيـة أبي طالب وفاطمة بنت أسد فكان مع النبي ﷺ إلى أن مضىٰ وبقي علي عليه السلام بعده .

ويُـرویٰ أن النبي ﷺ قـال : أختـرت من أختـاره الله لي عليكم علياً .

وفي روايـة أن النبي حين تزوج خـديجـة قـال لعمـه أبي طـالب : اني أحب أن تـدفع لي بعض ولـدك يعينني على أمـري ويكفيني واشكـر لك بلاك عندي فقال أبو طالب : خذ أيهم شئت فأخذ علياً عليه السلام .

وروى الفضـل بن عبـاس قـال : سـألت أبي عن ولـد رسـول الله الـذكور أيهم كـان له رسـول الله ﷺ أشـد حبـاً ؟ فقـال : علي بن أبي طالب . فقلت له : سـألتك عن بنيـه ؟ فقال : إنـه كان أحـبَّ عليه من بنيـه جميعاً وأرأف مـا رأيناه زائله يـوماً من الـدهر منـذ كان طفـلاً إلاّ أن يكـون في سفر لخـديجة ومـا رأينا أبـاً أبر بـابن منه لعلي ولا إبنـاً أطـوع لأب من علي له .

وعن أبي سعيد الخدري أنـه ذكر عليـاً فقال : إنـه كان من رسـول الله بمنـزلة خـاصة ولقـد كانت لـه عليه دخلة لم تكن لأحـد من الناس ، وروى ابن شهـراشوب بـطرق عديـدة أن النبي ﷺ كان إذا نـزل عليـه الوحي ليلاً لم يصبـح حتى يخبر بـه علياً وإذا نـزل عليه الـوحي نهاراً لم يمـس حتى يخبر به علياً .

وعن زيد بن علي بن الحسين عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : دخلت على النبي ﷺ وهـو في بعض حجـراتـه فـاستـأذنت عليـه فـأذن لي فلمـا دخلت قال لي : يـا علي أمـا علمت أن بيتي بيتـك فمـالـك تستـأذن علي ؟ فقلت يـا رسـول الله : أحببت أن أفعـل ذلـك ، قـال يـا علي : أحببت مـا أحب الله وأخـذت بـآداب الله يـا علي أمـا علمت أنـه ابى خـالقي ورازقي أن يكـون لي سـر دونـك يـا علي أنت وصي من بعـدي

وأنت المظلوم المضطهد بعدي يا علي الثابت عليك كالمقيم معي ومفارقك مفارقي ، يا علي كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك لأن الله تعالىٰ خلقني وإياك من نور واحد .

أقول : وهذه كلمة جامعة لابن أبي الحديد المعتزلي ننقلها برمتها لما تشتمل عليه من فضائله عليه السلام. قال : وأما فضائله فإنها قد بلغت من العظم والأنتشار مبلغاٍ يسمج معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها فصارت كما قال أبو لعيناء العبيد الله بن يحي بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد رأيتني فيما أتعاطىٰ من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت من الثناء عليك إلى الدعاء لك وكذلك للأخبار إلى علم الناس بك ، وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جهل مناقبه ولا كتمان فضائله فقد علمت أنه استولىٰ بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل [illegible]ة في إطفاء نوره والتحريف عليه ووضع المعايب وللثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً حتى خطروا أن يسمى باسمه فما زاده ذلك إلاّ رفعة وسمواً وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم تضوع نشره وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار إن حجبت عند عين واحدة أدركته عيون كثيرة أخرىٰ ، وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة هو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرتها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها كل من برع فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى وقد عرف أن أشرف العلوم هو العلم الإلٰهي لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم ومن كلامه عليه السلام أقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ومنهم تعلم

الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه لأن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ أبي هاشم عبد الله بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه ﷺ، وأما الأشعرية فإنهم يضمون إلى أبي الحسن علي بن أبي بشير الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية ينتهون أخيراً إلى استاذ المعتزلة وهو علي بن أبي طالب ، وأما الإمامية والزيدية فإنتمائهم إليه ظاهر ومن العلوم علم الفقه وهو ﷺ أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه ، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة ، وما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد وجعفر قرأ على أبيه وينتهي الأمر إلى علي ﷺ. وأما الحنابلة فإلى أحمد بن حنبل وهو تلميذ الشافعي ، وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة على عكرمة على عبد الله بن عباس ، وقرأ عبد الله على علي بن أبي طالب وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقرائته على مالك كان ذلك . فهؤلاء الفقهاء الأربعة وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر ، وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عبد عباس وكلاهما أخذا عن علي . أما ابن عباس فظاهر ، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة وقوله غير مرة لولا علي لهلك عمر ، وقوله لابقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن وقوله لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر ، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه . وقد روت العامة والخاصة قوله أقضاكم علي والقضاء هو الفقه فهو إذن أفقههم وروى الكل أيضاً أنه ﷺ قال : وقد بعثه قاضياً إلى اليمن اللّهمَّ أهد قلبه وثبت لسانه قال ﷺ: فما شككت بعدها في قضاء بين أثنين وهو الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر وهو الذي أفتىٰ في الحامل الزانية وهو الذي قال في المنبرية : صار ثمنها تسعاً وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لأستحسن منه بعد

طول النظر هذا الجواب ، فما ظنك بمن قال بديهة واقتضبه ارتجالاً ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخذ ومنه فرع وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك لأن أكثره عنه . وعن عبد الله بن عباس ، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته وانقطاعه إليه وأنه تلميذه وخريجه وقد قيل له أين علمك من علم ابن عمك علي ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف ، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون وقد صرّح بذلك الشبلي والجنيد والسري وأبو يزيد البسطامي وأبو محفوظ معروف الكرخي ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي شعارهم إلى اليوم وكونهم يسند بإسناد متصل إليه عليه السلام ومن العلوم علم النحو والعربية وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملا علي أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله من جملتها الكلام كلمة ثلاثة اسم وفعل وحرف ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم ، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الإستنباط وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها .

وأما الشجاعة : فإنه أنسىٰ الناس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده ومقاماته في الحروب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة وهو الشجاع الذي ما فرقط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز أحداً إلاَّ قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولىٰ إلى ثانية ، وفي الحديث كانت ضرباته وتراً ولما دعا معاوية المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما قال له عمر : ولقد أنصفك ، فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلاَّ اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق أراك طمعت في إمارة الشام بعدي وكانت العرب

تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته ، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه ﷺ قتلهم أظهر وأكثر ، قالت أخت عمرو بن عبد ود ترثيه :

لو كان عمرو غير قاتله ... بكيته أبداً ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له ... وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وانتبه أبو معاوية فلما رأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره فقعد فقال له عبد الله يداعبه : يا أمير المؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلت ، فقال : لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر ، قال : وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب ، قال : لا جرم إنه قتل أباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها .

وأما القوة والأيد فبه يضرب المثل فيها قال ابن قتيبة في المعارف : ما صارع أحداً قط إلاّ صرعه وهو الذي قلع باب خيبر وأجتمع عليه عصبة من الناس ليقبلوه فلم يقلبوه وهو اقتلع هبل من أعلا الكعبة وكان عظيماً جداً فالقاه إلى الأرض وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته ﷺ بعد عجز الجيش كله عنها فانبط الماء من تحتها .

وأما السخاء والجود فحاله فيه ظاهره كان يصوم ويطوي ويوثر بزاده وفيه أنزل **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾** .

وروى المفسرون أنه ﷺ لم يكن يملك إلاّ أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلًا وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فأنزل فيه : **﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾** .

وروي عنه أنه كان يستقي بيده لنخل قوم من اليهود في المدينة حتى سلخت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجراً وقال الشعبي وقد

ذكر ﷺ كان أسخىٰ الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله للسخاء والجود ما قال لا لسائل قط وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان محفن بن أبي محفن الضبي لما قال : جئتك من عند ابخل الناس فأجابه معاوية ويحك كيف تقول أنه من أبخل الناس ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن لانفذ تبره قبل تبنه وهو الذيٰ كان يكنس بيوت الأموال ويصلّي فيها وهو الذي قال يا شقراء يا بيضاء غري غيري وهو الذي لم يخلف ميراثاً وكانت الدنيا كلها بيده إلاّ ما كان من الشام .

وأما الحلم والصفح : فكان أحلم الناس من مذنب وأصفحهم عن مسيىء وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضاً فصفح عنه وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاكم الوغب اللئيم علي بن أبي طالب وكان علي ﷺ يقول : ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شب عبد الله فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً ، فصفح عنه وقال : أذهب فلا أرينك لم يزده على ذلك وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة وكان له عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً وقد علم ما كان من عائشة في أمره ، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم وقلّدهن بالسيوف ، فلما كانت ببعض الطرق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به وتأففت وقالت : هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي ، فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن وقلن لها إنما هن نسوة . وحار به أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيف وشتموه ولعنوه ، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ونادى مناديه في أقطار العسكر ألا لا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولا يقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن عبر إلى عسكر الإمام فهو آمن ولم يأخذ أثقالهم ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من

أموالهم ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ولكنه أبى إلاّ الصفح والعفو وتقبل سنة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فإنه عفا والأحقاد لم تبرد والإساءة لم تنس ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات وقالت رؤساء الشام له : أقتله بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً سألهم علي ﷺ وأصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء ؟ فقالوا : والله ولا قطرة حتى تموتوا ظمأ كما مات عثمان بن عفان ، فلما رأى أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتال ذريع سقطت منه الرؤوس والأيدي وملكوا عليهم الماء وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم فقال له أصحابه وشيعته إمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب ، فقال : لا والله لا أكافيهم بمثل فعلهم أفسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حد السيف ما يغني عن ذلك فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح ناهيك بها جمالاً وحسناً وإن نسبتها إلى الدين والورع ، فاخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام .

وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه بأنه سيّد المجاهدين وهل الجهاد لأحد إلاَّ له وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله وأشدها نكاية والمشركين في بدر الكبرىٰ قُتِل فيها سبعون من المشركين قتل علي عليه السلام نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيىٰ بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك ودع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما وهذا الفصل لا معنى للأطناب فيه لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما .

وأما الفصاحة : فهو إمام الفصحاء وسيّد البلغاء وعن كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة وقال عبد الحميد بن يحي : حفظت سبعين خطبة من خطب

الأصلع ففاضت . ثم فاضت ، وقال ابن نباتة : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلّا سعة وكثرة حفظت مائة فصل مواعظ علي بن أبي طالب ، ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية : جئتك من عند أعي الناس ، قال له : ويحك كيف يكون أعي الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يحاذي في الفصاحة ولا يباري في البلاغة وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له وكفىٰ لهذا الكتاب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من الكتب .

وأما سجاحة الأخلاق : وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو المضروب المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه ، قال عمرو بن العاص لأهل الشام : أن فيه دعابة شديدة وقال علي عليه السلام : في ذاك عجباً لابن النابغة زعم لأهل الشام أن في دعابه وأني أمرؤ تلعابة أُعاقس وأُمارس وعمرو بن العاص إنما أخذها من الرجل لقوله لما عزم على استخلافه لله أبوك لولا دعابة فيك إلّا أن الرجل اقتصر عليها وعمرو زاد فيها ويسمجها قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه كان فينا كأحدنا لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكأنها به مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه وقال معاوية لقيس بن سعد رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهة ، فقال قيس : نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ويبتسم إلى أصحابه وأراك تسر في تعبيبه بذلك ، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قدسته للطوى تلك هيبته التقوى ليس كما يهابك طغام أهل الشام وقد نقىٰ هذا الخلق متوارثاً متناثلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن كما يقي الجفاء والخشونة في الجانب الآخر ومن له أدنىٰ معرفة بالأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك .

وأما الزهد في الدنيا : فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال وإليه يشد

الرحال وعنده تنقض الأحلاس ما شبع من طعام قط وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً . قال عبد الله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد فقدم جراباً مختوماً فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً تقدم وأكل فقلت يا أمير المؤمنين : فكيف تختمه؟ قال : خفت هذين الولدين أن يلوثاه بسمن أو زيت وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وبليف أُخرىٰ ونعلاه من ليف ، وكانْ يلبس الكرابيس الغليظة ، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطه فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقىٰ سدءاً لا لحمة له وكان يأتدم إذا ائتدم بخل أو بملح فإن ترقىٰ عن ذلك فببعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من البان الإبل ولا يأكل اللحم إلاّ قليلاً ويقول لا تجعلوا قلوبكم مقابر الحيوان وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم يداً لم ينقص الجوع قوته ولا يجوز الإقلال منه وهو الذي طلق الدنيا وكانت الأموال تجيء إليه من جميع بلاد الإسلام إلاّ من الشام فكان يفرقها ويمزقها ثم يقول :

هـذا جناي وخياره فيه ... إذ كل جان يده إلى فيه

وأما العبادة : فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصل عليه حتى يتم ورده والسهام تقع بين يديه تمر على صماخيه فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص وفهمت من أي قلب خرجت وعلى أي لسان جرت ، وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة أين عبادتك من عبادة جدك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما قراءة القرآن : والاشغال به فهو المنظور إليه في هذا الباب اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول من جمعه نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر لأنه تشاغل بجمع القرآن وإذا رجعت إلى كتب القراءة وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن أبي العلا وعاصم وغيرهما لأنهم يرجعون إلى عبد الرّحمٰن السلمي الفارسي وعبد الرّحمٰن كان تلميذه وعنه أخذ القرآن فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً مثل كثير مما سبق .

وأما الرأي والتدبير : فكان من أشد الناس رأياً وأصحهم تدبيراً وهو الذي أشار على عمر لما عزم أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ولو قبلها لم يحدث ، وإنما قال أعداؤه: لا رأي له لأنه كان متقيداً بالشريعة لا يرىٰ خلافها ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه وقد قال علي عليه‌السلام : لولا التقى لكنت أدهى العرب وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضىٰ ما يستصلحه ويستوفقه سواء كان مطابقاً للشرع أم لم يكن ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده ولا يقف مع ضوابط وقيود ممتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الإنتشار أقرب .

وأما السياسة : فإنه كان شديد السياسة خشناً في ذات الله لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاه إياه ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جابهه به وأحرق قوماً بالنار ، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جرير بن عبد الله البجلي وقطع جماعة وصلب آخرين ومن جملة سياسة حروبه في أيام خلافته في الجمل وصفين والنهروان وفي أقل القليل منها مقنع فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل في هذه الحروب بيده فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم وقد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعله والرئيس المقتفى أثره ، وما أقول

في رجل يحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملّة وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتها حاملاً سيفه مشمر الحربة وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها ، وكان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته ، وكان علي سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفألون بالنصر والظفر ، وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يكترث به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالإنتساب إليه حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدها أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا في ذلك كتاباً وجعلوا لذلك اسناداً أنهوه إليه وقصروه عليه وسموه سيّد الفتيان وعضدوا مذاهبهم بالبيت المشهور المروي أنه سمع في السماء يوم أحد :

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىً إلاّ علي

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء وشيخ قريش ، رئيس مكة قالوا : قل أن يسود فقير وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له وكانت قريش تسميه الشيخ ، وفي حديث عفيف الكندي لما رأى النبي ﷺ يصلّي في مبدأ الدعوة ومعه غلام وامرأة قال : فقلت للعباس : أي شيء هذا ؟ قال : هذا ابن اخي يزعم أنه رسول الله إلى الناس ولم يتبعه على قوله إلاّ هذا الغلام وهو ابن أخي أيضاً وهذه المرأة وهي زوجته . قال فقلت له : فما الذي تقولونه أنتم ؟ قال : ننتظر ما يفعل الشيخ ، قال : يعني أبا طالب وهو الذي كفل رسول الله صغيراً وحماه وحاطه كبيراً ومنعه من مشركي قريش ولقي لأجله عناء عظيماً وقاسى بلاء شديداً وصبر على نصره وله ﵇ مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمد ﷺ سيّد الأولين والآخرين ، وأخاه جعفر ذو الجناحين الذي قال رسول الله ﷺ : أشبهت خلقي وخُلقي فمر يحجل فرحاً وزوجته سيدة نساء العالمين وإبنيه سيّدا شباب أهل الجنة فآباؤه أباء رسول الله

ﷺ وأُمهاته أُمهات رسول الله ﷺ وهو مخبوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب وأُمهما واحدة، فكان سيّدا الناس هذا الأول وهذا الثاني وهذا المنذر وهذا الهادي ، وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدىٰ وآمن بالله وعبده وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلاّ السابق إلى كل خير محمد رسول الله .

ثم قال ابن أبي الحديد فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لأحتجنا إلى كتاب يماثل حجم هذا الكتاب بل يزيد عليه وبالله التوفيق (يريد بهذا الكتاب شرحه على نهج البلاغة) انتهى ولنختم مقدّمتنا هذه بهذه الأبيات الجليلة من قصيدة غزاء للسيّد الحميري رحمة الله عليه :

علي أمير المؤمنين وعزهم	إذ الناس خافوا مهلكات العواقب
علي هو المرهوب والذائد الذي	يذود عن الإسلام كل مناصب
علي هو الغيث الربيع مع الحيا	إذا نزلت بالناس إحدى المصائب
علي هو العدل الموفق والرضا	وفارج لبس المبهمات الغرائب
علي هو المأوى لكل مطرد	شريد وملحوب من الشر هارب
علي هو المهدي والمقتدى به	إذا الناس حاروا في فنون المذاهب
علي هو القاضي الخطيب بقوله	يجيء بما يعيي به كل خاطب
علي هو الخطم القؤل بحجة	يرد بها قول العدو المشاغب
علي هو الحامي المرجى بفعله	لدىٰ كل يوم باسل الشر عاصب
علي هو البدر المنير ضيائه	يضيء سناه في ظلام الغياهب
علي أعز الناس جاراً وحامياً	وأقتلهم للقرن يوم الكتائب
علي أعم الناس حلماً ونائلاً	وأجودهم بالمال حقاً لطالب
علي أجل الناس قدراً ورتبة	لدى اللّه والهادي وعند الأطائب
على أكف الناس عن كل محرم	واتقاهم للّه في كل جانب

فصل
في علم أمير المؤمنين عليه السلام وشيء من قضاياه

في الإحتجاج : عن الصادق عليه السلام أنه قال لأصحابه : ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين قيل ما يقدمون على أولي العزم أحداً ، فقال : إن الله تبارك وتعالىٰ قال لموسىٰ عليه السلام : وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة ولم يقل كل شيء موعظة ، وقال لعيسىٰ عليه السلام : وليبين لكم بعض الذين تختلفون فيه ولم يقل كل شيء ، وقال لصاحبكم أمير المؤمنين : قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ، وقال الله عزّ وجلّ : ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين وعلم هذا الكتاب عنده .

وعن الأصبغ أن أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابساً بردته فصعد المنبر فحمد الله تعالىٰ واثنىٰ عليه ووعظ وأنذر ، ثم جلس وشبك أصابعه ووضعها أسفل سرته ، ثم قال : يا معاشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني وسلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينتهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول : يا رب أن علياً قضى بقضائك والله أني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة . ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن أية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزل وأنبأتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها ومحكمها من متشابهها ومكيها من مدنيها والله ما من فئة تضل أو تهدي إلّا وأنا أعرف قدئدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة .

ويروى أنه عليه السلام قال يوماً : لأعلم ما في السماوات والأرض وأعلم ما في الجنة والنار وأعلم ما كان وما يكون . ثم سكت هنيئة ورأى أن ذلك كبر على سامعه ، فقال : علمت ذلك من كتاب الله يقول تعالىٰ فيه تبيان كل شيء .

وفي المناقب للخوارزمي : بالإسناد إلى عباد بن عبد الله عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب .

وفي الأمالي : عن الباقر عليه السلام أن النبي قال لعلي : ما أول نعمة أبلاك عزّ وجلّ وأنعم عليك بها ؟ قال : أن خلقني جل ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً . قال : صدقت ، فما الثانية ؟ قال : أن أحسن بي إذ خلقني فجعلني حياً لا مواتاً . قال : صدقت ، فما الثالثة ؟ قال : أن أنشأني وله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب . قال : صدقت ، فما الرابعة ؟ قال : أن جعلني متفكراً واعياً لا ساهياً ، قال : صدقت ، فما الخامسة ؟ قال : أن جعل لي شواعر أدرك ما ابتغيت بها وجعل لي سراجاً منيراً ، قال : صدقت . فما لسادسة ؟ قال : أن هداني لدينه ولم يضلني عن سبيله . قال : صدقت ، فما السابعة ؟ قال : أن جعل لي مرداً في حياة لا انقطاع لها . قا : صدقت ، فما الثامنة ؟ قال : أن جعلني ملكاً مالكاً مملوكاً . قال : صدقت ، فما التاسعة ؟ قال : أن سخر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه . قال : صدقت ، فما العاشرة ؟ قال : أن جعلنا ذكرانا قواماً على حلائلنا لا إناثاً . قال : صدقت ، فما بعدها ؟ قال : كثرت نعم الله يا نبي الله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : ليهنك الحكمة ليهنك العلم يا أبا الحسن فأنت وارث علمي والمبين لأمتي ما اختلفت فيه بعدي .

وفي المناقب: قال الصادق عليه السلام لإبن أبي ليلى أتقضي بين الناس

يـا عبد الـرحمن ، قال : نعم يـا بن رسول الله ، قـال بـأي شيء تقضي ؟ قـال : بكتاب الله . قـال : فما لم تجـد بكتاب الله ؟ قـال : من سنة رسـول الله ﷺ وما لم أجـد فيهمـا أخـذتـه من الصحـابـة بمـا اجتمعـوا عليـه : قال : فـإذا اختلفـوا فبقـول من تـأخـذ منهم ؟ قـال : بقـول من أردت وأخالف الباقين قـل فهل تخـالف علياً فيمـا بلغك أنـه قضى به ؟ قـال : ربما خـالفته إلى غيـره منهم ، قال أبـو عبد الله عليه السلام : مـا تقول يـوم القيامـة إذا رسول الله ﷺ قـال : أي رب إن هذا بلغـه عني قـولي فخالفه قـال واين خالفت قـوله يـابن رسول الله قـال : فبلغك أن رسـول الله ﷺ قـال : أقضاكم علي . قـال : نعم ، قال : فـإذا خالفت قـوله لم تخالف قول رسـول الله ﷺ فـاصفـر وجـه ابن أبي ليلى وسكت .

وعن أبي الفتوح الرازي أنـه حضر عنـد عمر أربعـون امرأة وسـألته عن شهـوة الآدمي فقـال : للرجـل واحـد وللمـرأة تسعـة فقلن مـا بـال الـرجال لهم دوام ومتعـة وسر أي بجـزء من تسعة ولا يجـوز لهن إلاّ زوج واحد مع تسعة أجزاء ؟ فافحم فرفع ذلك إلى أميـر المؤمنين عليه السلام ، فأمـر عليه السلام أن تأتي كل واحـدة منهن بقارورة من مـاء وأمرهن بصبهـا في إجانـة ثم أمر كل واحـدة منهم أن تعرف ماءها فقلن : لا يتميـز ماؤنا فأشـار به أن لا يفـرقن بين الأولاد ويبـطل النسب والميـراث . فقـال عمـر : لا أبقـاني الله بعـدك يـا علي ، وسـأل ابن الكـوا من أميـر المؤمنين عليه السلام؟ فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن بصير بالليل بصير بـالنهار وعن بصيـر بـالنهار أعمى بـالليل وعن بصيـر بالليـل أعمى بـالنهـار ؟ فقـال لـه أميـر المؤمنين عليه السلام : سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيـك أما بصيـر بالليـل بصير بالنهار فهذا رجل آمن بالرسل الذين مضـوا وأدرك النبي فآمن بـه فأبصـر في ليله ونهـاره ، وأما أعمىٰ بـالليل بصيـر بالنهـار فرجـل جحـد الأنبيـاء الـذين مضـوا والكتب وأدرك النبي ﷺ وآمن بـه فعمي بالليل وأبصـر بـالنهار ، وأمـا أعمىٰ بالنهـار بصير بـالليل فـرجل آمن بـالأنبيـاء والكتب وجحـد النبي ﷺ فابصـر بالليـل وعمي بالنهـار . فقال ابن الكـوا : يـا

أميـر المؤمنين إن في كتـاب الله آيـة قـد أفسـدت قلبي وشككتني في ديني ؟ فقـال له أميـر المؤمنين عليه السلام : ثكلتك أمـك وعدمـك قومـك ، ما هي ؟ قال : قول الله عزّ وجلّ لمحمـد صلى الله عليه وآله في سورة النـور : ﴿والطيـر صافات كـل قد علم صـلاته وتسبيحـه﴾ ما هـذا الطيـر وما هـذه الصّلاة والتسبيـح ؟ فقال : ويحـك أن الله تعالىٰ خلق المـلائكة في صـور شتىٰ ألا وأن لله ملكـاً في صورة ديـك انج شعث بـراثنه في الأرضين السـابعة السفلىٰ وعـرفه تحت عـرش الرّحمٰن لـه جنـاح في المشـرق وجنـاح في المغـرب فالـذي في المشرق من نـار والذي في المغـرب من ثلج، فـإذا حضر وقت الصّلاة قـام على براثنـه ثم رفع عنقـه من تحت العرش ، ثم صفق بجناحيه كمـا تصفق الدِّيكـة في منازلكم بنحـو من قولـه وهو قـوله عزّ وجلّ لنبيـه والطيـر صافـات كل قـد علم صلاتـه وتسبيحه من الـديكة في الأرض فقال ابن الكوا فمـا قولـه : ﴿تعالىٰ بقيـة مما تـرك آل موسىٰ وآل هـارون تحمله المـلائكـة﴾ قـال : هــو حمـامـة مـوسىٰ وعصـاه ورضراض الألواح وابريق من زمرد وطشت من ذهب . قـال : فما الـذين بـدلوا نعمـة الله كفراً وأحلوا قـومهم دار البوار ؟ قـال : هم الأفجران من قـريش بنو أميـة وبنو المغيـرة ، فأمـا بنوا المغيـرة فقطع الله دابـرهم يوم بـدر ، وأما بنـو أمية فمنعـوا حتى حين . قال : فمـا الأخسـرين أعمـالاً الآية ؟ قال : أهـل حرورا . قـال : أخبرني عن ذي القـرنين أنبي هو أم ملك ؟ قال عليه السلام : لا نبي ولا ملك كان عبـداً لله صالحـاً أحب الله فأحبـه ونصـح لله فنصحـه الله أرسله الله إلى قــوم فضـرب على قــرنـه الأيمن فغاب عنه ما شاء الله ، ثم ظهر فضربوه على قرنـه الأيسر فغـاب عنهم ، ثم رد الثـالثة فمكنـه الله في الأرض وفيكم مثله يعني نفسه عليـه الصـلاة والسلام .

وروى محمد بن عبد الحميـد عن منصور بن يـونس عن ابن أذينة عن محمـد بن مسلم قال : سمعت أبـا جعفر عليه السلام يقـول : نزل جبـرائيل عليه السلام على محمـد برمانتين من الجنـة فلقيه علي عليه السلام فقـال له : مـا هاتـان

الرمانتـان اللتان في يـدك ؟ قال : أمـا هذه فـالنبوة ليس لـك فيها نصيب ، وأما هذه فالعلم ، ثم فلقها رسول الله ﷺ فاعـطاه نصفها ، ثم قـال لـه : أما العلم فـأنت شريكي فيـه وأنا شـريكك فيـه ، قـال : فلم يعلم والله رسول الله ﷺ حرفاً مما علّمه الله إلاّ علّمه علياً عليه السلام .

وعن الأصبغ بن نباتة قال : كنا مع أميـر المؤمنين عليه السلام وهو يـطوف بـالسوق فيـأمرهم بـوفاء الكيـل والميزان حتى انتصف النهـار فمر بـرجل جـالس فقام إليـه وقال يـا أميـر المؤمنين : سـر معي فـادخـل بيتي وتغـد عنـدي وادع الله لي فإنـك ما تغـديت اليوم ، فقـال أميـر المؤمنين عليه السلام : شـرط أشرطـه ؟ قال لـك شرطـك قال عليه السلام : أن لا تـدخن في بيتـك ولا تتكلف ما وراء بابـك ، ثم دخل ودخلنـا معه فـاكلنا خـلاً وزيتاً وتمـراً ، ثم خرج يمشي حتى أنتهى إلى باب قصـر الأمارة بـالكوفـة فركض رجله فتـزلزلت الأرض ، ثم قـال : أما والله لـو علمتم ما هٰهنـا ، أما والله لـو قد قام قـائمنا لأخـرج من هذا المـوضع اثني عشـر ألف درع واثني عشر ألف بيضـة لهـا وجهـان ، ثم ألبسهـا اثني عشـر ألف رجـل من ولـد العجم ، ثم ليـأمرهم ليقتلوا كـل من كان على خـلاف ما هم عليـه وإني لاعلم ذلـك وأراه كما أعلم هـذا اليـوم وأراه ، ودخـل يهـودي على أبي بكر فسأله أخبرني عمـا ليس لله وعما ليس عنـد الله وعما لا يعلمـه الله ؟ فقال أبو بكر : هذه مسائل الـزنادقـة وهم به المسلمـون وكان ابن عبـاس حاضراً فقال : ما انصفتموه إن كان عنـدكم جوابـه فاجيبـوه وإلاّ فاذهبـوا بـه إلى من يجيبـه فـأني سمعت رسـول الله ﷺ يقـول لعلي بن أبي طالب : اللّهمَّ أهد قلبـه وثبت لسانـه . قال فقـام أبو بكـر ومن حضر من المهـاجرين والأنصـار حت أتوا عليـاً فاستـأذنـوا عليـه ودخلوا فقـال أبـو بكر : يا أبا الحسن أن هذا اليهـودي سألني عن مسـائل الـزنادقـة ، فقال علي ﷺ لليهودي : ما تقول يا يهـودي ؟ قال : إني أسـألك عن أشيـاء لا يعلمهـا إلاّ نبي أو وصي نبـي فقـال علي عليه السلام : سـل يـا يهـودي فإنبئك بـه . قـال: أخبرني عمـا لي لله وعما ليس عنـد الله وعما لا يعلمـه

الله ؟ فقال : أما قولك أخبرني عما ليس لله فليس لله شريك ، وأما قولك عما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد ، وأما قولك عما لا يعلمه الله فذلك قولكم عزير بن الله والله لا يعلم أن له ولداً . فقال اليهودي : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وأنك وصيه فقام أبو بكر ومن معه من المهاجرين فقبلوا رأس أمير المؤمنين وقالوا : يا مفرج الكرب .

وروي أن يوماً من الأيام حضر الناس عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب بالكوفة ويقول : سلوني قبل أن تفقدوني فإني لا أسئل عن شيء دون العرش إلاّ أجبت لا يقولها بعدي إلاّ مدع أو كذاب مفتر ، فقام إليه رجل من جنب مجلسه في عنقه كتاب كالمصحف فصاح رافعاً صوته أيها المدعي لما لا يعلم والمتقدم لما لا يفهم أنا أسألك فأجب ؟ قال : فوثب أصحابه وشيعته من كل ناحية وهموا به فنهرهم علي عليه السلام وقال دعوه ولا تعجلوه فإن العجلة والبطش لا تقوم بهما حجج الله ولا بإعجال السائل تظهر براهين الله عزّ وجلّ . ثم إلتفت إلى السائل وقال : سل بكل لسانك ومبلغ علمك أجبك إن شاء الله بعلم لا يختلج به الشكوك ولا يهجنه دنس ريب الزيغ ولا قوّة إلاّ بالله . قال الرجل : كما بين المشرق والمغرب ؟ قال علي عليه السلام : مسافة الهواء . قال الرجل : وما مسافة الهواء ؟ قال علي عليه السلام : دوران الفلك . قال : وما دوران الفلك ؟ قال عليه السلام : مسيرة يوم للشمس . قال: صدقت . قال : فمتى القيامة ؟ قال عليه السلام : عند حضور المنية وبلوغ الأجل . قال : صدقت . قال : فكم عمر الدنيا ؟ قال عليه السلام : سبعة لا تحديد ، قال : صدقت . قال : فأين بكة من مكة ؟ قال : مكة أكناف الحرم وبكة موضع البيت قال : صدقت . فلم سُميت فلِمَ سُميت مكة ؟ قال عليه السلام : لأن الله عزّ وجلّ مد الأرض من تحتها ، قال : صدقت . فلِمَ سُميت بكة ؟ قال عليه السلام : لأنها بكت (بكت : أي دقت) رقاب الجبارين وعنوق المذنبين ، قال : صدقت . فأين كان الله

قبل أن يخلق عرشه ؟ قال عليه السلام : سبحان من لا تدركه الأبصار ولا تدرك صنفته حملة العرش على قرب ربواتهم (الربوة : الارتفاع) من كرسي كرامته ولا الملائكة من زاخر رشحات جلاله ويحك لا يُقال لله اين ولا ثم ولا فيم ولا أي ولا كيف . قال : صدقت ، فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ؟ قال عليه السلام : اتحسن أن تحسب ؟ قال الرجل : نعم ، قال عليه السلام : لعلك لا تحسن أن تحسب ؟ قال : بلىٰ إني لأحسن أن أحسب ، قال عليه السلام : رأيت أن صب خردل في الأرض حتى سد الهواء وما بين الأرض والسماء ، ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق والمغرب ومد في عمرك وأعطيت القوة على ذلك حتى تنقله وأحصيته كان ذلك أيسر من أن احصي عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ، وإنما وصفت منقصه عشر عشر العشر من جزء من مائة ألف جزء واستغفر الله عن التحديد والتقليل . قال : فحرك الرجل رأسه بعد ذلك وأنشأ يقول :

أنت أصيل العلم ياذا الهدىٰ ... تجلو من الشك الغياهيبا
لا تنثني عن كل أشكولة ... تبدي إذا حلت أعاجيبا
لله در العلم من صاحب ... يطلب إنساناً ومطلوبا

ومن طرائف الأخبار أن أعرابياً سأل أمير المؤمنين عليه السلام قال : رأيت كلباً وطىء شاة فاولدها ولداً فما حكم ذلك في الحل ؟ فقال عليه السلام : اعتبره بالأكل فإن أكل لحماً فهو كلب وإن أكل علفاً فهو شاة ، فقال الأعرابي : رأيته يأكل هذا تارة وهذا تارة ، فقال : اعتبره في الشرب فإن كرع فهو شاة وإن ولغ فهو كلب ، فقال الأعرابي : يلغ تارة ويكرع أخرى ، فقال : اعتبره في المشي مع الماشية فإن تأخر عنها فهو كلب وإن تقدم أو توسط فهو شاة ، فقال : وجدته مرّة هكذا ومرّة هكذا ، فقال : اعتبره في الجلوس فإن أبرك فهو شاة وإن أقعى فهو كلب . قال : إنه يفعل هذا مرّة وهذا مرة ، فقال : اذبحه فإن

وجدت له كرشاً فهو شاة وإن وجدت له أمعاء فهو كلب فبهت الأعرابي عند دلك من علم أمير المؤمنين عليه السلام.

ويروى أن رجلاً أتي به إلى عمر بن الخطاب وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سألوه كيف أصبحت؟ قال : أصبحت أحب الفتنة واكره الحق واصدق اليهود والنصارى وأؤمن بما لم أره وأقر بما لم يخلق فرفع إلى عمر فأرسل عمر إلى علي عليه السلام، فلما جاءه أخبره بمقالة الرجل قال : صدق يحب الفتنة. قال الله تعالىٰ : إنما أموالكم وأولادكم فتنة ويكره الحق الموت ، قال الله تعالىٰ : وجاءت سكرة الموت بالحق ويصدق اليهود والنصارى قال الله تعالىٰ : وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ويومن بما لم يره يؤمن بالله عزّ وجلّ ولم يره ويقر بما لم يخلق يعني الساعة فقال عمر : أعوذ من معضلة لا علي لها .

وروى عمرو بن بحر الجاحظ المعتزلي عن النظام في كتاب الفتيا ما ذكر عمر بن داود عن مولانا الصادق عليه السلام قال : كان لفاطمة عليها السلام جارية يُقال لها فضة فصارت من بعدها لعلي عليه السلام فزوجها من ابن ثعلبة الحبشي فأولدها أبنا ، ثم مات عنها أبو ثعلبة فتزوجها من بعده سليك الغطفاني ، ثم توفي إبنها من أبي ثعلبة فامتنعت من سليك أن يقربها فاشتكاها إلى عمر وذلك في أيامه فقال لها عمر : ما يشتكي منك سليك يا فضة ؟ فقالت : أنت تحكم في ذلك وما يخفى عليك أكثر مما ظهر لديك ، فقال عمر ما أجد لك رخصة ؟ فقالت : يا أبا حفص ذهب بك المذاهب إن إبني من غيره مات فاردت أن استبرء بحيضة فإذا أنا حضت علمت أن ابني مات ولا اخ له وإن كنت حاملاً علمت أن الولد في بطني أخوه ، فقال عمر : شعرة من آل أبي طالب أفقه من جميع آل خطاب ، وفي رواية من عدي :

ويروى أن عمر بن الخطاب أراد أن يرجم امرأة مجنونة فقال له

أميـر المؤمنين عليه السلام : ما لـك أمـا سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله يقـول : رفـع القلم عن ثـلاثة عن النـائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتـى يعقـل ، وعن الطفل حتى يحتلم قال فخـلا سبيلهـا وقـال لـولا علي لهلك عمـر .

وبـالإسناد عن إلـواقدي عن جـابر عن سلمـان الفـارسي رضي الله عنه أنه جاء إلى عمر بن الخطاب غلام يافع فقـال له : أن أمي جحـدت حقي من ميـراث أبي وانكرتني ، وقـالت لست بولـدي فاحضـرهـا وقـال لهـا : لِم جحدت ولـدك هذا الغـلام وانكرتـه ؟ قـالت : إنـه كـاذب في زعمه ولي شهود بـأني بكر عـاتق ما عـرفت بعلاً وكـانت قد أرشت سبعـاً من النسـاء كل واحـدة بعشرة دنـانيـر أن يشهـدن أنهـا بكـر فـطلب عمـر الشهـود فاحضـرتهن بين يديـه فقال : اتشهـدن فقلن نشهد أنهـا بكـر لم يمسهـا ذكر ، فقـال الغلام : بيني وبينهـا عـلامـة أذكـرهـا لهـا عسىٰ أن تعـرف ذلك فقـالت له : قـل ما بـدا لك ؟ فقـال الغلام : كـان والـدي شيخاً لسعد بن مـالك أو قـال الحارث المزني وإني رزقت في عام شـديد المحل وبقيت عامين كاملين ارضع شـاة ، ثم أنني كبرت وسـافر والـدي مـع جماعـة فعادوا ولم يعد والدي معهم فسألتهم عنـه فقالـوا : إنه درج فلما عرفت والد تي الخبر أنكـرتني وقد أخـرتني الحاجـة ، فقال عمـر : هـذا مشكـل لا يحله إلاّ نبي أو وصي نبي فقـومـوا بنـا إلى أبي الحسن علي فمضى الغـلام وهو يقـول : أين منزل كـاشف الكروب أين خليفـة هـذه الأمة حقـاً فجـاؤوا بـه إلى منـزل علي بن أبي طـالب فـوقف هنـاك يقول : يا كاشف الكروب فقـال له الإمـام مالـك : يا غـلام فقال : يـا مـولاي أمي جحـدتني حقي وانكـرتني أني لم أكن ولـدهـا فقـال الإمـام عليه السلام : أين قنبـر فأجـابـه لبيك يـا مـولاي ، فقـال عليه السلام : امض واحضـر الإمـرأة إلى مسجد رسـول الله صلى الله عليه وآله فمضى قنبر واحضـرها بين يـدي الإمام فقال لها : ويلك لِم جحـدت ولدك ؟ فقـالت له : يـا أمير المؤمنين أنـا بكـر ليس لي ولـد ولم يمسني بشـر وأنت يـا مـولاي احضـر لي قـابلة تنظرني فاحضـر قابلة فلمـا خلت بها أعـطتها سـواراً كان في عضـدها ،

وقالت لها أشهدي بأني بكر فلما خرجت من عندها قالت : يا مولاي إنها بكر ، فقال عليه السلام : كذبت العجوز يا قنبر عزرها وخذ منها السوار قال قنبر فأخرجته من كتفها فعند ذلك ضج الخلائق فقال الإمام عليه السلام اسكتوا فأنا عيبة علم النبوة ، ثم قال للجارية : أنا زين الدين أنا قاضي الدين أنا أبو الحسن والحسين أريد أن أزوجك من هذا الغلام المدعي عليك فتقبلينه مني زوجاً ؟ فقالت : لا يامولاي أتبطل شرع محمداً صلى الله عليه وآله ؟ فقال لها بماذا ؟ قالت : تزوجني بولدي كيف يكون ذلك ؟ فقال عليه السلام الله أكبر جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً وما منعك قبل هذه الفضيحة ؟ فقالت : يا مولاي خشيت على الميراث ، فقال : استغفري الله تعالىٰ ، ثم اصلح بينهما فالحق الولد بوالدته وبارث أبيه وصلّىٰ الله على محمد وآله وسلّم .

وفي المناقب لموفق بن أحمد الخوارزمي بسنده أن رجلين أودعا عند امرأة من قريش مائة دينار وأمراها أن لا تدفع إلى أحد منهما دون صاحبه فأتاها أحدهما فقال : إن صاحبي قد هلك فادفعي إلي المال فأبت فاستشفع إليها ومكث يختلف إليها ثلاث سنين قال فدفعت إليه المال ثم جاء إليها صاحبه فقال : أعطني مالي فقالت له : قد أخذه صاحبك فارتفعوا إلى عمر فقال له عمر : ألك بينة ، فقال : هي بينتي . قال : ما أراك إلاّ ضامنة ، فقالت : أنشدك الله الاّ ما رفعتنا إلى علي بن أبي طالب . قال : فرفعهما إليه فأتوه في حائط له وهو يسبل الماء وهو متزر بكساء فقصوا عليه القصة فقال للرجل : ائتني بصاحبك وعلي متاعك فانصرفوا .

وأيضاً بسنده قال شرب قوم الخمر بالشام فبعثوا بهم إلى عمر فلما أتوه سألهم عن ذلك ؟ قالوا : نعم شربناها وهي لنا حلال ، فقال : أو ليس يقول الله عزّ وجلّ : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ الآية ، فقالوا : ويقول الله عزّ وجلّ : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى قوله والله يحب

المحسنين﴾ فنحن من الذين آمنوا وأحسنوا فاستشار عمر فيهم أصحاب النبي فردوا المشورة إليه قال وكان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً في القوم ساكت ، فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال عليه السلام : إنهم قوم إفتروا على الله واحلوا ما حرّم الله فأرى أن تستتيبهم فإن ثبتوا وزعموا أن الخمر حلال ضربت أعناقهم وإن رجعوا ضربتهم ثمانين جلدة فدعاهم فاسمعهم مقالة علي ، ثم قال ما تقولون ؟ فقالوا : نستغفر الله ونتوب إليه ونشهد أن الخمر حرام وإنما شربناها ونحن نعلم بحرمتها فضربهم ثمانين جلدة وأطلقهم .

وأيضاً بسنده قال : أُتي عمر بامرأة قد نحكت في عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها من بيت المال ، وقال لا أجيز مهراً ارد نكاحه وقال لا يجتمعان أبداً فبلغ علياً ذلك فقال له : يا عمر وإن كانوا جهلوا السنة فلها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب فخطب عمر بالناس ، وقال : لولا علي لهلك عمر ردوا الجهالات إلى السنة وردوا قول عمر إلى علي عليه السلام .

وأيضاً بسنده قال لما كان في زمن عمر أتي بامرأة حامل سألها عمر فاعترفت بالفجور فأمر بها عمر أن ترجم فلقيها علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : ما بال هذه المرأة ؟ فقالوا : أمر بها عمر أن ترجم ، فردها عليه السلام فأتى عمر وقال له : أنت أمرت بها أن ترجم ؟ قال : نعم اعترفت عندي بالفجور ، فقال عليه السلام : هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها فخلا سبيلها وقال لولا علي لهلك عمر .

وأيضاً بسنده قال : أوتي عند عمر بن الخطاب بامرأة وضعت ولداً لستة أشهر فهم برجمها فقال علي عليه السلام : ليس عليها رجم لقوله تعالىٰ : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً فحولين تمام الرضاعة﴾ وهي أربعة وعشرون شهراً فبقيت ستة أشهر وهي مدة

الحمل فخلا سبيلها ، وقال : اللّهمّ لا تبقي لمعضلة ليس لها علي حياً عقمت النساء أن يلد ن علياً لولا علي لهلك عمر .

قال سعيد بن المسيب قالها سبعين مرّة في سبعين وقعة .

وأيضاً روي أن رجلاً تزوج بخنثىٰ لها فرج كفرج الرجال وفرج كفرج النساء وأصدقها جارية كانت له ودخل بها وأصابها فحملت منه الخنثىٰ ، ثم أن الخنثى وطئت الجارية التي أصدقها زوجها فحملت منها وجاءت بولد ، فاشتهرت قصتهما ورفع أمرهما إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسئل عن أحوال الخنثىٰ فاخبر أنها تحيض وتطأ وتوطأ من الجانبين وقد حبلت وأحبلت ، فصار الناس متحيري الأفهام في جوابها فاستدعىٰ أمير المؤمنين عليه السلام زوجها فاقر بذلك فقال له علي عليه السلام : إنك لأجسر من خاصي الأسد ثم أمر عليه السلام قنبراً وامرأتين أن يأخذوا الخنثىٰ ويعدوا أضلاعها من الجانبين ففعلوا ذلك ، ثم خرجوا إليه فقالوايا أمير المؤمنين عدد أضلاع الجانب الأيمن ثمانية عشر ضلعاً وعدد أضلاع الجانب الأيسر سبعة عشر ضلعاً فحكم عليه السلام أنها رجل وأمر حجاماً بحلق رأسها واعطاها رداءاً وألحقها بالرجال فقال زوجها امرأتي وابنة عمي ألحقتها بالرجال ممن أخذت هذه القضية ؟ فقال عليه السلام : من آدم لأن أمنا حواء خُلقت من ضلع من أضلاع آدم فاضلاع الرجل أقل من أضلاع المرأة .

ومن قضائه المشهور ما رواه الخاصة والعامة أنه صلوات الله عليه رأى شاباً يبكي فسأله عن السبب ؟ فقال : إن أبي سافر مع هؤلاء الجماعة فلم يرجع حين رجعوا وكان ذا مال عظيم فرفعتهم إلى شريح وحكم علي بحكم لا أدري ما هو فقال عليه السلام متمثلاً :

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا يا سعد تورد الإبل

فقال عليه السلام : أرجعوهم فردوهم جميعاً والفتى معهم إلى شريح ، فقال لشريح : كيف قضيت بين هؤلاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين ادعى

هـذا الغلام على هؤلاء النفـر أنهم خرجـوا في سفر وأبـوه معهم فرجعـوا ولم يـرجع أبـوه فسألتهم عنـه ؟ فقالـوا : مـات ، فسـألتهم عن مـالـه ؟ فقـالوا : مـا خلف شيئاً ؟ فقلت : للفتى هـل لك بينـة على ما تـدعي ؟ قـال : لا فاستحلفتهم فقـال علي ﵇ : يا شـريح هيهـات هكـذا تحكم في مثل هذا ؟ فقـال : كيف هذا يـا أمير المؤمنين ؟ فقـال علي ﵇ : يا شـريح لأحكمن فيـه بحكم مـا حكم بـه خلق قبلي إلاّ داود النبي ﵇ ، ثم قـال يا قنبـر ادع ادع لي شرطـة الخميس فدعـاهم فوكـل بكل واحـد منهم رجـلاً من الشرطـة ، ثم نظر إلى وجـوههم فقـال : مـاذا تقـولـون أتقـولون أني مـا أعلم ما صنعتم بـأبي هـذا الفتىٰ أني إذاً لجـاهـل ، ثم قـال ﵇ : فرقـوهم وغطوا رؤوسهم ففـرق بينهم وأقيم كـل واحـد منهم في أسـطوانة من أسـاطين المسجد ورؤوسهم مغـطاة بثيـابهم ، ثم دعـا بعبـد الله بن أبي رافع كـاتبه فقـال : هات صحيفـة ودواة وجلس ﵇ في مجلس القضاء واجتمع إليـه الناس ، فقـال : إذا أنا كبـرت فكبّروا ، ثم قال للناس : افرجوا ثم دعـا بواحـد منهم فاجلسـه بين يديـه فكشف عن وجهـه ، ثم قـال لعبـد الله : أكتب إقـراره وما يقـول ، ثم أقبـل عليـه بـالسؤال ، ثم قال ﵇ لـه : في أي يوم خـرجتم من منازلكم وأبـو هـذا الفتىٰ معكم ؟ فقـال الرجـل : في يوم كـذا وكذا ، فقـال ﵇ : وفي أي شهـر ؟ قال : في شهـر كذا وكـذا ، فقال : وإلى أين بلغتم من سفـركم حين مـات أبو هـذا الفتىٰ ، قال : إلى مـوضع كـذا وكـذا ، قـال ﵇ : وفي أي منـزل ؟ قال : في منـزل فلان وفـلان ، قال ﵇ : ومـا كان من مرضه ؟ قال : كذا وكذا ، قال ﵇ : كم يوماً مـرض ؟ قال : كـذا وكذا يـوماً ، قـال ﵇ : فمن كان يمـرضه وفي أي يـوم مـات ومن غسله وأين غسل ومن كفنه وبمـاذا كفن ومن صلّى عليه ومن نـزل قبره ؟ فلمـا سألـه عن جميع ما يريد كبّـر ﵇ وكبّـر النـاس معه فـارتاب أُولئـك البـاقـون ولم يشكوا أن صاحبهم قـد أقرّ عليهم وعلى نفسـه فأمـر أن يُغطىٰ رأسـه وأن ينـطلقوا بـه إلى الحبس ، ثم دعا بـآخـر وأجلسـه بين يـديـه وكشف عن

وجهه ، ثم قال ﷺ؛ كلا زعمت أني لا أعلم ما صنعتم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أنا إلاّ واحد من القوم ولقد كنت كارهاً لقتله فأقر ، ثم دعا واحداً بعد واحد فكلهم يقر بالقتل ، وأخذ المال ، ثم رد من كان أمر به إلى السجن فأقر أيضاً فالزمهم المال والدم .

فقال شريح : يا أمير المؤمنين وكيف كان حكم داود النبي ، فقال ﷺ : إن داود مرّ بغلمة يلعبون وينادون بعضهم مات الدين ، قال له داود : من سماك بهذا الاسم ؟ قال : أُمي فانطلق إلى أُمه فقال : يا امرأة ما اسم إبنك هذا ؟ قالت : مات الدين ، فقال لها : ومن سماه بهذا الاسم ؟ فقالت : أبوه ، قال : وكيف كان ذلك ؟ قالت : أن أباه خرج في سفر له ومعه قوم وهذا الصبي حمل في بطني فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي فسألتهم عنه ؟ فقالوا : مات ، قلت : أين ما ترك ؟ قالوا : لم يخلف مالاً ، فقلت : أوصاكم بوصية ؟ قالوا : نعم زعم أنك حبلى فما ولدت من ذكر أو أُنثىٰ فسميه (مات الدين) ، فقال داود : تعرفين القوم الذين كانوا خرجوا مع زوجك ؟ قالت : نعم ، فقال : أحياء هم أم أموات ؟ قالت : بل أحياء ، قال : فانطلقي معي إليهم . ثم مضىٰ معها فاستخرجهم من منازلهم فحكم عليهم بهذا الحكم فثبت عليهم المال والدم . ثم قال للامرأة سمىٰ إبنك (عاش الدين) ، ثم أُم الفتىٰ والقوم اختلفوا في مال أبي الفتى كم كان فأخذ على خاتمه وجميع خواتيم عدة ، ثم قال ﷺ : اجيلوا هذه السهام فايكم أخرج خاتمي فهو الصادق في دعواه لأنه سهم الله عزّ وجلّ وهو سهم لا يخيب .

وروى صاحب كتاب «درر المطالب» أن إمرأة ولدت على فراش زوجها ولداً له يدان ورجلان ورأسان على حقو واحد فالتبس الأمر على أهله أنه واحد أم إثنان فصاروا إلى أمير المؤمنين يسألونه ليعرفوا الحكم فيه فقال لهم : اعتبروه إذا نام ثم نبهوا أحد اليدين والرجلين والرأسين فإن انتبها جميعاً معاً في حالة واحدة فهو إنسان واحد وإن استيقظ

أحدهما دون الاخر فهما إثنان .

وفيه أن إمرأتين جاءتا إلى أمير المؤمنين ومعهما طفل أدعته كل منهما فوعظهما ، فلم يرجعا ، فقال عليه السلام : يا قنبر آتني بالسيف ؟ فقالتا : ما تصنع به ؟ فقال : أشقه نصفين واعطي كلا منكما نصفاً ، فرضيت إحداهما وصاحت الأخرىٰ وقالت : يا أمير المؤمنين إن كنت لا بد فاعلاً فاعطها إياه فعرف عليه السلام أنه ولدها ولا شيء لتلك فاعطاه إياها وطرد الأخرىٰ .

وفي المناقب : عن عمر بن حماد بإسناده عن عبادة بن الصامت قال : قدم قوم من الشام حجاجاً فاصابوا دحى نعامة فيه خمس بيضات وهم محرمون فشووهن واكلوهن ، ثم قالوا : ما أرانا إلّا وقد أخطأنا وأصبنا الصيد ونحن محرمون فأتوا المدينة فقضوا على عمر القصة ، فقال : أنظروا إلى قوم من أصحاب رسول الله فاسألوهم عن ذلك فيحكموا فيه ، فسألوا جماعة من أصحابه فاختلفوا في الحكم في ذلك ؟ فقال عمر : إذا اختلفتم فها هنا رجل كنا إذا إختلفنا في شيء يحكم فيه ، فأرسل امرأة يُقال لها عطية فاستعار منها أتاناً فركبها وانطلق بالقوم معه حتى أتى علياً عليه السلام ، فقال علي : مرهم فليعمدوا إلى خمس قلايص من الإبل فليطر قوها للفحل فإذا أنجبت أهدوا ما نتج منها جزاء عما أصابوا ، فقال عمر : يا أبا الحسن إن الناقة قد تجهض ، فقال علي وكذلك البيضة قد تمرق ، فقال عمر : فلهذا أمرنا أن نسألك .

وفيه بالإسناد يرفعه إلى كعب الأحبار قال : قضى علي قضية في زمن عمر الخطاب قالوا إجتاز عبد مقيد على جماعة فقال أحدهم : إن لم يكن في قيده كذا وكذا فامرأته طالق ثلاثاً فقال الآخر : إن كان فيه كما قلت فامرأته طالق ثلاثاً ؟ قال : فقاما فذهبا مع العبد إلى مولاه فقالا له : أنا حلفنا بالطلاق ثلاثاً على قيد هذا العبد فحله نزنه ، فقال

سيده : امرأته طالق ثلاثاً إن حل قيده فطلق الثلاثة نساءهم فارتفعوا إلى عمر بن الخطاب وقصوا عليه القصة ، فقال عمر : مولاه أحق به فاعتزلوا نساءهم، قال : فخرجوا وقد وقعوا في الحيرة فقال بعضهم لبعض : إذهبوا بنا إلى أبي الحسن لعله أن يكون عنده شيء من هذا فأتوه فقصوا عليه القصة فقال عليه السلام لهم : ما أهون هذا ، ثم أنه عليه السلام أخرج جفنة وأمر أن يحط العبد رجله فيها وأن يصب الماء عليها ، ثم قال عليه السلام : إرفعوا قيده من الماء فرفع قيده وهبط الماء فارسل عوضه زبراً من الحديد إلى أن صعد الماء إلى موضع كان فيه القيد ، ثم قال عليه السلام أخرجوا هذا الحديد وزنوه فإنه وزن القيد ، قال : فلما فعلوا ذلك وانفصلوا دخلت نساءهم عليهم ، ثم خرجوا وهم يقولون : نشهد أنك يا أمير المؤمنين غيبة علم النبوة .

وقضى عليه السلام بالبصرة لقوم حدادين من قوم ، فقال أصحاب الحديد : كذا وكذا مناً ، فصدقوهم وابتاعوه ، فلما حملوا الباب على أعناقهم قالوا للمشترين بخلاف ما ذكروه أولاً فسألوهم الحطيطة فأبوا وأنكروا فارتجعوا عليهم فصاروا إلى أمير المؤمنين فقال : أدلكم أحملوه إلى الماء فحمل وطرح في زورق صغير وعلم علي الموضع الذي بلغه الماء ، ثم قال : ارجعوا مكانه تمراً موزوناً فما زالوا يطرحون شيئاً بعد شيء موزون حتى بلغ الغاية ، قال : كم طرحتم ؟ قالوا : كذا وكذا مناً ورطلاً . فقال عليه السلام : وزنه هذا .

وروى النضر بن سويد يرفعه : أن رجلاً حلف أن يزن فيلاً ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يدخل الفيل سفينته . ثم ينظر إلى موضع مبلغ الماء من السفينة فيعلم عليه ، ثم يخرج الفيل ويلقي في السفينة حديداً أو صفراً أو ما شاء فإذا بلغ الموضع الذي علم عليه أخرجه ووزنه .

وفي الكافي والتهذيب : باسنادهما عن أبي الصباح الكنائي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أتي عمر بامرأة وزوجها شيخ فلما أن واقعها

مات على بطنها فجاءت بولد فادعىٰ بنوه أنها فجرت وتشاهدوا عليها فأمر بها عمر أن ترجم ، فمر بها علي عليه السلام فقالت : يابن عم رسول الله أن لي حجة ؟ فقال : هاتي حجتك ، فدفعت إليه كتاباً فقرأه ، فقال عليه السلام : هذه المرأة تعلمكم بيوم زوجها ويوم واقعها كيف كان فردوا المرأة ، فلما كان من الغد دعىٰ عليه السلام بصبيان أتراب ودعا بالصبي معهم ، فقال : العبوا حتى ألهاهم باللعب فقال لهم : أجلسوا حتى تمكنوا ، ثم صاح بهم بأن قوموا فقام الصبيان وقام الغلام فاتكى على راحتيه فدعا به أمير المؤمنين فاورثه من أبيه وجلد أخوته حداً ، فقال له عمر : كيف صنعت ؟ قال : عرفت ضعف الشيخ في اتكاء الغلام على راحتيه .

فصل

في إخباره بالمغيبات

وهي موارد كثيرة ، نذكر بعضها : فمن ذلك أخباره جماعة من أصحابه بالقتل منهم ميثم التمار ، قال له عليه السلام : تؤخذ بعدي وتصلب وتطعن بحربة فإذا كان اليوم الثالث ابتدرت منخراك وفمك دماً فتخضب لحيتك فانتظر ذلك الخضاب تصلب على باب عمر بن حريث عاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة وامضِ حتى أريك النخلة التي تصلب بأمر عبيد الله بن زياد على جذعها فأراه إياها وكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول : بوركت من نخلة لك خُلقت ولي غذيت ، ولم يزل معاهدها حتى قطعت وحتى عرف الموضع الذي يصلب عليه بالكوفة ، قال وكان يلقي عمرو بن حريث فيقول : إني مجاورك فاحسن جواري، فيقول له عمرو أتريد أن تشتري دار ابن حكيم وهو لا يعلم ما يريد وحج في السنة التي قتل فيها فدخل على أم سلمة (رض) فقالت : من أنت ؟ قال : أنا ميثم ، قالت : والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرك ويوصي بك علياً في جوف الليل فسألها عن الحسين عليه السلام؟ فقالت : هو في حائط له ، قال : أخبريه

أني قد أحببت السلام عليه ونحن ملتقون عند رب العالمين فدعت بطيب وطيب لحيته وقالت : أما أنها ستخضب بدم ، ثم خرج من دار أم سلمة فإذا ابن عباس جالس فسلّم عليه ، ثم قال : يابن عباس سلني ما شئت من تفسير القرآن فإني قرأت تنزيله على أمير المؤمنين عليه السلام وعلمني تأويله ، فقال : يا جارية عليَّ بالدوات والقرطاس ، ثم أقبل يكتب فقال : يابن عباس كيف بك إذا رأيتني مصلوباً ؟ فقال ابن عباس : وتكهن أيضاً وخرق الكتاب فقال : مه احتفظ بما سمعت مني فإن بك ما أقول لك حقاً امسكت وإلاّ خرقته ، قال هو ذلك ، ولما قدم الكوفة بعث إليه عبيد الله بن زياد (لع) فادخل عليه فقيل له هذا كان من آثر الناس عند علي عليه السلام قال : ويحكم هذا الاعجمي قيل له : نعم ، فقال له: يا ميثم أين ربك ؟ قال : بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة ، قال : أخبرني ما أخبرك صاحبك إني فاعل بك ، قال : أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة أنا أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة ، قال : لنخالفنه ، قال : كيف تخالفه فوالله ما أخبر إلاّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عن الله تعالىٰ ، فكيف تخالف هؤلاء ولقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه وأين هو من الكوفة وأنا أول خلق الله ألجم فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة ، فقال ميثم للمختار : إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يقتلنا ، فلما دعى عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إليه يأمره بتخلية سبيل المختار فخلاه وأمر بميثم أن يصلب فأخرج فقيل له ما كان أغناك عن هذا ؟ فتبسم وقال وهو يومىء إلى النخلة لك خلقت ولي غذيت ، فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله عند باب عمرو بن حريث ، فقال عمرو : قد كان والله يقول أني مجاورك ، فلما صلب ميثم أمر عمرو جاريته بكنس تحت خشبته ورشه وتجميره ، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم فقيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد ، فقال : ألجموه وكان أول خلق الله ألجم في

الإسلام وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين بن علي العراق بعشرة أيام فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن ميثم بالحربة فكبر ، ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً .

وفي بعض الروايات بالإسناد إلى صالح بن ميثم قال : أخبرني أبو خالد التمار قال كنت مع ميثم التمار بالفرات يوم الجمعة فهبت ريح وهو في سفينة من سفن الرومان قال فخرج فنظر إلى الريح ، فقال : شدوا برأس سفينتكم إن هذا ريح عاصف مات معاوية الساعة ، قال : فلما كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشام فلقيته فاستخبرته فقلت له : يا عبد الله ما الخبر ؟ قال : الناس على أحسن حال توفي معاوية وبايع الناس يزيد ، قال قلت : أي يوم توفي ؟ قال : يوم الجمعة .

وبالإسناد إلى حنان بن سدير عن أبيه عن جده قال : قال لي ميثم التمار ذات يوم : يا أبا حكيم إني أخبرك بحديث وهو حق ، قال فقلت : يا أبا صالح بأي شيء تحدثني ؟ قال : إني أخرج العام إلى مكة فإذا قَدِمْتُ القادسية راجعاً أرسل إليَّ عبيد الله بن زياد رجلاً في مائة فارس حتى يجيىء بي إليه فيقول لي أنت من هذه السبائية الخبيثة المحترقة التي قد يبست عليها جلودها وأيم الله لأقطعن يدك ورجلك ، فأقول : لا رحمك الله فوالله لعلي كان أعرف بك من حسن حين ضرب رأسك بالدرة ، فقال له الحسن : يا أبة لا تضربه فإنه يحبنا ويبغض عدونا ، فقال له علي عليه السلام مجيباً له : اسكت يا بني فوالله لأنا أعلم به منك فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لولي لعدوك وعدوٌ لوليك ، قال فيأمرني عند ذلك فاصلب فأكون أول هذه الأمة ألجم بالشريط في الإسلام فإذا كان اليوم الثالث فقد غابت الشمس أو لم تغب إبتدر منخراي دماً على صدري ولحيتي ، قال : فرصدنا فلما كان اليوم الثالث فقد غابت الشمس أو لم تغب إبتدر منخراه على صدره ولحيته دماً ، قال فاجتمعنا سبعة من التمارين فانعدنا بحمله

فجئت إليه ليلاً والحراس يحرسونه وقد أوقدوا النار ، فحالت النار بيننا وبينهم فاحتملناه بخشبة حتى انتهينا به إلى فيض من ماء في مراد في الخراب وأصبح فبعث الخيل فلم تجد شيئاً .

وفي رواية قال ميثم للناس وهو مصلوب : سلوني قبل أن أُقتل فوالله لأخبرتكم بعلم ما يكون إلى أن تقوم الساعة وما يكون من الفتن ، فلما سأله الناس حدثهم حديثاً واحداً إذ أتاه رسول من قبل ابن زياد فالجمه بلجام من شريط وهو أول من أُلجم بلجام وهو مصلوب .

ومنهم رشيد الهجري يروي أن أمير المؤمنين كان يسميه رشيد البلايا لأنه عليه السلام كان ألقي إليه علم البلايا والمنايا فكان إذا لقي الرجل ، قال له : أنت تموت بميتة كذا وتقتل أنت يا فلان بقتلة كذا وكذا فيكون كما يقول .

وروى بالإسناد عن فضيل بن الزبير قال : خرج أمير المؤمنين إلى بستان البرني ومعه أصحابه فجلس تحت نخلة ، ثم أمر بنخلة فلقطت فأنزل منها رطب فوضع بين أيديهم ، قالوا فقال رشيد الهجري : يا أمير المؤمنين ما أطيب هذا الرطب ، فقال : يا رشيد أما أنك تصلب على جذعها ، قال رشيد : فكنت اختلف إليها طرفي النهار أسقيها ومضىٰ أمير المؤمنين عليه السلام قال فجئتها يوماً وقد قطع سعفها ، قلت اقترب أجلي ، ثم جئت يوماً فجاء العريف فقال : أجب الأمير فأتيته فلما دخلت القصر إذا الخشب ملقىٰ فإذا فيه لزرنوق[1] فجئت حتى ضربت الزرنوق برجلي ، ثم قلت لك : غذيت ولي أنبت ثم أُدخلت على عبيد الله بن زياد ، فقال : هات من كذب صاحبك ، فقلت : والله ما أنا بكذاب ولا هو ولقد أخبرني أنك تقطع يدي ورجلي ولساني ، قال : إذن والله نكذبه أقطعوا يديه ورجليه وأخرجوه ،

---

(١) الزرنوق : بالضم والفتح ، منارتان يبنيان على جانب رأس البئر (منه) .

فلما حمل إلى أهله أقبل يحدث الناس بالعظائم وهو يقول : أيها الناس سلوني وإن للقوم عندي طلبة لم يقضوها فدخل رجل على ابن زياد فقال له : ماذا صنعت قطعت يديه ورجليه وهو يحدث الناس بالعظائم قال فأرسل إليه ردوه وقد انتهى إلى بابه فردوه فامر بقطع لسانه وصلبه ، ومنهم : عمرو بن الحمق الخزاعي .

في البحار : أن عمرو بن الحمق كان صاحب رسول الله ﷺ ثم صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وفي كلمات الأئمة كان عبداً أبلته العبادة فانحلت جسمه وصفرت لونه ، ولما قتل أمير المؤمنين طلبه معاوية ليقتله فكان لا يأوي الكوفة فبعث له معاوية الأمان والمواثيق والعهود أن لا يتعرض له بسوء فدخلها فقبض عليه وقتله .

وفيه روى محمد بن علي الصواف عن الحسين بن سفيان عن أبيه شمير ابن سدير الأزدي قال : قال علي عليه السلام لعمرو بن الحمق الخزاعي : أين نزلت يا عمرو ؟ فقال : في قومي ، فقال : لا تنزلن فيهم ؟ قال : أفأنزل في بني كنانة جيراننا ! قال : لا ، قال : أفأنزل في ثقيف ؟ قال : فما تصنع بالمعرة والمجرة ؟ قال : وما هما ؟ قال : عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائل فما يفلت منه أحد ويأتي الآخر فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة فقل من يصيب منهم إنما هو يدخل الدار فيحرق البيت والبيتين ، قال : فأين أنزل في بني عمرو بن عامر من الأزد ؟ قال : فقام قوم حضروا هذا الكلام وقالوا : ما نراه إلاّ كاهناً يتحدث بحديث الكهنة ، فقال : يا عمرو إنك لمقتول بعدي وأن رأسك لمنقول وهو أول رأس ينقل في الإسلام وويل لقاتلك أما أنك لا تنزل بقوم إلاّ أسلموك برمتك إلاّ هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد فإنهم لن يسلموك ولن يخذلوك ، قال : فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في الأحياء خائفاً مذعوراً حتى

نزل في قوم من بني خزاعة فأسلموه فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية وهو أول رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد ، وكان عمرو بن الحمق في جملة من دخل على عثمان يوم الدار على ما نقله جماعة من المؤرخين .

ومنهم : جويرية بن مسهر أخبره ﷺ بقتله وقال له : والذي نفسي بيده لتحملن إلى العتل الزنيم وليقطعن يديك ورجليك ثم لتصلبن ، ولما وُلِيَّ زياد الكوفة فعل به كما قال ﷺ .

ومنهم : حجر بن عدي وكان من أبر أصحاب أمير المؤمنين وكان ذا علم وحلم وشجاعة وكرم وفصاحة أخبره أمير المؤمنين بما يجري عليه بعده من القتل .

قال المسعودي في تاريخ (مروج الذهب) وفي سنة ثلاث وخمسين قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وهو أول من قتل صبراً في الإسلام حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها ، فلما صار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت إبنته تقول ولا عقب له من غيرها :

ترفع أيها القمر المنير	لعلك أن ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب	ليقتله كذا زعم الأمير
ويصلبه على بابي دمشق	وتأكل من محاسنه النسور
تخيرت الجبائر بعد حجر	وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا حجر حجر بني عدي	تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى علياً	وشيخاً في دمشق له زئير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً	ولم ينحر كما نحر البعير
فإن تهلك : فكل عميد قوم	إلى هلك من الدنيا يصير

ولما صار إلى مرج عذراء على إثني عشر ميلاً من دمشق تقدّم البريد بأخبارهم إلى معاوية فبعث برجل أعور ، فلما أشرف على حجر

وأصحابه قال رجل منهم : إن صدق الزجر فإنه سيقتل منا النصف وينجوا الباقون ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : أما ترون الرجل المقبل مصاباً بإحدى عينيه ، فلما وصل إليهم قال لحجر : أن أمير المؤمنين يعني معاوية أمرني بقتلك يا رأس الظلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب وقتل أصحابك إلّا أن ترجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤون منه ، فقال حجر وجماعة ممن كان معه : أن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا إليه ، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار وأجاب نصف من كان معه إلى البراءة من علي ، فلما قدم حجر ليقتل قال : دعوني أصلّي ركعتين فجعل يطول في صلاته ، فقيل له : جزعاً من الموت ؟ فقال : لا ولكني ما تطهرت للصلاة قط إلّا صلّيت وما صلّيت قط أخف من هذه وكيف لا أجزع وأنى لأرى قبراً محفوراً وسيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً ، ثم قدم فنحره والحق به بقية من وافقه على قوله من أصحابه .

ومن أخبره أمير المؤمنين عليه السلام بقتله (كميل بن زياد) رحمه الله ولما وُلِيّ الحجاج طلب كميلاً فهرب منه فحرم قومه عطاياهم ، فلما رأى كميل ذلك أتىٰ الحجاج فلما رآه قال له : لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً ؟ فقال له : كميل والله ما بقي من عمري شيء ، فاقض ما أنت قاض ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي ، فقال له الحجاج : الحجة عليك إذن وأمر به فضربت عنقه .

ومنهم : قنبر مولاه أخبره بقتله ولما جيء به إلى الحجاج قال له : أي قتلة أحب إليك ؟ قال : قد صيرت ذلك إليك ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك لا تقتلني قتله إلّا قتلتك مثلها وبهذا أخبرني مولاي أمير المؤمنين أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق فأمر بذبحه .

ومن ذلك قوله عليه السلام لطلحة والزبير لما استأذناه في الخروج إلى

العمرة إنما تريدان البصرة وأن الله تعالىٰ سيرد كيدهما ويظفرني بهما وكان الأمر كما قال عليه السلام.

ومن ذلك قوله عليه السلام وقد جلس للبيعة يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون واحداً ولا ينقصون واحداً يبايعوني على الموت ، قال ابن عباس: فجزعت لذلك وخفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه فلم أزل مهموماً، قال: فجعلت أحصيهم، فاستوفيت تسعمائة وتسعة وتسعين رجلاً ثم انقطع مجيء القوم فبينما أنا مفكر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل فإذا هو أويس القرني تمام العدد .

ومن ذلك أخباره بقتل ذي الثدية من الخوارج .

ومن ذلك إخباره بأن الخوارج ما عبروا النهر فكان كما قال عليه السلام .

ومن ذلك اخباره عن قتل نفسه بقوله تخضب هذه من هذا وأشار إلى لحيته ورأسه .

ومن ذلك إخباره جويرية بن مسهر العبدي بما يجري في كربلاء روى جويرية قال : لما توجهنا لصفين بلغنا طفوف كربلاء فوقف عليه السلام ناحية من العسكر ثم نظر يميناً وشمالاً وقال : والله هذا مناخ ركابهم وموضع منيتهم فقيل له : يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع ؟ فقال : كربلاء يقتل فيه قوم يدخلون الجنة بغير حساب وكان الناس لا يعلمون ما قال حتى صار من أمر الحسين عليه السلام ما صار .

ومن ذلك إخباره بعمارة بغداد وملك بني العباس وذكر أحوالهم وأخذ المغول الملك منهم كما في (مناقب ابن شهرآشوب)[1] وغيره .

ومنها إخباره بصاحب الزنج وغرق البصرة كما في شرح النهج

---

(١) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف بثلاثة أجزاء .

لابن أبي الحديد ، ومن ذلك إخباره بالإخوان الذين هم من الوهابية في هذا العصر ، كما في خطبة (البيان) المروية عنه عليه السلام وهذا الأمر منه عليه السلام كثير جداً فلنكتف بما نقلناه .

فصل

في شيء مما جاء في زهده وورعه

وعبادته وتقواه

روى أبو نعيم في (الحلية) بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا علي أن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله منها هي زينة الأبرار عند الله تعالىٰ الزهد في الدنيا فجعلك لا تزرء من الدنيا شيئاً .

وفي الأمالي : روى مثل هذا الخبر بإضافة ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضىٰ بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً فطوبىٰ لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب عليك فحق على الله أن يوقفه موقف الكذابين .

ومن كلامه عليه السلام أن إمامكم قد اكتفي من الدنيا بطمريه ويسد فورة جوعه بقرصيه لا يطعم الفلذة في حوله إلاّ في سنة أضحية ولن تقدروا على ذلك فأعينوني بورع وإجتهاد وكأني بقائلكم يقول إذا كان قوت ابن أبي طالب هذا قعد به الضعف عن مبارزة الأقران ومنازلة الشجعان والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكني أيدت بقوة ملكية ونفس بنور بارئها مضيئة هكذا نقل هذه الخطبة في (الخرائج والجرائح) وبينها وبين ما في (نهج البلاغة) تفاوت يمكن أن يُقال من اختلاف الرواة .

وفي البحار خرج عليه السلام يوماً وعليه إزار مرقوع فعوتب عليه فقال : يخشع القلب بلبسه ويقتدي به المؤمن إذا رآه علي .

وخرج يوماً إلى السوق ومعه سيفه ليبيعه فقال : من يشتري مني

هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشف به الكرب عن وجه رسول الله ولو كان عندي من إزار لما بعته وكان عليه السلام ولى على عكبراً رجلاً من ثقيف قال : قال له : إذا صلّيت الظهر غداً فعد إليَّ ، قال الرجل : فعدت إليه في الوقت المعين فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماء فدعا بوعاء مشدود مختوم ، فقلت في نفسي : لقد أمني حتى يخرج إليَّ جوهراً فكسر الختم وحله فإذا فيه سويق فاخرج منه فصبه في القدح وصب عليه ماء فشرب وسقاني فلم أصبر ، فقلت : يا أمير المؤمنين اتضع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرته ، فقال : أما والله ما أختم عليه بخلا به ولكن ابتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن ينقص فيوضع فيه من غيره وأنا أكره أن أدخل بطني إلاّ طيباً فلذلك احترز كما رأيت فإياك وتناول ما لا تعلم حله .

وفي كتاب (ينابيع المودة) للشيخ سليمان الحنفي عن بريدة الأسلمي قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لي جبرائيل : يا محمد أن حفظة علي بن أبي طالب لتفتخر على الملائكة أنها لم تكتب على علي خطيئة منذ صحبته .

وفيه سئل علي عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ ، قال : والله ما عمل بهذا غير أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن ذكرنا الله فلا ننساه ونحن شكرناه فلا نكفره ونحن أطعناه فلا نعصيه ، قال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون .

وفي روضة الواعظين : قال أبو جعفر الباقر عليه السلام : والله إن كان عليّ ليأكل أكل العبد ويجلس جلسة العبد وإن كان ليشتري القميصين السنبلانيتين فيخير غلامه خيرهما ، ثم يلبس الآخر فإذا جاز اصابعه قطعه وإذا جاز كعبه حذفه ولقد ولى خمس سنين وما وضع أجرة على

أجـرة ولا لبنة ولا أقـطع قطيعـة ولا أورث بيضـاً ولا حمـراء ، وإن كـان ليـطعم الناس خبـز البر واللحم وينصـرف إلى منزلـه ويأكـل خبز الشعيـر والزيت والخل ومـا ورد عليه أمـران كلاهمـا لله رضى ألا أخذ بـأشدهمـا على بـدنه ولقـد أعتق ألف مملوك من كديـده تربت فيـه يداه وعـرق فيـه وجهـه ، ومـا أطـاق عمله من النـاس أحـد وإن كـان ليصلّي في اليـوم والليلة ألف ركعـة وإن كان أقـرب الناس شبهـاً بـه علي بن الحسين عليه السلام وما أطاق عمله بعده أحد من الناس .

وفيه سمع رجل من التابعين أنس بن مـالك يقـول نزلت هـذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام (أمن هو قانت آناء الليل ساجـداً وقائمـاً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه)، قال الـرجل : فـأتيت علياً لأنـظر إلى عبادتـه فـاشهد بـالله لقد أتيتـه وقت المغرب فـوجدتـه يصلّي بأصحـابه المغـرب فلمـا فـرغ منهـا جلس في التعقيب إلى أن قـام إلى عشـاء الآخـرة ، ثم دخل منزله فدخلت معه فوجـدته طـول الليل يصلّي ويقـرأ القرآن إلى أن طلع الفجر ، ثم جدد وضـوءه وخرج إلى المسجـد وصلّىٰ بالنـاس صلاة الفجـر ، ثم جلس في التعقيب إلى أن طلعت الشمس، ثم قصـده النـاس فجعل يختصم إليه الرجلان وإذا فرغا قـاما وجـاء آخران إلى أن قـال إلى صلاة الظهر وجدد ضوءه ، ثم صلّىٰ بأصحـابه الـظهر قعـد في التعقيب إلى أن صلّىٰ بهم العصـر ، ثم أتاه النـاس فجعـل يقـوم رجـلان ويقعـد آخـران يقضي بينهم ويفتيهم إلى أن غابت الشمس فخـرجت وأنـا أقـول أشهد بالله أن هذه الآية نزلت فيه عليه السلام .

وعن عـروة بن الزبيـر قال كنـا نتذاكـر في مسجد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعمـال أهل بـدر وبيعة الـرضوان فقـال أبو الـدرداء : ألا أخبركم بـأقـل القـوم مالاً وأكثـرهم ورعاً وأشـدهـم اجتهاداً في العبـادة ، قالـوا : من ؟ قـال : علي بن أبي طلب سلام الله عليـه ، وقال : رأيتـه في حـائط بني النجار يدعو بدعوات وذكر الـدعوات إلى أن قـال : ثم انغمر في الـدعاء فلم أسمـع له حسـاً ولا حركـة ، فقلت : غلب عليه النـوم لطول السهـر

أوقظه لصلاة الفجر فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب فأتيت منزله مبادراً أنعيه إليهم فقالت فاطمة سلام الله عليها : يا أبا الدرداء ما كان شأنه وقصته فأخبرتها الخبر فقال : هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله تعالىٰ ، ثم أتوه بماء فنضحوا على وجهه فافاق ونظر إليّ وأنا أبكي فقال لي عليه السلام: ما بكاؤك يا أبا الدرداء ؟ فقلت : بما أراه تنزله بنفسك ، فقال : كيف بك إذا رأيتني أدعى إلى الحساب وايقن أهل الجرائم بالعذاب واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار واسلمتني الأحباء ورفضتني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة بين يدي من لا تخفى عليه خافية فقال أبو الدرداء : ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وعن سويد بن غفلة قال : دخلت على مولاي أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره فقلت يا مولاي يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال ولا أرىٰ في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت ، فقال عليه السلام: يابن غفلة إن البيت لا يتأثث في دار النقلة ولنا دار قد نقلنا خير متاعنا إليها وإنا عن قليل إليها صائرون ومن كلامه عليه السلام والله ما دنياكم عندي إلاّ كسفر على منهل حلوٍ وصاح بهم سائقهم فارتحلوا وما لذّاتها في عيني إلاّ كحميم أشربه غساقاً وعلقم اتجرعه زعافاً وسم اسقاه دهاقاً وقلادة من نار أرهقها خناقاً .

وفي الكافي : بإسناده عنه عليه السلام أنه قال : أن الله جعلني إماماً لخلقه وفرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس يقتدي بيَّ الفقير بفقري ولا يُطعني الغني غناه .

وفيه : بالإسناد عن حماد بن عثمان قال : حضرت أبا عبد الله عليه السلام وقال له رجل : أصلحك الله ذكرت أن علي بن أبي طالب كان يلبس الخشن يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك

اللباس الجديد ، فقال إن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك فى زمان لا ينكر ولو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به فخير لباس كان لباس أهل زمانه ، غير أن قائمنا أهل البيت إذا قام لبس لباس علي وسار بسيرة علي عليه السلام .

فصل
في تواضعه وحسن خلقه وحلمه وشفقته

كان من حسن خلقه وحسن ملاطفته وطيب عشرته مع أصحابه أن أعداءه نسبوا إليه الدعابة وقالوا : إنه امرؤ تلعابة وقد ذكرت شمائله عليه السلام فكان منها أنه عليه السلام كان بشوش الوجه وكان يفتتح كلامه مع أصحابه بابتسامة .

وفي المناقب عن الصادق عليه السلام كان أمير المؤمنين يحلب ويسقي ويكنس وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز .

وفيه باسانيد مختلفة أنه اشترى تمراً بالكوفة فحمله في طرف ردائه فتبادر الناس إلى حمله وقالوا : يا أمير المؤمنين نحن نحمله فقال عليه السلام : رب العيال أحق بحمله .

وفيه ترجل دهاقين الأنبار له عليه السلام واسندوا بين يديه فقال عليه السلام : ما هذا الذي صنعتموه ؟ قالوا : خلق منا نعظم به أمراءنا ، فقال : والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم وإنكم لتشقّون به على أنفسكم وتَشْقَوْن به في آخرتكم وما أخسر المشقة وراءها العقاب وما أربح الراحة وراءها الأمان من النار .

وعن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خرج أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه وهو راكب فمشوا خلفه فالتفت إليهم فقال : ألكم حاجة ؟ قالوا : لا يا أمير المؤمنين ولكنا نحب أن نمشي معك ، فقال لهم : إنصرفوا فإن مشيَّ الماشي مع

الـراكب مفسدة للراكب ومـذلة للمـاشي ، قال وركب مـرّة أخرىٰ فمشـوا خلفـه ، فقال : انصـرفوا فـإن خفق النعال خلف أعقـاب الرجـال مفسدة لقلوب النوكى .

وعن البـاقـر ﷺ في خبـر رجـع علي ﷺ إلى داره في وقت القيظ فـإذا امرأة قـائمـة تقـول أن زوجي ظلمني وأخـافني وتعـدى علي وحلف ليضـربني فقال ﷺ : يـا أمـة الله اصبـري حتى يبـرد النهـار ، ثم أذهب معـك إن شاء الله فقـالت : يشتد غضبـه عليّ فطأطـأ رأسه ثم رفعـه وهو يقول : لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غيـر متعتع أين منـزلك فمضى إلى بـابه فـوقف فقال : السـلام عليكم فخرج شـاب ، فقـال علي ﷺ : يـا عبـد الله اتق الله فإنـك قد أخفتهـا وأخرجتهـا ، فقال الفتىٰ : ومـا أنت وذاك والله لأحـرقنهـا لكـلامـك ؟ فقـال أميـر المؤمنين ﷺ : آمـرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكـر المعروف ، قـال : فـأقبل النـاس من الـطريق وهم يقـولـون سـلام علـكم يـا أميـر المؤمنين فسقط الـرجل في يـديه فقـال : يا أميـر المؤمنين أقلني في عثرتي فـوالله لأكـونن لها أرضـاً تطأني فأغمـد على سيفـه فقـال : يـا أمـة الله ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه .

وفي كشف اليقين : بـإسنـاده عن أبي أيـوب الأنصـاري أن النبي ﷺ مرض فأتتـه فاطمـة ﷺ تعوده فلمـا رأت ما بـرسول الله ﷺ من الجهـد والضعف استعبرت فبكت حتى سـال الدمـع على خديهـا ، فقال لها رسول الله ﷺ : يا فاطمـة إنّ لله كـرامـة إياك زوجتـك من أقدمهم إسلاماً وأكثـرهم علماً وأعـظمهم حلمـاً إن الله تعـالىٰ إطلع على أهــل الأرض اطـلاعة فـاختارني نبيـاً مرسـلاً ، ثم أطلع إطلاعـة فـاختـار منهم بعلك فأوحىٰ أن أزوجه إياك واتخذه وصياً .

وفي المنـاقب : أن أمير المؤمنين دعـا غلامـاً لـه مـراراً فلم يجبـه فخـرج فوجـده على باب البيت ، فقـال : مـا حملك على تـرك إجـابتي

قال : كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك ، فقال عليه السلام : الحمد لله الذي جعلني ممن تأمنه خلقه إمض فأنت حر لوجه الله .

وفيه : مرت امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال أمير المؤمنين : إن أبصار هؤلاء الفحول طوامح وإن ذلك سبب هبابها فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أهله فإنما هي امرأة ، فقال رجل من الخوارج : قاتله الله كافراً ما أفقهه ، فوثب القوم ليقتلوه : فقال عليه السلام : رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب .

وفي العقد الفريد : لابن عبد ربه المالكي ، دخلت سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان بعد شهادة علي عليه السلام فجعل معاوية يؤنبها على تحريضها عليه بصفين وآل أمره إلى أن قال لها : ما حاجتك ؟ قالت : إن الله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا وما زال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوة سلطانك فيحصدنا حصد النبل ويدوسنا دوس الحرمل يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف هذا بسر بن أرطأة قدم علينا فقتل رجالنا ونهب أموالنا ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك ، فقال معاوية إياي تهددين يا سودة بقومك لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فاردك إليه فينفذ فيك حكمه فاطرقت سودة ساعة ثم أنشدت تقول :

صلّى الإله على جسم تضمنه ... قبر فاصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية من هذا يا سودة قالت : هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والله يا معاوية لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقات فجار علينا فصادفته قائماً يصلّي فلما رآني انفتل من صلاته ثم أقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطف وقال لي : ألك حاجة ؟ قلت : نعم وأخبرته الخبر ، فبكا ثم قال : اللّهمّ أنت الشاهد عليّ وعليهم

وإني لم آمرهم بظلم خلقك ، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها : ﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذ لكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام . ثم دفع الرقعة إليَّ فجئت بها إلى صاحبها فانصرف عنا معزولاً ، فقال معاوية : اكتبوا لها كما تريد فكتبوا فمضت وهي تقول : وهذه من علي بن أبي طالب عليه السلام .

فصل
في شيء مما جاء في جوده وسخائه وكرمه

أجمع المفسرون على أن قوله تعالىٰ : ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾الآية ، نزلت في علي عليه السلام قالوا : كان عند علي بن أبي طالب أربعة دراهم من الفضة فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد علانية فنزلت ﴿الذين ينفقون أموالهم﴾ إلى آخر الآية ، فسمي كل درهم مالاً وبشره بالقبول .

وعن الكلبي : فقال له النبي ما حملك على هذا ؟ قال : حملني أن أستوجب على الله ما وعدني به ، فقال له رسول الله : ألا إن ذلك لك فأنزل الله هذه الآية ، وعن (تاريخ البلاذري) و (فضائل أحمد) أنه كانت غلة على أربعين ألف دينار فجعلها صدقة وإنه باع سيفه وقال لو كان عندي عشاء ما بعته .

عن ابن عباس : في قوله تعالىٰ ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ إلى قوله : ﴿بغير حساب﴾ ، قال هو والله أمير المؤمنين وذلك أن النبي أعطىٰ علياً يوماً ثلاثمائة ديناراً أُهديت إليه قال علي : فأخذتها وقلت لأتصدقن الليلة من هذه الدنانير صدقة يقبلها الله مني ، فلما صلّيت العشاء الآخرة مع رسول الله أخذت مائة دينار وخرجت من

المسجد فإستقبلتني إمرأة فأعطيتها الدنانير فاصبح الناس بالغد يقولون تصدق علي الليلة بمائة دينار على امرأة فاجرة فاغتممت غماً شديداً ، فلما صلّيت الليلة القابلة صلاة العتمة أخذت مائة دينار وخرجت من المسجد وقلت والله لأتصدقن الليلة بصدقة يتقبلها ربي مني فلقيت رجلاً فتصدقت عليه بالدنانير فأصبح أهل المدينة يقولون تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل سارق فاغتممت غماً شديداً وقلت : والله لاتصدقن الليلة صدقة يتقبلها الله مني فصلّيت العشاء الآخرة مع رسول الله ، ثم خرجت من المسجد ومعي مائة دينار فلقيت رجلاً فاعطيته إياها فلما أصبحت قال أهل المدينة تصدق علي البارحة بمائة دينار على رجل غني فاغتممت غماً شديداً ، فأتيت رسول الله فأخبرته، فقال لي : يا علي هذا جبرائيل يقول لك إن الله عزّ وجلّ قد قبل صدقاتك وزكى عملك إن المائة دينار التي تصدقت بها أول ليلة وقعت في يد امرأة فاسدة فرجعت إلى منزلها وتابت إلى الله عزّ وجلّ من الفساد وجعلت تلك الدنانير رأس مالها وهي في طلب بعل تتزوج به ، وأن الصدقة الثانية وقعت في يد سارق فرجع إلى منزله وتاب إلى الله من سرقته وجعل الدنانير رأس ماله يتجر بها ، وإن الصدقة الثالثة وقعت في يد رجل غني لم يزكي ماله منذ سنين فرجع إلى منزله ووبخ نفسه وقال شحاً عليك يا نفس هذا علي بن أبي طالب تصدّق عليّ بمائة دينار ولا مال له وأنا قد أوجب الله على مالي الزكاة لأعوام كثيرة ولم أزكه فحسب ماله وأخرج زكاته كذا وكذا ديناراً وأنزل الله فيك رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الحديث .

وروى العامة والخاصة من المفسرين : أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضاً فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعادهما عامة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت لولديك نذراً فقال عليه السلام : إن برأ ولداي صمت ثلاثة أيام شكراً لله تعالىٰ فألبسا العافية وليس عند آل محمد لا قليل ولا كثير فآجر على نفسه ليلة إلى الصبح يسقي نخلاً بشيء من شعير

وأتىٰ به إلى المنزل فقامت فاطمة إلى ثلثه فطحنته وأخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرصاً وصلّىٰ أمير المؤمنين عليه السلام صلاة المغرب مع رسول الله ، ثم أتىٰ المنزل فوضع الطعام بين يديه فجاء مسكين فوقف بالباب وقال؛ السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين إطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي فقال عليه السلام : إطعموه حصتي ، فقالت فاطمة : كذلك والباقون كذلك فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلاّ الماء القراح ، فلما كان اليوم الثاني طحنت فاطمة ثلثاً آخر إختبزته وأتىٰ أمير المؤمنين من صلاة المغرب مع رسول الله فوضع الطعام بين يديه فأتىٰ يتيم من أيتام المهاجرين وقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا يتيم من أيتام المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فسمعه علي عليه السلام وفاطمة فأعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلاّ الماء القراح ، فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة إلى الثلث الباقي وطحنته واختبزته وصلّىٰ علي مع النبي صلاة المغرب ، ثم أتىٰ المنزل فوضع الطعام بين يديه فجاء أسير فوقف بالباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد تأسروننا ولا تطعموننا أطعمونا أطعمكم الله من موائد الجنة فأتى أسير محمد فسمعه علي فآثره وآثروه معه ومكثوا ثلاثة أيام بلياليها لم يذوقوا إلاّ الماء فلما كان اليوم الرابع وقد وفوا بنذرهم أخذ عليٌ الحسن بيده اليمنىٰ والحسين بيده اليسرىٰ واقبل عليه السلام نحو رسول الله وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم النبي قال : يا أبا الحسن ما أشد ما يسوء فيّ ما أرى بكم انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلّي وقد انطبق بطنها بظهرها من شدّة الجوع ، فلما رآها النبي قال : واغوثاه يالله أأهل بيت محمد يموتون جوعاً ؟ فهبط جبرائيل وقال : خذ يا محمد هناك الله تعالىٰ في أهل بيتك ، قال : وما آخذ يا جبرائيل ؟ قال فاقرأ هل أتى على الإنسان إلى آخر السورة .

وعن تفسير الثعلبي : أيضاً أن عبد الله بن عباس كان على شفير زمزم وهو يقول : سمعت النبي يقول : وهو يكرر الأحاديث إذ أقبل رجل معتم بعمامة وقد غطىٰ بها أكثر وجهه فكان ابن عباس لا يقول قال رسول الله إلاّ وقال ذلك الرجل قال رسول الله ، فقال له ابن عباس : بالله عليك من أنت فكشف العمامة عن وجهه وقال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله يقول : بأذني هاتين وإلاّ فصمتا ورأيته بعيني هاتين وإلاّ فعميتا يقول عليٌّ قائد البررة ، عليٌّ قاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ملعون من جحد ولايته ، أما إني صلّيت مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللّهمّ أشهدك أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان أمير المؤمنين عليه السلام راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنىٰ وكان يتختم فيها، ! فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره والنبي ﷺ شاهده فلما فرغ من صلاته رفع النبي رأسه إلى السماء وقال : اللّهمّ موسىٰ سألك فقال : رب إشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري ، اللّهمّ فانزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا ، اللّهمّ وأنا محمد نبيك وصفيك ، اللّهمّ فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري ، قال أبو ذر : فما استتم كلامه حتى نزل جبرائيل من عند الله فقال : يا محمد إقرأ: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ولله در الحميري حيث يقول :

من كان أول من تصدق راكعاً ... يومي بخاتمه وكان مشيراً

من ذاك قول الله ﴿إن وليكم﴾ ... بعد الرسول ليعلم الجمهورا

فصل
في شيء من معجزاته

في البحار عن عمار قال : تبعت أمير المؤمنين عليه السلام في بعض طرقات المدينة فإذا أنا بذئب أدرع أذب قد أقبل يهرول حتى أتى المكان الذي فيه أمير المؤمنين وولداه الحسن والحسين عليهم السلام فجعل الذئب يعفر خديه على الأرض ويومىء بيديه إلى أمير المؤمنين فقال عليٌ : اللّهمّ اطلق لسان الذئب يكلمني فاطلق الله لسان الذئب وإذا به يقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال : وعليك السلام من أين أقبلت ؟ قال : من حائط بني النجار ، قال : وأين تريد ؟ قال : بلد الأنبياء البررة ، قال عليه السلام : فبماذا قال: لأدخل في بيعتك مرّة أُخرىٰ ، قال عليه السلام : كأنكم قد بايعتمونا ، قال : صاح بنا صائح من السماء أن اجتمعوا فاجتمعنا إلى ثنية من بني إسرائيل فنشر فيها أعلام بيض ورايات خضر ونصب فيها منبر من ذهب أحمر وعلا عليه جبرائيل فخطب خطبة بليغة وجلت منها القلوب وابكى منها العيون ، ثم قال : يا معشر الوحوش إن الله عزّ وجلّ قد دعا محمداً فأجابه واستخلف من بعده على عباده علي بن أبي طالب وأمركم أن تبايعوه ، فقالوا : سمعنا وأطعنا ما خلا الذئب فإنه جحد حقك وأنكر معرفتك ، فقال علي عليه السلام : ويحك أيها الذئب كأنك من الجن ، فقال :لا أنا من الجن ولا من الإنس ولكني ذئب شريف ، قال عليه السلام : وكيف تكون شريفاً وأنت ذئب ؟ قال : شريف لأني من شيعتك وأخبرني أبي أننا من وُلد ذاك الذئب الذي إصطاده أولاد يعقوب ، فقالوا : هذا أكل أخانا بالأمس وإنه متهم .

وفيه بإسناده عن الكاظم : أن أمير المؤمنين كان يسعىٰ على الصفا فإذا هو بدراج يتدرج على وجه الأرض فوقع بإزاء أمير المؤمنين فقال : السلام عليك أيها الدراج ، فقال الدراج : وعليك السلام يا

أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له أمير المؤمنين : أيها الدراج ما تصنع في هذا المكان ، فقال : يا أمير المؤمنين إني في هذا المكان مذ كذا وكذا عاماً أسبح الله وأقدسه وأمجده وأعبده حق عبادته ، فقال ﷺ : أيها الدراج إنه لصفا نقي لا مطعم فيه ولا مشرب فمن أين لك المطعم والمشرب فأجابه الدراج وهو يقول : وقرابتك من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين أني كلما جعت ذكرت ولايتكم أهل البيت فاشبع وإذا عطشت أتبرأ من أعدائكم فأروى فقال ﷺ : بورك فيك فطار الطائر .

وعن عبد الله بن خالد بن سعيد بن العاص قال : كنت مع أمير المؤمنين وقد خرج من الكوفة فلما وصل النخيلة خرج خمسون رجلاً من اليهود وقالوا : أنت علي بن أبي طالب الإمام ؟ فقال : أنا ذا ، فقالوا : لنا صخرة في كتبنا عليها إسم ستة من الأنبياء ونحن نطلبها ولا نجدها فإن كنت إماماً أوجدها لنا ، فقال ﷺ : اتبعوني ، قال عبد الله بن خالد فسار القوم خلف أمير المؤمنين إلى أن استبطن فيهم البر وإذا بجبل من رمل عظيم فقال ﷺ : أيتها الريح انسفي الرمل من على الصخرة بحق اسم الله الأعظم ، فما كان إلاّ ساعة حتى نسفت الريح الرمل وظهرت الصخرة ، فقال : هذه صخرتكم ، فقالوا : عليها اسم ستة من الأنبياء على ما سمعنا وقرأنا في كتبنا ولسنا نرى عليها الأسماء ؟ فقال : أما الأسماء التي عليها فهي في وجهها الذي على الأرض فاقلبوها فاعصوصب عليها ألف رجل حضروا فما قدروا على قلبها ، فقال ﷺ : تنحوا عنها فمد يده إليها فقلبها فوجدوا عليها إسم ستة من الأنبياء ﷺ أصحاب الشرائع : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسىٰ وعيسىٰ ، ومحمد ﷺ ، فقال النفر اليهود : نشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وأنك أمير المؤمنين وسيّد الوصيين وحجة الله في أرضه من عرفك سعد ونجىٰ ومن خالفك ضل وغوىٰ وإلى الحميم هوىٰ جلّت مناقبك عن التحديد وكثرت آثار نعمتك عن

التعديد .

وفي كتب عديدة أنه لما جاءت فضة إلى بيت فاطمة عليها السلام وكانت هي بنت ملك من ملوك الحبشة وقيل بنت ملك الهند وكان عندها ذخيرة من الإكسير فلم تجد في بيت علي عليه السلام إلاّ السيف والدرع والرحىٰ فأخذت قطعة من النحاس وألانتها وجعلتها على هيئة سبيكة وألقت عليها الدواء وصبغتها ذهباً فلما جاء أمير المؤمنين وضعتها بين يديه ، فلما رآها قال : أحسنت يا فضة لو أذبت الجسد لكان الصبغ أعلا والقيمة أغلا ، فقالت : يا سيدي تعرف هذا العلم ؟ قال : نعم وهذا الطفل يعرفه وأشار إلى الحسين عليه السلام فجاء وقال كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال لها أمير المؤمنين : عند ذلك يا فضة نحن نعرف أعظم من هذا ثم أومىٰ بيده فإذا عنق من ذهب وكنوز الأرض سابرة ، فقال يا فضة ضعيها مع أخواتها فوضعتها فسارت فقال عليه السلام : يا فضة إنا ما خُلقنا لهذا الحطام .

وعن كتاب بشارة المصطفىٰ : بسنده عن عبد الواحد بن زيد قال : خرجت إلى مكة فبينما أنا أطوف فإذا أنا بجارية خماسية وهي متعلقة بستارة الكعبة وهي تخاطب جارية مثلها وهي تقول : لا وحق المنتخب بالوصية ، والحاكم بالسوية ، والعادل في القضية ، زوج فاطمة المرضية ما كان كذا وكذا ، فقلت لها : يا جارية من صاحب هذه الصفة ؟ قالت : ذلك والله علم الأعلام وباب الأحكام وقسيم الجنة والنار ورباني هذه الأُمة ورأس الأئمَّة أخو النبي ووصيه وخليفته في أُمته مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت لها : يا جارية بما يستحق علي منك هذه الصفة ؟ قالت : كان أبي والله مولاه فقتل بين يديه يوم صفين ، ولقد دخل يوماً على أُمي وهي في خبائها وقد ارتكبني وأخاً لي من الجدري ما ذهب به أبصارنا فلما رآنا تأوه وأنشأ يقول :

مـا أن تأوهت في شيء رزيت بـه | كمـا تأوهت لـلأطفال في الصغـر
قـد مات والـدهم من كان يكفلهم | في النائبات وفي الأسفار والحضر

ثم أدنـانا إليـه ثم أمـر يـده المبـاركـة على عيني وعيني أخي ، ثم دعا بدعوات ثم شال يده فها أنا والله انظر إلى الجمل على فرسـخ ، كل ذلك ببركته فحللت خريطتي فدفعت إليهـا دينارين بقيـة نفقة كـانت معي فتبسمت في وجهي فقـالت : خلفنا أكـرم سلف على خير خلـف ، فنحن اليـوم في كفـالـة أبي محمـد الحسن بن علي ، قـالت : أتحب عليـاً ؟ قلت : أجـل ، قـالت : أبشـر فقـد استمسكت بـالعـروة الـوثقىٰ التي لا انفصام لها ، ثم ولت وهي تقول :

ما بث حب عليٍّ في ضمير فتى | إلاَّ لـه شهـدت من ربـه النعم
ولا لـه قـدم زلَّ الـزمـان بهـا | إلاَّ لـه ثبتت من بعـدهـا قـدم
مـا سرني أنني من غيـر شيعتـه | وإن لي ما حواه العرب والعجم

وفي المنـاقب : عن عمـار الساباطي قـال : قـدم أميـر المؤمنين المدائن فنزل بإيـوان كسـرىٰ وكان معـه دلف بن بحير ، فلمـا صلّى وقام قال لدلف : قم معي وكان معه جمـاعة من أهـل سابـاط فما زال يـطوف منـازل كسرىٰ ويقـول لدلف كـان لكسرى في هـذا المكان كـذا وكـذا ، ويقول دلف هو والله كذلك فما زال كذلـك حتى طاف المـواضع بجميـع من كان عنده ودلف يقـول يا سيـدي ومولاي كـأنك وضعت هـذه الأشياء في هـذه المسـاكن ، ثم نـظر علي عليه السلام إلى جمجـمـة نخـرة فقـال عليه السلام لبعض أصحابه : خـذ هذه الجمجمـة ، ثم جاء إلى الإيـوان وجلس فيه ودعا بطشت فيه ماء فقال للرجل : دع هـذه الجمجمة في الـطشت ، ثم قـال : أقسمت عليـك يـا جمجمـة أخبـريني من أنـا وأنت ؟ فقـالت الجمجمـة بلسان فصيـح : أمِا أنت فـأمير المؤمنين وإمـام المتقين وسيّـد الوصيين ، وأما أنـا فعبد الله وابن أمـة الله كسرى أنـوشيروان ، فقـال له أمير المؤمنين : كيف حالـك ؟ فقال : يـا أمير المؤمنين كنت ملكـاً عادلاً

شفيقاً على الرعـايا لا أرضى بـظلم ولكني كنت على دين المجوس وقـد وُلـد محمد ﷺ في زمـان ملكي فسقـطت من شـرفـات قصـري ثـلاثـة وعشرون شرفة ليلة وُلد ، فهممت أن أؤمن من كثرة ما سمعت من أنـواع شرفه وفضله ومرتبته وعزه في السماوات والأرض ، ومن شـرف أهل بيتـه ولكني تغـافلت عنه وتشـاغلت منه في الملك فيـا لهـا من نعمـة ومنـزلـة ذهبت مني حيث لم أؤمن فأنا محـروم من الجنة لعـدم إيماني ولكني مـع هذا الكفر خلصني الله تعالىٰ من النار ببـركة عـدلي وإنصافي بين الـرعية وأنا في النار والنـار محرمـة علي فواحسـرتا لـو آمنت لكنت معك يـا سيّد أهل البيت ويا أمير أمة محمـد ﷺ قال : فبكى النـاس وانصرف القـوم الـذين كانـوا من أهل سـاباط إلى أهليهم وأخبـروهم بما كـان وما جـرى فاضطربوا واختلفوا في معنى أميـر المؤمنين فقال المخلصـون منهم : أن أميـر المؤمنين عبـد الله وابن عبـده ووليـه ووصي رســول الله ﷺ وقـال بعضهم : بـل هو النبي ، وقـال بعضهم : بل هـو الرب وقـالوا لـولا أنـه الـرب كيف يحيي المـوتىٰ قـال : فسمـع أميـر المؤمنين بـذلك فضـاق صـدره فـأحضـرهم وقـال : يـا قـوم غلب عليكم الشيـطان إن أنـا إلاَّ عبـد الله أنعم عليَّ بإمـامته وولايتـه ووصاية رسـولـه ﷺ فـارجعـوا من الكفـر فأنـا عبد الله وابن عبـده ومحمد خيـر مني وهو أيضـاً عبد الله وإن نحن إلاَّ بشـر مثلكم فخرج بعضهـم من الكفـر وبقي قوم على الكفـر وما رجعـوا فألـح أمير المؤمنين عليهم بـالرجـوع فما رجعـوا فأحـرقهم بالنـار وتفرق قوم منهم في البلاد ، وقالوا : لولا أن فيه الربـوبية مـا كان أحـرقنا بالنار فنعوذ بالله من الخذلان .

وفي خرائج الراندي : أنـه اختصم رجل وإمرأة إلى أمير المؤمنين فعلا صوت الرجل على المـرأة فقال لـه عليّ ؏ : إخسأ يا كلب وكان ذلـك الرجـل خـارجيـاً فـإذا رأسـه رأس كلب ، فقـال رجـل : يـا أميـر المؤمنين صحت بهـذا الخارجي فصـار رأسه رأس كلب فمـا يمنعك عن معـاويـة ؟ فقـال : ويحـك لـو أشـاء أن آتي معـاويـة إلى هٰهنـا من على

سريره لدعوت الله حتى فعل ولكن لله خزاناً لا على ذهب ولا على فضة ولكن على أسرار تدبير الله ، أما تقرأ بل عبادك مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وفي رواية قال : إنما أدعوهم لثبوت الحجة وكمال المحنة ولو أذن في الدعاء بهلاك معاوية لما تأخر .

وفيه عن ابن عمر قال : أتهم على رجلاً يُقال له الغبراء برفع أخباره إلى معاوية فأنكر ذلك وجحده فقال : اتحلف بالله أنك ما فعلت ذلك ؟ قال : نعم وبدر فحلف فقال له أمير المؤمنين ﵇ : إن كنت كاذباً أعمى الله بصرك فما دارت الجمعة حتى أخرج أعمى يقاد وقد أذهب الله عينيه .

وفي البحار : عن المغربي قال : كنت مع أمير المؤمنين وقد أراد حرب معاوية فنظر إلى جمجمة في جانب الفرات وقد أتت عليها الأزمنة فمر عليها فدعاها فاجابته بالتلبية وتدحرجت بين يديه وتكلمت بكلام فصيح فأمرها بالرجوع فرجعت إلى مكانها ، فلما فرغ من حرب النهروان أبصرنا جمجمة نخرة بالية فقال : هاتوها فحركها بسوط وقال : أخبرني من أنت ؟ فقير أم غني شقي أم سعيد ملك أم رعية ، فقالت بلسان فصيح : السلام عليك يا أمير المؤمنين أنا كنت ملكاً ظالماً وأنا برويز بن هرمز ملك الملوك ملكت مشارقها ومغاربها سهلها وجبلها برّها وبحرها أنا الذي أخذت ألف مدينة في الدنيا وقتلت ألف ملك من ملوكها يا أمير المؤمنين أنا الذي بنيت خمسين مدينة وافتضضت ألف جارية بكراً واشتريت ألف عبد تركي وألف أرمني وألف زنجي وتزوجت بسعين من بنات الملوك وما ملك في الأرض إلاّ غلبته وظلمت أهله فلما جاءني ملك الموت قال لي : يا ظالم يا طاغي خالفت الحق فتزلزت أعضائي وارتعدت فرائصي وعرض على أهل حبسي فإذا هم سبعون ألفاً من أولاد الملوك وقد شقوا من حبسي فلما رفع ملك الموت روحي سكن أهل الأرض من ظلمي فأنا معذب في النار أبد الآبدين فوكل الله بي سبعين ألفاً من الزبانية في يد كل

منهم مرزبة من النار فلو ضربت بها جبال الأرض لاحترقت فتدكدكت ، وكلما ضربني الملك بواحدة من تلك المرازب اشتعلت بي النار واحترقت فيحييني الله ويعذبني بظلمي على عباده وكذلك وكلّ الله تعالىٰ بعدد كل شعرة في بدني حية تلسعني وعقرباً تلدغني فتقول لي الحيات والعقارب هذا جزاء ظلمك على عباد الله ، ثم سكنت الجمجمة وبكى جميع عسكر أمير المؤمنين وضربوا على رؤوسهم وقالوا : يا أمير المؤمنين جهلنا حقك بعدما أعلمنا رسول الله ﷺ وإنما خسرنا حظنا ونصيبنا فيك وإلاّ أنت ما ينقص منك شيء فاجعلنا في حل مما فرطنا فيك ورضينا بغيرك على مقامك فأنا نادمون فأمر عليه السلام بتغطية الجمجمة فعند ذلك وقف ماء النهروان من الجري وصعد على الماء كل سمك وحيوان كان في النهر فتكلم كل واحد منهم مع أمير المؤمنين ودعا له وشهد بإمامته .

وفيه عن المناقب : عن كتاب العلوي البصري : إن جماعة من اليمن أتوا النبي فقالوا : نحن من بقايا الملل المتقدمة من آل نوح وكان لنبينا وصي إسمه سام وأخبر في كتابه أن لكل نبي معجزاً وله وصي يقوم مقامه فمن وصيك ؟ فأشار ﷺ بيده نحو عليّ فقالوا : يا محمد إن سألناه أن يرينا سام بن نوح يفعل فقال ﷺ : نعم بإذن الله ، وقال: يا علي قم معهم إلى داخل المسجد واضرب برجلك عند المحراب فذهب علي وبأيديهم صحف إلى أن دخل إلى محراب رسول الله ﷺ داخل المسجد فصلّى ركعتين ، تم قام وضرب برجله الأرض فانشقت الأرض وظهر لحد وتابوت فقام من التابوت شيخ يتلألأ وجهه مثل القمر ليلة البدر وينفض التراب من رأسه وله لحية إلى سرته وسلّم على أمير المؤمنين . ثم قال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله سيّد المرسلين وإنك علي وصي محمد سيد الوصيين وأنا سام بن نوح فنشر أولئك صحفهم فوجدوه كما وصفوه في الصحف ، ثم قالوا: نريد أن يقرأ من كل صفحة سورة فأخذ في قراءتها حتى أتم السورة ثم سلّم على علي عليه السلام ونام كما كان فانضمت الأرض ،

فقالوا بأسرهم : يا أبا الحسن (إن الدين عند الله الإسلام) وآمنوا فأنزل الله ﴿أم اتخذ وامن دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتىٰ﴾الآية .

وفي الخرائج : روى أن خارجياً اختصم مع آخر إليه فحكم بينهما فقال الخارجي : ما عدلت في القضية ، فقال : إخسأ يا عدو الله فاستحال كلباً وطار ثيابه في الهواء فجعل يبصبص وقد دمعت عيناه فرق له علي ودعا فأعاده الله تعالىٰ إلى حال الإنسانية وتراجعت ثيابه من الهواء إليه ، فقال : إن آصف وصي سليمان قص الله عنه بقوله : قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك أيهما أكرم نبيكم أم سليمان على الله عزّ وجلّ ؟ فقيل فما حاجتك في قتال معاوية إلى الأنصار ؟ فقال : إنما أدعو الناس إلى هؤلاء بثبوت الحجة وكمال المحنة ولو أذن لي في الدعاء بهلاكهم لما تأخرت .

وروي أنه كان جالساً مع جماعة في مسجد الكوفة فجاءه الناس يشكون إليه زيادة الفرات وطغيان الماء فنهض عليه السلام وقصد الفرات حتى وقف بموضع يُقال له باب المروحة وأخذ القضيب بيده اليمنىٰ ثم حرك شفتيه بكلام لا يفهم وضرب بالقضيب الماء ضربة فهبط نصف ذراع ، فقالوا : يكفي يا أمير المؤمنين ثم ضربه ثانية فهبط نصف ذراع آخر ، فقالوا : يكفي ، فقال : والذي فلق الحبة لو شئت لبينت الحيتان في قراره .

وعن يحيىٰ بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال : حدّثني سلمان الفارسي رحمه الله قال : كنا مع رسول الله في يوم مطير ونحن ملتفتون نحوه فهتف هاتف السلام عليك يا رسول الله فرد عليه السلام وقال : من أنت ؟ قال : عرفطة بن شمراخ أحد بني نجاح ، قال : أظهر لنا رحمك الله في صورتك ، قال سلمان : فظهر لنا شيخ أذب أشعر قد لبس وجهه شعر غليظ متكاثف قد واراه وعيناه مشقوقتان طولاً وفمه في

صدره فيه أنياب بادية طوال وأظفار كمخالب السباع ، فقال الشيخ : يا نبي الله إبعث معي من يدعوا قومي إلى الإسلام وأنا أرد ماليك سالماً ، فقال النبي ﷺ : أيكم يقوم معه فيبلغ الجن عني وله الجنة ؟ فلم يقم أحد فقال ثانية وثالثة ، فقال علي ؏ : أنا يا رسول الله فالتفت النبي ﷺ إلى الشيخ فقال : وافني في الحرة في هذه الليلة أبعث معك رجلاً يفصل حكمي وينطق بلساني ويبلغ الجن عني قال : فغاب الشيخ ثم أتىٰ في الليل وهو على بعير كالشاة ومعه بعير آخر كارتفاع الفرس فحمل النبي علياً وحملني خلفه وعصب عيني وقال لا تفتح عينك حتى تسمع علياً يؤذن ولا يروعك ما تسمع فإنك آمن فثار البعير فدفع سائراً يدف كدفيف النعام وعلي يتلو القرآن فسرنا ليلتنا حتى إذا طلع الفجر أذن علي وأناخ البعير وقال : يا سلمان أنزل فحللت عيني ونزلت وإذا أرض قوراء فأقام للصلاة وصلّى بنا ولم أزل أسمع الحسن حتى إذا سلم التفت فإذا خلق عظيم وأقام علي يسبح ربه حتى طلعت الشمس ، ثم قام خطيباً فخطبهم فاعترضته مردة منهم فأقبل علي فقال : بالحق تكذبون ، وعن القرآن تصدقون ، وبآيات الله تجحدون ، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال : اللَّهمَّ بالكلمة العظمىٰ والأسماء الحسنىٰ والعزائم الكبرىٰ والحي القيوم ومحيي الموتىٰ ومميت الأحياء ورب الأرض والسماء يا حرسة الجن ورصدة الشياطين وخدام الله الشر هاليين وذوي الأرحام الطاهرة اهبطوا بالجمرة التي لا تطفىء والشهاب الثاقب والشواظ المحرق والنحاس القاتل ﴿بكهيعص﴾ والطواسين والحواميم ويس ونون والقلم وما يسطرون والذاريات والنجم إذا هوىٰ والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور وأقسام العظام ومواقع النجوم ، لما أسرعتم الإنحدار إلى المردة المتولقين المتكبرين الجاحدين آثار رب العالمين قال سلمان : فاحسست بالأرض من تحتي ترتعد وسمعت في الهواء دوياً شديداً ثم نزلت نار من السماء صعق كل من رآها من الجن وخرت على وجهها وسقطت على

وجهي فلما أفقت وإذا دخان يفور من الأرض فصاح بهم عليّ ارفعوا رؤوسكم فقد أهلك الله الظالمين ، ثم دعا إلى خطبته فقال : يا معاشر الجن والشياطين والغيلان وبني شمراخ وآل نجاح وسكان الآجام والرمال والقفار اعلموا أن الأرض قد ملئت عدلاً كما كانت مملوءة جوراً هذا هو الحق ، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنا تصرفون ، فقالوا آمنا بالله ورسوله ورسول رسوله فعلمهم أحكامهم بعدما أخذ عليهم البيعة ، ورجعنا إلى المدينة ، فلما دخلنا المدينة ، قال النبي : ماذا صنعت ؟ قال : أجابوا وقص عليه خبرهم ، فقال : لا يزالون كذلك هايبين إلى يوم القيامة وأخذ البيعة على الجن بوادي العقيق بأن لا يظهروا في رخاء منا وفي جوار المسلمين وقضى منه ومن رسول الله فشكت الجن مأكلهم فقال : أو ليس قد أبحت لكم النثيل والعظم ، فقالوا : بلى يا أمير المؤمنين على أن لا نستجمر بها ، فقال : لكم ذلك ، فقالوا يا أمير المؤمنين فإن الشمس تضر بأطفالنا فأمر عليه السلام الشمس أن ترجع فرجعت وأخذ عليها العهد وان لا تضر بأولاد المؤمنين من الجن والانس .

وفي كتاب الخرائج والجرائح للراوندي (ره) : كان أمير المؤمنين قائماً على المنبر إذ أقبلت حية من باب الفيل مثل النجيتي العظيم فناداهم علي أفرجوا لها فإن هذا رسول قوم من الجن ففرجوا لها فوضعت فمها قريباً من أذنه فاصغىٰ لها سويعة ، ثم مضت فقال عليه السلام : إن هذا رسول قوم من الجن أخبرني أنه وقع بين بني عامر وغيرهم شر وقتال فبعثوه لآتيهم وأصلح بينهم فوعدته أني آتيهم الليلة ، قالوا : أتاذن لنا أن نخرج معك ؟ قال : ما أكره ذلك فلما صلّىٰ بهم العشاء الآخرة انطلق بهم حتى أتىٰ ظهر الكوفة قبل الغري فخط حولهم خطة وقال : إياكم أن تخرجوا من هذه الخطة فإنه أن يخرج منكم أحد من هذه الخطة يخطف فقعدوا في الخطة ينظرون وقد نصب له منبر فصعد عليه فخطب خطبة لم يسمع الأولون والآخرون مثلها ثم لم يبرح حتى

أصلح ذات بينهم ورجع إلى أصحابه ودخلوا جميعاً البلد .

وفي بصائر الدرجات للصفار (ره) : بإسناده عن أبي عبد الله بينما رسول الله جالس إذ أتاه رجل طويل كأنه نخلة فرّد ﷺ وقال له : شبه الجن وكلامهم من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا الهام بن هيم بن لاقيس بن إبليس ، فقال رسول الله : ما بينك وبين إبليس إلاّ أبوان ؟ فقال : نعم يا رسول الله ، فقال ﷺ : كما أتى لك ؟ قال : أكلت عمر الدنيا إلاّ أقله أنا أيام قتل قابيل هابيل غلام أفهم الكلام وانهىٰ عن الاعتصام وأطرق الآجام وآمر بقطيعة الأرحام وأفسد الطعام ، فقال له رسول الله : بئس سيرة الشيخ المتأمل والغلام المقبل ، فقال هام: يا رسول الله أني تائب ، قال له : على أيدي من جرت توبتك من الأنبياء ؟ قال : على أيدي نوح وكنت معه في سفينته وعاينته على دعائه على قومه حتى بكىٰ وأبكاني ، وقال لا جرم إني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، ثم كنت مع إبراهيم حين كاده قومه فألقوه في النار فجعلها عليه برداً وسلاماً ، ثم كنت مع يوسف حين حسده أخوته فألقوه في الجب فبادرته إلى قعر الجب فوضعته وضعاً رفيقاً ، ثم كنت معه في السجن أونسه فيه حتى أخرجه الله منه ، ثم كنت مع موسىٰ وعلمني سفراً من التوراة ، وقال إذا ادركت عيسىٰ فاقرئه مني السلام ، ثم كنت مع عيسىٰ وعلمني سفراً من الإنجيل وقال إذا أدركت محمداً فاقرئه مني السلام ، فقال النبي : وعلى عيسىٰ روح الله مني السلام وعليك يا هام بما بلّغت السلام فادفع إلينا حوائجك ، فقال : حاجتي أن يبقيك الله آية لأمتك ويصلحهم لك ويرزقهم الإستقامة لوصيك من بعدك فإن الأمم السالفة إنما هلكوا بعصيان الأوصياء وحاجتي يا رسول الله أن تعلمني سوراً من القرآن أصلّي بها ، فقال : يا علي علّم هاماً وأرفق به ، فقال هام : يا رسول الله من هذا الذي ضمنتني إليه إنا معشر الجن أمرنا أن لا نكلم إلاّ نبياً أو وصي نبي ، فقال له رسول الله : يا هام من وجدتم

في الكتاب وصي محمد فإن في التوراة (إليا) قال رسول الله : هذا علي وصيي ، قال هام : يا رسول الله فله اسم غير هذا ؟ قال : نعم حيدرة فلم تسألني عن ذلك ؟ قال : إنا وجدنا في كتاب الأنبياء أن في الإنجيل هيدار ، قال : هو حيدرة . قال : فعلمه علي ﷺ سوراً من القرآن ، فقال هام : يا وصي محمد أكتفي بما علمتني من القرآن ، قال : نعم يا هام قليل من القرآن كثير ، ثم قام إلى النبي فودعه فلم يعد حتى قبض .

وبأسانيد عديدة روي من الطريقين العامة والخاصة : أنه لما رجع أمير المؤمنين من قتال الخوارج صلّى ﷺ بالناس صلاة الظهر فرحلوا ودخلوا أرض بابل ، وقد وجبت صلاة العصر فصاح الناس يا أمير المؤمنين هذا وقت العصر ، فقال : إن هذه أرض مخسوف بها وقد خسف بها ثلاث مرّات وعليه تمام الرابعة فلا يحل لنبي أو وصي نبي أن يصلّي بها فمن شاء منكم أن يصلّي فليصل فقال المنافقون منهم : نعم هو لا يصلّي ويقتل من يصلّي يعنون بذلك أهل النهروان ، قال جويرية بن مسهر العبدي فتبعته في مائة فارس وقلت : والله لا أصلّي أو يصلّي هو وإلاّ قلّدته صلاتي اليوم، فقال أمير المؤمنين : اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير فسار إلى أن قطع أرض بابل وقد تدلت الشمس للغروب ، ثم غابت واحمر الأفق ، قال فالتفت إليَّ وقال : يا جويرية هات الماء ، قال فقدّمت إليه الإناء فتوضأ ، ثم قال : إذن يا جويرية ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما وجب وقت العشاء ، فقال : قُم وأذن للعصر ، فقلت في نفسي : كيف يقول أذن للعصر وقد غربت الشمس ولكن عليَّ الطاعة فأذنت فقال لي : أقم ففعلت ولم افرغ من الإقامة إذ تحركت شفتاه بكلام كأنما هو منطق طير أو خطاطيف لم أفهمه فرجعت الشمس بصرير عظيم حتى وقفت في مركزها من العصر فقالم ﷺ وكبَّر وصلّى وصلّينا وراءه فلما فرغ من صلاته وقفت الشمس كأنها سراج في وسط ماء وغابت واشتبكت

النجوم وازهرت فالتفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال لي : يا جويرية ابن مسهر العبدي أذن الآن لصلاة العشاء يا ضعيف اليقين .

يقول : العبد الفقير لرحمة ربه جعفر بن الحاج محمد نقدي عفىٰ عنه وردت له في حياة النبي بمكة وقد كان النبي قد غشيه الوحي فوضع رأسه في حجر أمير المؤمنين وحضر وقت العصر ، فلم يبرح من مكانه وموضعه حتى غربت الشمس فاستيقظ النبي وقال : اللّهمّ إن علياً كان في طاعتك فرد عليه الشمس ليصلّي العصر فردها الله تعالىٰ عليه بيضاء نقية حتى صلّىٰ ، ثم غابت وقال السيد الحميري في ذلك من قصيدته المعروفة بالمذهبة :

خير البرية بعد أحمد من له ... مني الولا وإلى بنيه تقربي
ردت عليه الشمس لما فاته ... وقت الصّلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نورها من وقتها ... للعصر ثم هوت هوىٰ الكوكب
وعليه قد ردت ببابل مرّة ... أُخرىٰ وما ردت لخلق معرب
إلّا ليوشع أولاً ولحبسها ... ولردها تأويل أمر معجب

قال : جعفر بن محمد نقدي عفي عنه وههنا حكاية ذكرها ابن الجوزي في كتابه بعد نقل الخبر قال : وفي الباب حكاية عجيبة حدّثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق أنهم شاهدوا أبا المنصور المظفر بن أردشير الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه وذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام فغطت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت ، فقام على المنبر وأومى إلى الشمس وأنشد :

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفىٰ ولنجله
وارخي عنانك إن أردت ثنائهم ... فأثبت أن كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا : فانزاحت السحابة عن الشمس وذكر هذه الحكاية العلامة الحلي طاب ثراه في (كشف اليقين) إلّا أنه قال : إن الشمس كانت

قاربت الغروب وأنها وقفت في السماء حتى انقضى المدح وكان ذلك بمحضر جماعة كثيرة تبلغ حد التواتر واشتهرت هذه القصة عند الخواص والعوام .

وعن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله لعلي إذا كان غداً وقت طلوع الشمس سر إلى جانب البقيع وقف على نشز من الأرض فإذا بزغت الشمس سلّم عليها فإن الله تعالىٰ أمرها أن تجيبك ، فلما كان من الغد خرج أمير المؤمنين ومعه أبو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين والأنصار حتى أتىٰ البقيع ووقف على نشز من الأرض فلما طلعت الشمس قال صلوات الله عليه : السلام عليك يا خلق الله الجديد المطيع له فسمه دوياً من السماء وقائلاً يقول : السلام عليك يا أوّل يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم ، فسمع الناس كلام الشمس فصعقوا ، ثم أفاقوا بعد ساعة وقد انصرف أمير المؤنين عليه السلام من ذلك المكان فاتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله إنا نقول أن علياً بشر مثلنا والشمس تخاطبه بما يخاطب به الباري نفسه ؟ فقال النبي : فما أنتم سمعتموه ؟ قالوا : سمعنا الشمس تقول كذا وكذا سمعنا تقول يا أوّل ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم قالت الصدق هو أوّل من آمن بي ، قالوا : سمعناها تقول يا آخر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : قالت الصدق هو آخر الناس عهداً بي يغسلني ويكفنني ويدخلني قبري ، قالوا : سمعنا تقول يا ظاهر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : قالت الصدق هو الذي أظهر علمي ، قالوا سمنا تقول : يا باطن ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : قالت الصدق هو الذي بطن سري كله ، قالوا سمعنا تقول : يا من هو بكل شيء عليم ، قال : قالت الصدق هو أعلم بالحلال والحرام والسنن والفرائض وما يشاكل ذلك ، فقاموا وقالوا : لقد أوقعنا محمد في الطخياء وخرجوا من باب المسجد ولله درّ أبي محمد العوني حيث يقول في ذلك :

أمامي كليم الشمس راجع نورها   فهل لكليم الشمس يا قوم من مثل

وقــال كشاجــم :

ومن دخــا لقنــا شمســه   عليه وقـد جنحت للطفــل
ولــو لم تعـد كــان في بـه   وفي وجهـه عن سناهـا بدل

وقال أبو الفضل الميكالي :

من ذا له شمس النهار تراجعت   بعد الأفول وقد تقضي المطلع
حتى إذا صلّىٰ الصـلاة لوقتهـا   أفلت ونجم عشا الأخيرة يطلع
في دون ذلـك لـلأنـام كفـايـة   من فضله ولذي البصيرة مقنـع

وقال الأصفهاني ، وقيل هو الصاحب :

أمن عليه الشمس ردت بعدمـا   أكسىٰ الظلام معاطف الجزران
حتى قضىٰ ما فات من صـلاته   في دبـر يـوم مشــرق ضحيـان
والناس من عجب رأوه وعاينـوا   يتـرججـون تـرجـج السكــران
ثم انثنت لمغـيبهــا منحــطة   كـالسهم طار بـريشة الـظهـران

فـصــل

في حديث تزويجه بالزهراء

في كتاب كشف اليقين قال ابن عباس : كانت فـاطمة بنت رسـول الله لا يـذكرهـا أحد لـرسول الله إلاّ أعـرض عنه وقـال : أتوقـع الأمر من السمـاء إن أمـرهـا إلى الله تعـالىٰ ، فقـال سعـد بن معــاذى الأنصـاري لعلي بن أبي طـالب : إني والله مـا أرىٰ النبي يـريـد بهـا غيـرك ، فقـال لـه : ما أنـا بذي دنيـاً يلتمس ما عنـدي وقـد علم هـو مـالي حمـراء ولا بيضـاء ، فقال لـه سعد : أعـزم عليك لتفعلن ، فقـال : ماذا أقـول ؟ فقـال : تقوم جئتـك خاطبـاً إلى الله وألى رسولـه فاطمـة بنت محمـد ، فـانطلق علي إليـه ﷺ فقـال لـه : كـأن لـك حـاجـة ؟ قـال : أجـل ، فقـال : هات . قال: جئتك خـاطبـاً إلى الله وإلى رسـولـه فـاطمـة بنت محمـد ، فقال ﷺ : مـرحباً وحبـاً ، فقال ﷺ ذلـك لسعـد ، فقـال :

أنكحك ابنته أنه لا يخلف ولا يكذب فدعا رسول الله ﷺ تلك الليلة بلالاً فقال : إني قد زوجت فاطمة إبنتي بإبن عمي وأنا أحب أن يكون من أخلاق أمتي الطعام عند النكاح أذهب يا بلال إلى الغنم فخذ شاة وخمسة أمداد خبز فاجعل لي قطعة فلعليّ أجمع عليها المهاجرين والأنصار ، ففعل ثم دعا الناس فأكل الجميع ، ثم قال : يا بلال إحملها إلى أمهاتك فقل لهن كلن واطعمن من عيشكن ففعل ، ثم أن النبي ﷺ دخل على النساء وقال : إني قد زوجت إبنتي بابن عمي وإني دافعها إليه فدونكن ابنتكن فقمن إلى الفتاة فعلقن عليها من حليهن وطيبنها وجعلن في بيتها فراشاً حشوه ليف ووسادة وكساء خيبرياً ومركناً وجراراً ومطهرة للماء وستر صوف رقيق وكان ﷺ بعث سلمان وبلالاً ليشتريا لها ذلك كله ، فلما وضع بين يديه بكىٰ وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللَّهمَّ بارك لقوم جل آنيتهم الخزف ثم أن رسول الله ﷺ هتف بفاطمة ، فلما رأت زوجها مع رسول الله بكت فأخذ النبي بيدها ويد علي فلما أراد أن يجعل كفها في كف علي بكت فقال النبي ﷺ : ما زوجتك من نفسي بل الله تعالىٰ تولىٰ تزويجك في السماء كان جبرائيل ؑ الخاطب والله تعالىٰ الولي وأمر شجرة طوبىٰ فحملت الحلي والحلل والدر والياقوت ، ثم نثرته وأمر الحور العين فإجتمعن فلقطن فهن يتهادينه إلى يوم القيامة ويقلن هذا نثار فاطمة وقد زوجتك خير أهلي لقد زوجتك سيداً في الدنيا وسيّداً في الآخرة ومن الصالحين وأمكنه من كفها وقال لهما : إذهبا إلى بيتكما جمع الله بينكما واصلح بالكما ولا تهيجا شيئاً حتى أتيكما فامتثلا حتى جلسا مجلسهما وعندهما أمهات المؤمنين وبينهن وبين علي حجاب وفاطمة مع النساء ، ثم أقبل النبي ﷺ فدخل وخرج النساء مسرعات سوى أسماء بنت عميس وكانت قد حضرت وفاة خديجة ، فبكت فقالت : أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين وأنت زوجة النبي ومبشرة على لسانه بالجنة ، فقالت : ما لهذا بكيت ولكن المرأة

ليلة زفافها لا بد لها من إمرأة تفضي إليها بسرها وتستعين بها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصباً وأخاف أن لا يكون لها من يتولىٰ أمورها حينئذٍ قالت أسماء بنت عميس فقلت : يا سيدتي لك عليَّ عهد الله لئن بقيت إلى ذلك اليوم أن أقوم مقامك في هذا الأمر ، فلما كانت تلك الليلة وأمر النبي ﷺ النساء بالخروج فخرجن وبقيت فلما أراد الخروج رأى سوادى فقال : من أنت ؟ فقلت أسماء بنت عميس ، قال : ألم آمرك أن تخرجي ؟ فقلت : بلى يا رسول الله وما قصدت خلافك ولكن أعطيت خديجة عهداً فحدثته فبكىٰ ، وقال : فأسأل الله أن يحرسك من فوقك ومن تحتك ومن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم ناوليني المركن واملئيه ماء ، فملأ فاه ثم مجه فيه ، ثم قال : اللَّهمَّ مني وأنا منهما ، اللَّهمَّ كما أذهبت عني الرِّجس وطهّرتني تطهِّيراً فاذهب عنهما الرِّجس وطهرهما تطيراً ، ثم دعا فاطمة فضرب كفاً بين يديها وأُخرىٰ بين عانقها وأُخرىٰ على هامتها . ثم نضح جلدها وجذبه ثم التزمها وقال : اللَّهمَّ إنها مني وأنا منها ، اللَّهمَّ فكما أذهبت عني الرجس وطهرتني تطهيراً فطهرها ، ثم أمرها أن تشرب منه وتتمضمض وتستنشق وتتوضأ ، ثم دعا بمركن آخر فصنع بعلي مثل ذلك ، ثم اغلق عليهما باباً وانطلق ولم يزل يدعو لهما حتى توارى في حجرته لم يشرك معهما أحداً في الدعاء .

قال ابن عباس : لما أن كانت ليلة زفت فاطمة إلى علي عليه السلام كان النبي قدامها وجبرائيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك من ورائها يسبحون الله ويقدّسونه حتى طلع الفجر ، والأخبار شائعة بهذا ونحوه وهو أعظم الفضائل . قلت ولله در من قال :

وعرس كانت الأملاك فيها	لتزويج الزكية شاهدينا
وكان وليها جبريل منهم	وميكائيل خير الخاطبينا
وزخرفت الجنان فظل فيها	لها ولدانها متزينينا
وكان نثارها هللا وحلياً	وياقوتاً ومرجاناً ثمينا

وعقيـانـاً وحـور العين فيهـا ولـدان كـرام لاقـطونـا
وكـان من النثار كمـا روينـا صكـاك ينتشـرن وينـطوينـا
بهـا للشيعـة الابرار عـتق جرى من عند رب العالمينا

قـال ابن شهـر آشـوب : وقـد جاء في بعض الكتب أنـه خـطب راحيـل في البيت المعمور وقـال الحمد لله الأوّل أوليـة الأولين ، البـاقي بعد فناء العـالمين نحمده إذ جعلنـا روحانين ، وبـربوبيتـه مذعنين ، ولـه على مـا أنعم علينـا شـاكـرين حجبنـا من الـذنـوب وسـترنـا من العيـوب أسكننـا في السمـاوات وقـربنـا إلى السـرادقـات وحجب عنـا النهم والشهوات وجعل نهمنا وشهواتنـا تنافي تقـديسه وتسبيحـه الباسط رحمتـه الواهب نعمته جلّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين وتعـالىٰ بعظمتـه عن أفك الملحدين .

ثم قـال الخطيب بعـد كلام : واختـار ملك الجبـار صـوفـة كـرمـه وعبـد عظمتـه لأمته سيـدة النساء بنت خيـر النبيين وسيّد المـرسلين وإمام المتقين فـوصـل حبله بحـل رجـل من أهله وصـاحبـه المصـدق دعـوتـه المبادر إلى كلمته على الوصول إلى فاطمة البتول إبنة الـرسول . وللسيـد الحميري :

نصب الجليل لجبرائيل منبراً في ظل طوبىٰ من متون زبرجد
شهد الملائكة الكرام وربهم وكفا بهم وبربـهم من شهـد
وتناثرت طـوبىٰ عليهم لؤلؤاً وزمـرداً متتـابعـاً لم يعقـد

وروي : أنـه كـان بين تـزويـج أميـر المؤمنين فـاطمـة عليها السلام في السماء إلى تزويجهـا في الأرض أربعين يومـاً زوجها رسـول الله من علي أول يوم من ذي الحجة . وروى أنه كان اليوم السادس منه .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة في تزويج فـاطمة رويت عن الـرضا فقـال : الحمد لله المحمود بنعمته المعبـود بقـدرتـه المـطاع في سلطانـه المـرغوب إليـه فيما عنـده المرهـوب من عذابـه النافـذ أمـره في سمـائه

وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ أن الله تعالىٰ جعل المصاهرة نسباً لا حقاً وأمراً مفترضاً وشج بها الأرحام وألزم بها الأنام ، قال الله تعالىٰ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً ثم أن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي ، الخبر .

وروي أنه كان صداقها خمسمائة درهم ، وقيل خمسمائة مثقال فضة .

وروي أربعمائة مثقال فضة .

وروي : أربعمائة وثمانين مثقال فضة وهو المروي عن الحسين وعن الباقر ببرد وحبرة وأهاب شاة على عرار . رواه عمر بن مقدام وجابر الجعفي .

وروي عن الصادق درع حطمية وإهاب كبش أو جدي .

رواه أبو يعلى مسنداً عن مجاهد ، وأما مهرها في السماء ففي خبر عن الباقر وجعلت نحلتها من علي خمس الدنيا وثلث الجنة وجعلت لها في الأرض أربعة أنهار الفرات ونيل مصر ونهروان ونهر بلخ ، وعن الصادق ﵇ أن الله تعالىٰ أمهر فاطمة ربع الدنيا فربعها لها والجنة والنار فتدخل أوليائها الجنة وأعدائها النار .

وفي خبر سئل النبي عن مهر فاطمة فقال : خمس الأرض فمن مشىٰ عليها مبغضاً لها ولولدها مشىٰ عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة .

وعن ابن مردويه أن النبي ﷺ قال لعلي : تكلم خطيباً لنفسك ، فقال ﵇ : الحمد لله الذي قرب من حامديه ودنا من سائليه ووعد الجنة من يتقيه وأنذر بالنار من يعصيه نحمده على قديم إحسانه وأياديه حمد من يعلم أنه خالقه وباريه ومميته ومساويه ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونستكفيه ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له

شهادة تبلغه وترضيه وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ ترفعه وتصطفيه . الخبر .

وعن أمالي الطوسي : عن الصادق في خبر وسكب الدراهم في حجره فأعطىٰ منها قبضة كانت ثلاثة وستين أو ستة وستين إلى أم أيمن لمتاع البيت وقبضة إلى أسماء بنت عميس للطيب وقبضة إلى أم سلمة للطعام وأنفذ عماراً وأبا بكر وبلالاً لإبتياع ما يصلحها وكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم وخماراً بأربعة دراهم وقطيفة سوداء خيبرية وسرير وفراشين وأربع مرافق وحصيراً ورحىً وسقاة ومخصب وقعب ومطهرة وجرة خضراء وكيزان خزف ونطع من أدم وعباء وقربة ماء .

وعن ابن مردوية في حديثه : فمكث علي عليه السلام تسعة وعشرين ليلة فقال له جعفر وعقيل: سله أن يدخل عليك أهلك ؟ فعرفت أم أيمن ذلك فقالت : هذا من أمر النساء وخلت به أم سلمة فطالبته بذلك فدعاه النبي ﷺ وقال : حباً وكرامة فأتي الصحابة بالهدايا فأمر بطحن البر وخبزه وأمر علياً عليه السلام بذبح البقر والغنم فكان النبي ﷺ يعضل ولم ير على يده أثر دم فلما فرغوا من الطبخ أمر النبي أن ينادي على أرس داره أجيبوا رسول الله ، وذلك كقوله تعالىٰ : ﴿وأذن في الناس بالحج﴾ ، فأجابوا من النخلات والزروع فبسط النطوع في المسجد فجلس الناس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة ورفعوا منها ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء ، ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث وأكلوا ، ثم دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت ووجه إلى منازل أزواجه ، ثم أخذ صحفة وقال : هذا لفاطمة وبعلها وكان النبي ﷺ أمر نساؤه أن يزين فاطمة ويصلحن من شأنها في حجرة أم سلمة فاستدعين من فاطمة طيباً فأتت بقارورة ، فسألت عنها ؟ فقالت : كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله فيقول لي : يا فاطمة هاتي الوساقة فاطرحيها لعمك فكان إذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه ، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك ؟ فقال : هو عنبر

يسقط من أجنحة جبرائيل عليه السلام وأتت بماء ورد ، فسألت أم سلمة عنه ؟ فقالت : هذا عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنت أخذه عند قيلولته عندي .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : قال لي الله يا علي إصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، ثم قال من عندنا اللحم والخبز وعليك التمر والسمن فاشتريت تمراً وسمناً فحسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذراعيه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه حيساً وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح وخبز لنا خبزاً كثيراً ، ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أدع من أحببت صعدت على ربوة هناك وناديت أجيبوا إلى وليمة فاطمة ، فأقبل الناس إرسالا فاستحييت من كثرة الناس وقلّة الطعام فدعا عليه رسول الله بالبركة . الخبر .

وفي المناقب عن الصدوق : في خبر فأمر النبي بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضي الله قال جابر : فاركبها على ناقته وفي رواية على بغلته الشهباء وأخذ سلمان زمامها وحولها سبعون حوراء والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمزة وعقيل وجعفر ، وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساء النبي قدامها يرجزن فأنشأت أم سلمة تقول :

سرن بعون اللّه جاراتي — واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعم رب العلى — من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد — أنعشنا رب السماوات
فسرن مع خير نساء الورىٰ — تفدي بعمات وخالات
يا بنت من فضله ذو العلي — بالوحي منه والرسالات

ثم قالت عائشة :

يا نسوة استرن بالمعاجر — اذكرن ما يحسن بالمحاضر
واذكرن رب الناس إذ خصنا — بدينه مع كل عبد شاكر

والحمد لله على أفضاله والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعلىٰ ذكرها وخصها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصة :

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر
فضلك اللّه على كل الورىٰ بفضل من خص بآي الزمر
زوجك اللّه فتىٰ فاضلاً أعني علياً خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها فإنها كريمة عند كريم الخطر

ثم قالت معادة أُم سعد بن معاد :

أقول قولاً فيه ما فيه واذكر الخير وأبديه
محمد خير بني آدم ما فيه من كبر ولاتيه
بفضله عرفنا رشدنا فاللّه بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدى ذي شرف قد مكثت فيه
في ذروة شامخة أصلها فما أرى شيئاً يدانيه

وكان النسوة يرجعن أول كل بيت من كل رجز ثم يكبرن ويهللن حتى دخلن الدار ، ثم أنفذ رسول الله إلى علي ودعاه إلى المسجد ، ثم دعا فاطمة وأخذ يديها ووضعها في يده ، وقال : بارك الله لك في إبنة رسول الله ، ثم قال مرحباً ببحرين يلتقيان ونجمين يلتقيان اللّهمَّ إنهما أحب خلقك إليَّ فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً وأني أعيذهما وذريتهما بك من الشيطان الرجيم ، ثم خرج إلى الباب وقال : طهركما وطهر نسلكما إني سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما أستودعكم الله وأستخلفه عليكما وباتت عندها أسماء بنت عميس أسبوعاً بوصية خديجة إليها ، فدعا لها النبي في دنياها وآخرتها . ثم أتاهما في صبيحتهما وقال : السلام عليكم أدخل رحمكم الله ففتحت أسماء الباب وكانا نائمان تحت كساء فقال : على حالكما فأدخل رجليه بين أرجلهما فسأل علياً كيف وجدت

أهلك ، فقال : نعم العون على طاعة الله وسأل فاطمة ، فقالت : خير بعل ، ثم دعا لهما وخرج .

وفي خصائص النسائي وهو أحد أرباب الصحاح الأربعة ، أخبرنا أحمد بن شعيب قال : أخبرني عمّار بن بكار بن راشد وساق السند إلى معاوية ، قال ذكر علي بن أبي طالب فقال سعد بن أبي وقاص : والله لأن يكون لي واحدة من خلال ثلاث أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس لأن يكون ، قال له حين رده من تبوك : أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلى أنه لا نبي بعدي أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ولأن يكون . قال لي ما قال له يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ولأن يكون لي أبنته ولي منها من الولد ماله أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس .

فصل
في حديث الغدير

إعلم : وفقنا الله تعالىٰ وإيَّاك أنه لا يوجد في الأحاديث حديث بلغ من الشهرة والتواتر ما بلغه هذا الحديث الشريف ولا يوجد له منكر في المسلمين والذي يريد دفعه لم ينكره أيضاً وإنما يلتجىء إلى التفسير حسب ما يريد وقد صح النقل وجاءت الرواية عن جمع كثير من الصحابة والتابعين أن قوله تعالىٰ : **﴿يا أيها النبي بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك﴾** نزلت في علي ﵇ يوم غدير خُم ، وحُكي عن تفسير ابن الأثير أنه قرأ ابن مسعود : **﴿يا أيها النبي بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك﴾** في علي ، وإن لم تفعل الآية ، ونحن هنا نقتصر في تفصيل ذلك على ما روي في كتاب روضة الواعظين عن أبي جعفر الباقر قال : حج رسول الله من المدينة وقد بلغ جميع الشرائع خلال الحج والولاية فأتاه

جبرائيل ، فقال له : يا محمد إن الله عزّ وجلّ يقرؤك السلام ويقول لك أني لم أقبض نبياً من أنبيائي ورسلي إلاّ بعد إكمال ديني وتكثير حجتي وقد بقي عليك من ذلك فريضتان مما يحتاج إليه أن تبلغهما قومك فريضة الحج وفريضة الولاية والخليفة من بعدك ، فإني لم أخل أرضي من حجة ولن أخليها أبداً وأن الله يأمرك أن تبلغ قومك الحج تحج ويحج معك كل من استطاع السبيل من أهل الحضر وأهل الأطراف والأعراب وتعلمهم من حجهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وتوقفهم من ذلك على أمثال الذين أوقفتهم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرائع فنادى رسول الله ﷺ في الناس ألا أن رسول الله يريد الحج ، وأن يعلمكم من ذلك مثل الذي علمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذلك على أوقفكم عليه وخرج رسول الله وخرج معه الناس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله فحج مع رسول الله ﷺ من أهل المدينة والأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسىٰ عليه السلام السبعين ألف الذين أخذ عليهم بيعة هارون ، فاتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة ، فلما وقف الموقف أتاه جبرائيل فقال : يا محمد أن الله تعالىٰ يقرئك السلام ويقول أنه قد دنا أجلك ومدتك وأني استقدمتك على ما لا بد منه ولا محيص عنه فاعهد عهدك وتقدّم وصيتك وأعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبيا عليهم السلام فسلمها إلى وصيك وخليفتك من بعدك حجتي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب عليه السلام فأقمه للناس وخذ عهده وميثاقه وبيعته وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم به وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية وليي ومولاهم ومولى كل مؤمن مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإني لم أقبض نبياً من أنبيائي إلاّ بعد إكمال ديني وإتمام نعمتي على خلقي واتباع ولي وطاعته وذلك أني لا أترك أرضي بغير قيم ليكون حجة على خلقي فاليوم أكملت

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً عليّ وليي ومولى كل مؤمن ومؤمنة عليّ عبدي ووصي نبيي والخليفة من بعده والحجة حجتي البالغة على خلقي مقرون طاعته مع طاعة محمد نبيي ومقرون طاعة محمد بطاعتي من أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته علماً بيني وبين خلقي فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن أشرك ببيعته كان مشركاً ومن لقيني بولايته دخل الجنة ومن لقيني بعداوته دخل النار ، فأقم يا محمد علياً علماً وخذ عليهم البيعة وخذ عهدي وميثاقي بالذي وثقتهم عليه فإني قابضك إليَّ ومستقدمك ، فخشي رسول الله ﷺ قومه وأهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية لما عرف من عداوتهم وما يبطنون عليه أنفسهم لعلي من البغضاء وسأل جبرائيل أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرائيل بالعصمة من الناس عن الله عزّ وجلّ فأخر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف فأتاه جبرائيل وأمره أن يعهد عهده ويقيم علياً للناس ، ولم يأته بالعصمة من الله تعالىٰ بالذي أراد حتى أتىٰ كراع العميم بين مكة والمدينة فأتاه جبرائيل وأمره بالذي أمر به من قبل ولم يأته بالعصمة ، فقال : يا جبرائيل إني لاخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي ، ثم رحل ﷺ فلما بلغ (غدير خُم) قبل الجحفة بثلاثة أميال أتاه جبرائيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والإنتهاز والعصمة من الناس فقال : يا محمد أن الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك : **﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك ـ في علي ـ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾** فكان أولهم بلغ قرب الجحفة فأمره أن يرد من تقدّم منهم وجلس من تقدم منهم في ذلك المكان ليقيم علياً للناس ويبلغهم ما أنزل الله عزّ وجلّ في علي عن الله تعالىٰ وفي الموضع سلمات فأمر رسول الله أن يقيم ما تحتهن وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس فتراجع الناس واحتبس أواخرهم في ذلك المكان لا يزالون وقام رسول الله فوق

تلك الأحجار وقال ﷺ : الحمد لله الذي علا بتوحيده ، ودنا بتفريده ، وجل في سلطانه ، وعظم في أركانه ، وأحاط بكل شيء وهو في مكانه - يعني أن الشيء في مكانه - وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه حميداً لم يزل محموداً لا يزال ، ومجيداً لا يزول ومبدياً معيداً، وكل أمر إليه يعود باري المسموكات وداحي المدحوات قدوس سبوح رب الملائكة والروح متفضل على جميع من براه ، مطول على جميع من ذاره يلحظ كل نفس والعيون لا تراه كريم حليم ذو أناة قد وسع كل شيء رحمته ومن خلقه بنعمته لا يعجل بانتقامه ولا يبادر بما استحقوا من عذابه ، فدفنهم السرائر وعلم الضمائر ، ولم تخف عليه المكنونات وما اشتبهت عليه الخفيات له الإحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء والقوة في كل شيء والقدرة على كل شيء لا مثله شيء وهو منشيء الشيء حين لا شيء وحين لا حي ، قائماً بالقسط لا إلٰه إلاَّ هو العزيز الحكيم جل عن أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، لا يلحق وصفه أحد بمعاينه ولا يجد كيف هو من سر وعلانية إلاَّ بما دل على نفسه أشهد له بأنه الله الذي أبلىٰ الدهر قدسه والذي يفني الأبد نوره والذي ينفذ أمره بلا مشورة ولا معه شريك في تقدير ولا تفاوت في تدبير صور ما ابتدع بلا مثال وخلق ما خلق بلا معونة من أحد ولا تكلف ولا احتيال أنشأها فكانت ، وبرها فبانت ، وهو الله الذي لا إلٰه إلاَّ هو المتقن الصنع الحسن الصنعة العدل الذي لا يجور الأكرم الذي ترجع إليه الأمور أشهد أنه الله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذلَّ كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته وخضع كل شيء لهيبته ملك الأملاك ومسخر الشمس والقمر في الأفلاك كل يجري لأجل مسمى يكور الليل على النهار يطلبه حثيثاً ، قاصم كل جبار عنيد وكل شيطان مريد ، لم يكن له ضد ولا معه ند أحد صمد لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد إلٰهاً واحداً ورباً ماجداً يشاء فيقضي ويريد فيقضي ويمنع ويعطي له الملك وله الحمد بيده الخير

وهو على كل شيء قدير يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل مستجيب الدعاء جزيل العطاء محصي الأنفاس ربّ الجنة والناس الذي لا يشكل عليه لغة ولا يضجره المستصرخون ولا يبرمه إلحاح الملحين عليه ، العاصم للصالحين والموفق للمتقين مولىٰ المؤمنين رب العالمين الذي استحق من كل خلق أن يشكره ويحمده على كل حال أحمده وأشكره على السراء والضراء والشدة والرخاء ، وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، فاسمعوا وأطيعوا لأمره وبادروا إلى مرضاته وسلموا لما قضاه رغبة في طاعته وخوفاً من عقوبته لأنه الله الذي لا يؤمن مكره ولا يخاف جوره ، أقر له على نفسي بالعبودية ، وأشهد له بالربوبية وأؤدي ما أوحى إلي به خوفاً وحذراً من أن تحل بي قارعة لا يدفعها عني أحد ، وإن عظمت منته وصفت خلقه لأنه لا إلٰه إلاّ هو ، أعلمني أن لم أبلغ ما أنزل إليَّ فما بلغت رسالته فقد تضمن لي العصمة وهو الله الكافي الكريم وأوحىٰ إليَّ : ﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية ، معشر الناس ما قصرت عن تبليغ ما أنزله ، وأنا مبين سبب هذه الآية أن جبرائيل هبط إليَّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي وهوالسلام أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأحمر وأسود ، أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي الذي محله مني محل هارون من موسىٰ إلاّ أنه لا نبي بعدي وليكم بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله تعالىٰ بذلك آية : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون﴾ ، وعلي بن أبي طالب الذي أقام الصّلاة وآتىٰ الزكاة وهو راكع يريد الله عزّ وجلّ في كل حال وسألت جبرائيل أن يستعفي لي من تبليغ ذلك إليكم أيها الناس لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المنافقين وادغال الآثمين وختل المستهزئين الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هنيئاً وهو عند الله عظيم لكثرة أذاهم غير مرة حتى سموني إذناً وزعموا أنه

لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه حتى أنزل الله في ذلك : **﴿الذين يؤذون النبي ويقولون هو إذن فقال لقل على الذي تزعمون أنه إذن خير لكم﴾** إلى آخر الآية ، ولو شئت أن أسمي القائلين بأسمائهم لسميت وأومأت إليهم بأعيانهم ولو شئت أن أدل عليهم لدللت ولكني في أمرهم قد تكرمت وكل ذلك لا يرضىٰ الله مني إلاَّ أن أبلغ ما أنزل إليَّ فقال : **﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ـ في علي ـ وأن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾** الآية .

فاعلموا معاشر الناس : وافهموه واعلموا إن الله قد نصب لكم ولياً وإماماً مفترضة طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين بإحسان وعلى البادي والحاضر والأعجمي والعربي والحر والمملوك والصغير والكبير وعلى الأبيض والأسود وعلى كل موحد ماض حكمه جائز قوله نافذ أمره ملعون من خالفه مرحوم من صدقه قد غفر الله لمن سمع له وأطاع .

معاشر الناس : إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم فإن الله عزّ وجلّ هو مولاكم وإلهكم ، ثم من دونه رسولكم محمد وليكم القائم المخاطب ، ثم من بعدي علي وليكم وإمامكم بأمر الله بكم ، ثم الأئمَّة الذين من صلبه إلى يوم يلقون الله ورسوله ، لا حلال إلاَّ ما أحلّه الله ولا حرام إلاَّ ما حرّمه الله عرفني الحلال والحرام وأنا أقضيت مما علمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه .

معاشر الناس : ما من علم إلاَّ وقد أحصاه الله فيّ وكل علم علّمت فقد أحصيته في إمام المتقين ما من علم إلاَّ علمته علياً هو الإمام المبين .

معاشر الناس : لا تضلوا عنه ولا تفروا منه ولا تستنكفوا من ولايته فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به ويزهق الباطل وينتهي عنه

ولا يأخذه في الله لـومة لائم وهـو أول من آمن بالله ورسـوله والـذي فدى رسول الله بنفسه والذي كان مع رسول الله ولا أحـد يعبد الله مـع رسولـه من الرجال غيره .

- معاشر الناس : فضلوه فقد فضّله الله واقبلوه فقد نصبه الله .

معـاشر النـاس : إنه إمـام من الله ولن يتـوب الله على أحـد أنكـر ولايتـه ولن يغفر الله لـه حتماً على الله أن يفعـل ذلـك بمن خـالف أمـره فيـه وأن يعذبـه عذابـاً نكـراً أبـد الاباد ودهـر الـدهـور ، فـاحـذروا أن تخالفوني فتصلوا نـاراً وقودهـا الناس والحجـارة أُعدت للكـافرين ، أيهـا الناس هي والله بشرىٰ من الأولين من النبيين والمرسلين فجميع المرسلين إليهم من العـالم من أهل السمـاوات والأرضين فمن شك في ذلـك فهـو كافر كفـر الجاهليـة الأولىٰ ومن شكّ في قـولي هذا فقـد شكّ في الكـل منه والشاك في ذلك فله النار .

معـاشر النـاس : حباني الله بهـذه الفضيلة بمنه عليّ وإحسـان منه إليَّ ولا إلـه إلاَّ هو لـه الحمـد مني أبـد الآبـاد ودهـر الـدهـور على كـل حال .

معـاشر النـاس : فضلوا علياً فـإنـه أفضـل النـاس بعـدي من ذكـر وأنثىٰ بنـا أنزل الله الـرزق وبقي الخلق اللعون ملعون مغضـوب مغضوب على من رد قـولي هذا عن جبـرائيل ﷺ عن الله تعـالىٰ فلتنـظر نفس مـا قدّمت لغد واتقوا الله أن تخالفوا إن الله خبير بما تعملون .

معاشر الناس : تدبـروا القرآن وافهمـوا آياتـه ومحكماتـه ولا تتبعوا متشابهه فـوالله لهـو مبين لكم نـوراً واحـداً ولا يـوضـح لكم تفسيـره إلاَّ الـذي أنا آخـذ بيده ومصعـده إليّ وشائـل بعضـده ومعلمكم ان من كنت مولاه فهذا مـولاه وهو علي بن أبي طـالب أخي ووصيي ومـوالاتـه من الله تعالىٰ أنزلها عليَّ .

معـاشر النـاس : إن علياً والـطيبين من ولـدي هم الثقـل الأصغـر

والقرآن الثقل الأكبر وكل واحد منهما مبيّن عن صاحبه موافق له لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض بأمر الله في خلقه وبحكمة في أرضه ألا وقد أديت ، ألا وقد بلّغت ، وألا وقد أسمعت ، ألا وقد أوضحت ، ألا إن الله عزّ وجلّ قال وأنا قلت عن الله : ألا أنه ليس أمير المؤمنين غير أخي هذا ولا تحل إمرة المؤمنين لأحد غيره ، ثم ضرب بيده إلى عضد علي عليه السلام فرفعه فكان أمير المؤمنين منذ أول ما صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد شال علياً حتى صارت رجلاه مع ركبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :

معاشر الناس : هذا علي أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على أمتي وعلى تفسير كتاب الله عزّ وجلّ والداعي إليه والمعامل بما يرضيه والمحارب لأعدائه والموالي على طاعته والناهي عن معصيته خليفة رسول الله وأمير المؤمنين والإمام الهادي بأمر الله .

أقول : ما يبدل القول لديه بأمر ربي أقول : اللّهمّ وال من والاه وعادِ من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحده ، اللّهمّ إنك أنت أنزلت الإمامة لعلي وليك عند تبيين ذلك بتفضيلك إياه بما أكملت لعبادك من دينهم وأنعمت عليهم بنعمتك ورضيت لهم الإسلام ديناً فقلت : ومن يتبعِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، اللّهمّ إني أشهدك أني قد بلّغت .

معاشر الناس: إنما أكمل الله عزّ وجلّ دينكم بإمامته فمن لم يأتم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله تعالى فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ولا يخفف الله عنهم العذاب ولا هم ينظرون .

معاشر الناس : هذا أنصركم لي وأحق الناس بي والله عزّ وجلّ وأنا عنه راضيان ، وما نزلت آية رضاً إلّا فيه وما خطب الله الذين آمنوا إلّا بدأ به ، ولا نزلت آية مدحَ في القرآن إلّا فيه ، ولا شهد الله بالجنة

في هل أتى على الإنسان إلاّ له ولا أنزلها في سواه ولا مدح بها غيره .

معاشر الناس : هو ناصر دين الله والمجادل عن رسول الله وهو التقي النقي الهادي المهدي نبيكم خير نبي ووصيكم خير وصي .

معاشر الناس : ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب علي عليه السلام .

معاشر الناس : إن إبليس أخرج آدم بالحسد فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم فإن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض بخطيئة وهو صفوة الله تعالىٰ ، فكيف أنتم إن زللتم وأنتم عباد الله ما يبغض علياً إلاّ شقي ولا يتوالى علياً إلاّ تقي ولا يؤمن به إلاّ مؤمن مخلص في علي والله سورة العصر **﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** .

معاشر الناس : قد أشهدت الله وبلّغتكم الرسالة وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين .

معاشر الناس : إتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون .

معاشر الناس : آمنوا بالله وبرسوله وبالنور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أعقابها .

معاشر الناس : النور من الله عزّ وجلّ فيّ ، ثم مسلول في علي ، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي الذي يأخذ بحق الله وبحق كل مؤمن لأن الله جلّ وعزّ قد جعلنا حجة على المقصرين والغادرين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين .

معاشر الناس : إني رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مت أو

قتلت إنقلبتم على أعقابكم وأن تنقلبوا فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين الصابرين إلاّ أن علياً الموصوف بالصبر والشكر إمام من بعدي ثم من بعده ولدي من صلبه .

معاشر الناس : لاتمنوا على الله بإسلامكم فيسخط الله عليكم فيصيبكم بعذاب من عنده إن ربك لبالمرصاد .

معاشر الناس : سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

معاشر الناس : إن الله وأنا بريئان منهم .

معاشر الناس : إنهم وأنصارهم وأشياعهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار ولبئس مثوىٰ المتكبرين .

معاشر الناس : إني أدعها أمانة ووراثة في عقبي إلى يوم القيامة وقد بلّغت ما بلّغت حجة على كل حاضر وغائب وعلى كل أحد ممن شهد أو لم يولد فليبلغ الشاهد الغائب والوالد الولد يوم القيامة وسيجعلوها ملكاً واغتصاباً سنفرغ لكم أيها الثقلان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران .

معاشر الناس : إن الله عزّ وجلّ لم يكن يذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب .

معاشر الناس : إنه ما من قرية إلاّ والله مهلكها بتكذبيها وكذلك مهلك القرىٰ وهي ظالمة كما ذكر الله عزّ وجلّ وهذا إمامكم ووليكم وهو مواعد والله يصدق وعده .

معاشر الناس : قد ضل قبلكم أكثر الأولين والله فقد أهلك الأولين وكذلك الآخرين

معاشر الناس : إن الله قد أمرني ونهاني وقد أمرت علياً ونهيته وعليه الأمر والنهي من ربه عزّ وجلّ فاسمعوا لأمره وانهوا لنهيه وصيروا

إلى مراده ولا يتفرق بكم السبل عن سبيله أنا صراط المستقيم الذي أمركم باتباعه ، ثم علي من بعدي ، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، ثم قرأ الحمد لله إلى آخرها وقال فيّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمّت وإياهم خصت وعمّت أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ألا أن حزب الله هم الغالبون ألا إن أعدائهم أهل الشقاق العادون وإخوان الشياطين الذي يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ألا إن أولياءهم الذين ذكرهم الله في كتابه المؤمنون، فقال تعالىٰ : **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾** إلى آخر الآية ، ألا إن أوليائهم الذين وصفهم جل وعزّ **﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾** ألا إن أوليائهم الذين آمنوا ولم يرتابوا إن أوليائهم الذين يدخلون الجنة آمنين **﴿وتتلقاهم الملائكة بألسنتهم أن طبتم فادخلوها خالدين﴾**، ألا أن وليائهم الذين قال الله عزّ وجلّ : **﴿يدخلون الجنة بغير حساب﴾** ألا إن أعدائهم يصلون سعيراً ألا إن أعدائهم الذين يسمعون لجهنم شهيقاً وهي تفور **﴿ولها زفير كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾** الآية ، ألا إن أعداءهم الذين قال الله عزّ وجلّ : **﴿كلما ألقىٰ فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾** الآية ، ألا إن أوليائهم الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير .

معاشر الناس : إني نبي وعلي وصيي ألا أن خاتمة الأئمة منا القائم المهدي ألا أنه الظاهر على الدين ، ألا إنه المنتقم من الظالمين ، ألا إنه فاتح الحصون وهادمها ، ألا إنه فاتح كل قبيلة من الشرك ، ألا إنه مدرك بكل ثار لأولياء الله عزّ وجلّ ، ألا وإنه لناصر لدين الله ، ألا إنه الغراف من بحر عميق، ألا إنه يسم كل ذي فضل بفضله وكل ذي جهل بجهله ، ألا إنه خيرة الله ومختاره ، ألا إنه وارث كل علم والمحيط بكل فهم ، ألا إنه المخبر عن ربه تعالىٰ والمشبهة لأمر إيمانه ، ألا إنه الرشيد ، ألا إنه المفوض إليه ، ألا إنه

الباقي حجة ولا حجة بعده ولا حق إلاّ معه ولا نور إلاّ عنده ، ألا انه لا غالب له ولا منصور عليه ، ألا انه ولي الله في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في سره وعلانيته .

معاشر الناس : قد بيّنت لكم وأفهمتكم وهذا علي يفهمكم بعدي ألا وإن عند إنقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي على بيعته والإقرار به ، ثم مصافقته بعد يدي ، ألا إني قد بايعت الله وعليّ قد بايعني وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّ وجلّ : **﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾** الآية .

معاشر الناش : إن الحج والعمرة من شعائر الله **﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾** الآية .

معاشر الناس : حجوا البيت فما وردوه أهل بيت إلاّ نموا وأنسلوا ولا تخلفوا عنه إلاّ اهتزوا وافترقوا .

معاشر الناس : ما وقف بالموقف مؤمن إلاّ غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقت ذلك ، فإذا إنقضت حجته إستؤنف عمله .

معاشر الناس : الحجاج معانون ونفقاتهم مخلفة والله لا يضيع أجر المحسنين .

معاشر الناس : حجوا بكمال الدين والنفقة ولا تنصرفوا عن المشاهد إلاّ بمؤنة وإقلاع .

معاشر الناس : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمركم الله عزّ وجلّ فإن طال عليكم الأمد فقصر ، ثم إن نسيتم فعلي وليكم ومبين لكم ما لا تعلمون ألا أن الحرام والحلال أكثر من أن أحصيهما وأعرفهما فآمر بالحلال وأنهي عن الحرام في مقام واحد وأمرت أن أتخذ البيعة عليكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجلّ في علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده الذين هم مني ومنه أمة قائمة فيهم خاتمها المهدي

إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحق .

معاشر الناس : فكل حلال دللتكم عليه أو حرام نهيتكم عنه فإني لم أرجع عن ذلك ولم أبدل ، ألا فاذكروا ذلك واحفظوا وتواصوا به ولا تبدلوه ، ألا وإني أُجدد القول ، ألا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، ألا وإن رأس الأمر بالمعروف أن تنتهوا إلى قولي وتبلغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته ، فإنه أمر من الله عزّ وجلّ ومني .

ومعاشر الناس : القرآن يعرفكم أن الأئمة من بعده ولده وعرفتكم أنهم مني ومنه حيث يقول الله جلّ وعز وجعلها كلمة باقية في عقبة ولن تضلوا ما تمسكتم بهما .

معاشر الناس : التقوى التقوى واحذروا الساعة ، كما قال عزّ وجلّ إن زلزلة الساعة شيء عظيم اذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدي رب العالمين والثواب والعقاب فمن جاء بالحسنة أفلح ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان من نصيب .

معاشر الناس : إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحد وأمرني الله عزّ وجلّ أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقد لعلي أمير المؤمنين ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه فقولوا بأجمعكم إنا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلغته عن أمر ربي وأمر علي أمير المؤمنين وولده من صلبه من الأئمة على ذلك قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأبداننا على ذلك نحيا ونموت ونبعث لا نغير ولا نبدل ولا نشك ولا نرتاب ولا نرجع عن عهد ولا ميثاق ونعطي رسوله وعلياً أمير المؤمنين وولده الأئمة الذين لهم ذكر من صلبه من الحسن والحسين الذين قد عرفتكم مكانهما مني ومحلهما عندي ومنزلتهما من ربي عز وجل فقد أديت ذلك إليكم وإنهما لسيّدا شباب أهل الجنة وأنهما الإمامان بعد أبيهما علي ، وأنا أبوهما قبله ، فقولوا

أعطينا الله بذلك وأنت وعلياً والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت عهداً وميثاقاً مأخوذاً لأمير المؤمنين من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ومصافقة أيدينا من أدركهما بيده وإلاّ فقد أقربهما بلسانه لا يبتغي بدلاً ولا يرى الله عزّ وجلّ منها حولاً أبداً ، أشهدنا الله وكفى بالله شهيداً وأنت علينا به شهيد وكل من أطاع ممن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله أكبر من كل شهيد .

معاشر الناس : ما تقولون فإن الله يعلم كل صوت وخافية كل نفس فمن إهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضل عليها ومن بايع ، فإنما يبايع لله يد الله فوق أيديهم .

معاشر الناس : فاتقوا الله وتابعوا علياً أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة كلمة باقية يهلك الله من غدر ويرحم من وفى ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفي بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً .

معاشر الناس : قولوا الذي قلت لكم وسلموا على علي بإمرة المؤمنين وقولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير وقولوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

معاشر الناس : إن فضائل علي بن أبي طالب عند الله عزّ وجلّ قد أنزلها في القرآن أكثر من أحصيها في مقام واحد فمن أنبأكم بها فصدقوه .

معاشر الناس : من يطع الله عزّ وجلّ ورسوله وعلياً والأئمّة الذين ذكرهم فقد فاز فوزاً مبيناً .

معاشر الناس : السابقون السابقون إلى مبايعته وموالاته والسلام عليه بإمرة المؤمنين أولئك الفائزون في جنات النعيم .

معاشر الناس : قولوا ما يرضى الله عنكم من القول فإن تكفروا

أنتم ومن في الأرض جميعاً فلن يضر الله شيئاً ، اللّهمَّ أغفر للمؤمنين وأعطب الكافرين ، والحمد لله رب العالمين ، فنادى القوم : نعم سمعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا وألسنتا وأيدينا وتداكوا على رسول الله ﷺ وعلى علي عليه السلام بأيديهم إلى أن صلّيت العشاء والعتمة في وقت واحد وواصلوا البيعة والمعانقة ثلاثاً ورسول الله ﷺ يقول : كلما بايع قوم الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين .

أقول : ولنختم هذا الفصل الشريف بهذه القصيدة الغراء الفريدة للأديب الأريب عبد الباقي أفندي العمري الموصلي البغدادي حشره الله مع مواليه :

أنت العلي الذي فوق العلىٰ رفعا ... ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا
وأنت حيدرة الغاب الذي أسد ... البرج السماوي عنه خاسئاً رجعا
وأنت باب تعالىٰ شأن حارسه ... بغير راحة روح القدس ما قرعا
وأنت ذاك البطين الممتلىء حكماً ... معشارها فلك الأفلاك ما وسعا
وأنت ذاك الهزبر الأنزع البطل ... الذي بمخلبه للشرك قد نزعا
وأنت يعسوب نحل المؤمنين إلى ... أي الجهات انتحى يلقاهموا تبعا
وأنت نقطة باء مع توحدها ... بها جميع الذي في الذكر قد جمعا
وأنت والحق يا أقضى الأنام به ... غداً على الحوض حقاً تحشران معا
وأنت صنو نبي غير شرعته ... للأنبياء إلٰه العرش ما شرعا
وأنت زوج إبنة الهادي إلى سنن ... ما حاد عنه عداه الرشد فانخزعا
وأنت بالطبع سيف تارة عطباً ... يسقي الثغور ويشفي مرة طبعا
وأنت غوث وغيث في ردى وندى ... لخائف وللاج لاذ وانتجعا
وأنت ركن يجير المستجير به ... وأنت حصن لمن من دهره فزعا
وأنت من بنداه عز من طمعا ... وفي جدى من سواه ذل من قنعا
وأنت ذو منصل صل ينضنض في ... غمد كلغد لمكر الكفر قد بلعا
وأنت عين يقين لم يزده به ... كشف الغطاء يقيناً آية ، إنقشعا
وأنت ذو حسب يعزي إلى نسب ... قد ينطفىء سبب أوج العلىٰ قرعا

وأنت ضئضىء مجد في مدى أمد ... قد فصل الدهر أوصالاً وما انقطعا
وأنت من حمت الإسلام وفرته ... ودرعت ليدتاده الدين فأدرعا
وأنت من فجع الدين المبين به ... ومن بأولاده الإسلام قد فجعا
وأنت أنت الذي منه الوجود نضى ... عمود صبح ليافوخ الدجىٰ صدعا
وأنت أنت الذي حطت له قدم ... في موضع يده الرّحمٰن قد وضعا
وأنت أنت الذي للقبلتين مع ... النبي أول من صلّى ومن ركعا
وأنت أنت الذي في نفس مضجعه ... في ليل هجرته قد بات مضطجعا
وأنت أنت الذي آثاره ارتفعت ... على الأثير وعنها قدره إتضعا
وأنت أنت الذي أثاره مسحت ... هام الأثير فابدى رأسه الصلعا
وأنت أنت الذي يلقي الكتائب في ... ثبات جاش له ثهلان قد خضعا
وأنت أنت الذي للّه ما فعلا ... وأنت أنت الذي للّه ما صنعا
وأنت أنت الذي للّه ما وصلا ... وأنت أنت الذي للّه ما قطعا
حكمت في الكفر سيفاً لو هويت به ... يوماً على كبد الأفلاك لنخلعا
محدب يتراءى في مقعره ... موج يكاد على الآفـ أن يقعا
أسلت من غمده ناراً مروقة ... تجرع الكفر من راووقها جرعا
حكى الحمام حماماً من حسامك في ... لسان نار علىٰ هاماتهم سجعا
غليله طالما أوردته علقا ... يوم النهروان من نهر فما انتقعا
بذي فقارك عنا أي فاقرة ... قصمتها ودفعت السوء فاندفعا
أراد سيفك في ليل العجاجة أن ... يروي السنا عن لسان الصبح فاندلعا
عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو ... كان العلاج بغير البيض ما نفعا
والرعد قد ظن طرف البرق فيك كبا ... لما أغرت على العليا فقال لعا
نبذت للشرك شلواً بالعراء لذا ... عليه نسر من الخذلان قد وقعا
والليل لما تسمىٰ كافراً بشبا ... فرضاب بطشك قد غادرته قطعا
وباب خيبر لو كانت مسامره ... كل الثوابت حتى القطب لأنقلعا
باريت شمس الضحى في جنة بزغت ... في يوم بدر بزوغ البدر إذ سطعا
للّه درّ فتىٰ الفتيان. سنك فتىٰ ... ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا

لقد ترعرعت في حجر عليه لذى ... حجر إبراهيم تعظيم لها قطعا
ربيب طـه حبيب الله أنت ومن ... كان المربى لـه طه فقد برعا
رعاه مولاه من راع لامته ... لجده وأبيه الحق فيك رعا
أخاك من عز قدراً أن يكون لـه ... أخاً سواك إذا داعى الإخاء دعا
سمتك أمك بنت الليث حيدرة ... أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا
لك الكساء مع الهادي وبضعته ... وقرتي ناظريه أبنيك قد جمعا
لئن توجع في يوم الطفوف لهم ... فما سوىٰ الله والله اشتكى ا ِجعا
قد خادعوا منك في صفين ذا كرم ... أن الكريم إذا خادعته انخدعا
نهج البلاغة نهج منك بلغنا ... رشداً به أجتث عرق الغي فانقمعا
به دمغت لأهل البغي أدمغة ... لنخوة الجهل قد كانت أشروعا
كم مصقع من خطاب قد صقعت به ... فوق المنابر صقع الغدر فانصقعا
ما فرق الله شيئاً في خليقته ... من الفضائل إلاّ عندك اجتمعا
أبا الخسين أنا حسان مدحك لا ... أنفك أظهر في إنشائه البدعا
وكل من راح للعلياء مبتكراً ... جاء الثناء على علياه مخترعا
عذراً فقد ضقت ذرعاً عن إحاطته ... وكلما ضقت من تحديده اتسعا
وجوهر المدح في علياك رونقه ... بلبة الدهر في لألائه نصعا
مدح لقد خضعت كل الحروف له ... وكل صوت إلى إنشاده خشعا
به أساجل أقواماً أجالسهم ... فيذهبون بتهذيبي لـه شيعا
مستنبط من قليب القلب ينضحه ... فكر وهل تنزح الأفكار مانبعا
أوراقه مرتع الأحداق كم نظر ... فيه لذي نظر في الشعر قد رتعا
ريع ربيع المعاني في بطائحه ... ترى لسائمة الأفكار مرتبعا
في كل بيت قصيد من مقاصده ... باب بمصرعه التخييل قد صرعا
ما زاده فكر ذي حدس مطالعة ... إلاّ وزاد كأفكاري به ولعا
وما تعلق فيه طرف رامقه ... إلاّ وشاهد برقاً ومضه لمعا
وما وعت مهجة أفلاذ جذوته ... إلاّ ومقباسها أثنائها لذعا
وما بكت مقلة من فيه قد ذكروا ... إلاّ سقت ما به تذكارهم زرعا

وما امتطى لاحقاً في أثره أحد إلى وعن شأوه في عدوه ضلعا
بسيط بحر له ثغر . بمرشقه للأبحر السبع مأمون الشجا كرعاً
فاقبل فدتك نفوس العالمين ثناً بمثله العالم العلوي ما سمعا
عليك اسنىٰ سلام الله ما غربت شمس وما قمر من أفقه طلعا
والك الغر ما ناحت مطوقة من فوق غصن اسىٰ في حزنها نبعا
وماالأوج العلىٰ نادى مؤرخه مقام نعت عليّ باسمه رفعا

ومن قصيدة لابن الرومي يذكر فيها الغدير ويمدح أمير المؤمنين عليه السلام :

يا هند لم أعشق ومثلي لا يرى عشق النساء ديانة وتحرجا
لكن حبي للوصي مختم في الصدر يسرح في الفؤاد تولجاً
فهو السراج المستنير ومن به سبب النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبة لم أجد يوم القيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي أأترك مستقيم طريقه جهلاً واتبع الطريق الأعوجا
وأراه كالتبر المصفىٰ جوهراً وأرى سواه لنا قديه مهرجا
ومحله من كل فضل بين عال محل الشمس أو بدر الدجىٰ
قال النبي له مقالاً لم يكن يوم الغدير لسامعيه مجمجا
من كنت مولاه فذا مولىٰ له مثلي وأصبح بالفخار متوجا
وكذاك إذ منع البتول جماعة خطبوا وأكرمه بها إذ زوجا

فصل
في شجاعته عليه السلام
(ومواقفه المأثورة أيام رسول الله صلّ الله عليه وآله وسلّم)

أشهر الغزوات التي غزاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ست وعشرون أولها :

غزوة الألواء ، الثانية غزوة بواط ، الثالثة غزوة العشرة ، الرابعة

غـزوة بدر الأولىٰ ، الخـامسة غـزوة بدر الكبـرىٰ ، السـادسـة غـزوة بني سليم ، السابعة غـزوة السويق ، الثـامنة غـزوة ذي أمرة ، التـاسعة غـزوة أحد ، العاشرة غزوة نجران ، الحاديـة عشر غـزوة الأسد ، الثـانية عشـر غزوة بني النضير ، الثـالثة عشـر غزوة ذات الـرقاع ، الـرابعة عشـر غزوة بدر الأخيرة ، الخامسة عشـر غزوة دومـة الجندل ، السـادسة عشـر غزوة الخنـدق ، السابعـة عشر غـزوة بني قـريضـة ، الثـامنـة عشـر غـزوة بني لحيـان ، التاسعـة عشر غـزوة القردة ، العشـرون غزوة بني المصـطلق ، الإحدى والعشرون غزو الحديبية ، الثانية والعشرون غزوة خيبر ، الثـالثة والعشـرون غزوة الفتـح ، الـرابعـة والعشـرون غـزوة حنين ، الخـامسـة والعشرون غزوة الطائف ، السادسة والعشرون غزوة تبوك .

وقد ذكرت في كتب المناقب وغيرهـا غزوات أُخـرىٰ لكنها لم تبلغ من الشهـرة مبلغاً يمكن الاعتمـاد عليـه ، وأمـا سـرايـاه ﷺ فست وثـلاثون سـرية وأكثـر هذه الغـزوات والسرايـا التي وقع فيهـا القتال كـان الفتح فيها لأمير المؤمنين عليه السلام ونحن في كتابنا هذا نـذكر مشـاهير مـا وقع فيهـا القتـال من غـزواتـه ﷺ ونقتصـر في الغـالب على مـا كـان لأمـير المؤمنين من المواقف فنقول :

غزوة بدر الكبرى

وكانت في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان السنة الثانية من الهجرة وكان السبب فيها ما ذكره علماء السير وأرباب التاريخ إن أبا سفيان أقبل بعير قريش من الشام وفيها أموالهم ومعها أربعون راكباً من قريش فندب النبي ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها ، وقال لعل الله أن ينفلكموها ، فانتدب الناس فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي استأجر ضمضم بن عمر والغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد تعرض لعيرهم في أصحابه ، فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ، ثم وافي بجمله إلى أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلاّ أصابته منه فلذة ، فانتبهت فزعة من ذلك فأخبرت العباس فأخبر العباس عتبة بن ربيعة ، فقال عتبه هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك أبا جهل ، فقال : هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لننتظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقاً وإلاّ لنكتبن كتاباً بيننا أنه ما من أهل بيت في العرب اكذب رجالاً ولا

نساء من بني هاشم ، فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم ينادي يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة العير العير أدركوا وما رآكم تدركون أن محمداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهيأوا للخروج وما بقي أحد من عظماء قريش إلاّ أجهز ما لا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وأخرجوا معهم الفتيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم وأخبره بهم ، ولما بلغ أصحاب النبي ﷺ كثرة قريش فزعواواستغاثوا وتضرعوا فأنزل الله ﴿إذ تستغيثون﴾ الآية .

قال ابن عباس : لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال أبو جهل : اللَّهمَّ أولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله تعالىٰ : ﴿إذ تستغيثون﴾ الآية .

ولما نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل : ما هم إلاّ أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لجاؤنا بهم وأخذوهم أخذاً باليد، وقال عتبة : أترى لهم كميناً أو مدداً فطاف عمرو بن وهب الجمحي على عسكر رسول الله ، ثم رجع وقال : ما لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلاّ سيوفهم ، وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتاؤا رأيكم فقال له أبو جهل : كذبت وجبنت وخطب عتبة بن ربيعة فقال في خطبة : يا معاشر قريش إن محمداً هو إبن عمكم فخلوه ، فإن يك صادقاً فأنتم أعلا عيناً به وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره ، فغاظ أبا جهل قوله وقال له : جبنت ، فقال : يا مصفر أسته مثلي يجبن ستعلم قريش أينا الئم واجبن ولبس درعغ وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد ، وقال : يا محمد أخرج إلينا اكفائنا من قريش فبرز إليه

ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا : إرجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش .

فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وقال : قم يا عبيدة ونظر إلى حمزة بن عبد المطلب ، فقال : قم يا عم ، ثم نظر إلى علي بن أبي طالب ، فقال : قم يا علي فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفيء نور الله ويأبىٰ الله إلاَّ أن يتم نوره ، ثم قال : يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة ، وقال لحمزة : عليك بشيبة ، وقال لعلي : عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا : أكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها فسقطا جميعاً وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على عاتقه فأخرج السيف من أبطه قال علي عليه السلام : لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فصاح المسلمون يا علي أما ترى الكلب بهر عمك فحمل عليه علي ، فقال : يا عم طأطيء رأسك وكان حمزة أطول من شيبة فادخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء علي عليه السلام إلى عتبة وبه رمق فاجهز عليه ، وفي ذلك تقول هند بنت عتبة :

أبي وعمي وشقيقي بكري   بهم قصمت يا علي ظهري

وحمل عبيدة حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله ﷺ فاستعبر فقال : يا رسول الله ألست شهيداً ؟ قال : بلىٰ أنت أول شهيد من أهل بيتي ، فقال : إذن لا أُبالي بالموت فنادى أبو جهل بقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر أبناء ربيعة . عليكم بأهل يثرب فأجزرهم جزراً وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها .

وجاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم فقال لهم : أنا جار لكم ادفعوا إلى رايتكم فدفعوها إليه فنظر إليه النبي ﷺ فقال لأصحابه : غضوا أبصاركم وعضوا على النواجذ ورفع يده وقال : يا رب أن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، ثم أصابه الغشي فسرىٰ عنه وهو يسلت العرق عن وجهه وقال هذا جبرائيل عليه السلام قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين ولما رآى إبليس الملائكة فر على وجهه فصاح المشركون إلى أين يا سراقة فصاح إني أرىٰ ما لا ترون وغاب عن أعينهم وأقبل أبو جهل على أصحابه يحضهم على القتال ويقول : لا يغرنكم خذلان سراقة بن جشعم إياكم فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه سيعلم إذا رجعنا إلى فديد ما نصنع بقومه ولا يهولنكم مقتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا ، وأيم الله لا نرجع اليوم حتى نقرن محمداً وأصحابه في الجبال فلا ألفين أحداً منكم قتل منهم أحداً ولكن خذوا خذاً لنعرفهم بالذي صنعوا لفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباؤهم .

قال : ونادى رسول الله : اللّهمّ لا يفوتنك فرعون هذه الأمة يعني أبا جهل لعنه الله اللّهمّ اكفني نوفل بن خويلد ، قال : وتدرع أبو جهل بدرعه والتمس بيضته يدخلها رأسه ، فما وجد من عظم هامته فخرج معتجراً ببرد له وهو يقول والله لا أرجع حتى يحكم بيننا وبين محمد وجال بين الصفين كأنه الشيطان الرجيم وارتجز يقول :

ما تنقم الحرب العوان مني   بازل عامين حديث سن
لمثل هذا ولدتني أمي

قال : وأمر رسول الله أن لا يحملوا حتى يأمرهم وخرج ﷺ وهو يقول : (سيهزم الجمع ويولّون الدبر) وحرض المسلمين وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلاّ أدخله الله الجنة .

فقال عمير بن الحمام : الأنصاري بخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلاّ أن يقتلني هؤلاء ، ثم قاتل حتى قتل ، ثم رمى حارثة بن مراق الأنصاري فقتل وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل واقتتل الناس قتالاً شديداً وكان كل من قتل من المشركين يصيح قتلني علي بن أبي طالب ، فسأل النبي فقال : يريهم الله الملائكة على صورة علي لأن ذلك أهيب لقلوبهم وأخذ رسول الله حفنة من التراب ورمى بها قريشاً وقال : شاهت الوجوه ، وقال لأصحابه : شدوا عليهم فقتل من المشركين وأسر من أسر منهم قال عبد الرحمن بن عوف : كنت واقفاً في الصف فأتاني غلامان حديثة أسنانهما فغمزني أحدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم ، وما حاجتك إليه يابن أخي ، قال : بلغني أنه سب رسول الله والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا ، قال : فغمز في الآخر فقال لي : مثلها فتعجبت لذلك ، فلم أشعر إذ نظرت إلى أبي جهل لعنه الله يجول في الناس فقلت لهما : ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفهما فاستقبلهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله فقال : أيكما قتله ؟ فقال : كل واحد منهما أنا قتلته ، قال : هل مسحتما سيفكما ؟ قالا : لا فنظر رسول الله في السيفين فقال : كلا كما قتله .

وروي أن معاذ بن عفراء ضرب أبا جهل هو وأخوه عوف بن الحرث ، حتى أتياه فعطف عليهما فقتلهما ثم وقع صريعاً فركض إليه إبن مسعود, فوجده بآخر رمق قال : فوضعت رجلي على عنقه ، ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوا الله ؟ قال : وبما أخزاني أأعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة ، قلت : لله ولرسوله ، فقال : لي لقد أرتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً ، قال : فقلت إني قاتلك ، فقال : ما أنت بأول عبد قتل سيده أما والله أشد شيء لقيته اليوم قتلك إياي إلاّ قتلني رجل من الطيبين الأحلاف فضربه بسيفه فوقع رأسه بين

رجليه فحمله إلى رسول الله فسجد شكراً لله .

ويحكىٰ أن أبا جهل قال يوماً لعبد الله بن مسعود لأقتلنك فأجابه أني رأيت في المنام أني كنت أضرب بحدج الحنظل على قفاك فإن صدقت الرؤيا لأذبحنك ذبح الشاة ، فقال رسول الله : من يتأول على الله يكذبه وفي يوم بدر كان ابن مسعود يدور على القتلىٰ ومن كان به رمق يجهز عليه قال : فوجدت أبا جهل وقد دس نفسه في القتلىٰ فوضعت قدمي على ظهره فعلوته فنظر إليّ وقال : يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً ، ثم قال لي : لقد علمت أنك قاتلي ولكن لي إليك ثلاث حاجات أن تقتلني بسيفي فإن سيفك كليل وأن تقطع رأسي من الصدر وأن تقول لمحمد ما لمت نفسي على عداوتك قال : فقلت والله لا أقتلك إلّا بسيفي هذا الكليل وأما قطع رأسك فوالله لا أقطعه إلّا من الذقن ، وأما عداوة رسول الله فالله أعدى لك، ثم حزَّ رأسه وأراد أن يحمله فلم يمكنه ولم يقو عليه فشد عليه حبلاً وجعل يجبره على الأرض ، فقال له رسول الله : هذا تأويل رؤياك من يتأول على الله يكذبه أشار إلى قول أبي جهل لعبد الله بن مسعود .

وقتل أمير المؤمنين في هذه الغزوة من مشاهير شجعان قريش جماعة منهم العاص بن سعيد بن العاص وحنظلة بن أبي سفيان وطعيمة بن عدي ونوفل بن خويلد ، فكان عليه السلام تولىٰ شطر المقتولين والمسلمون مع الملائكة الشطر الآخر وكان الختام بتناول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفا من الحصا ورماه في وجوه المشركين قائلاً : شاهت الوجوه فولوا الدبر وأسر المسلمون جمعاً من المشركين فيهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهؤلاء أسرهم أمير المؤمنين عليه السلام وعن أبي بردة قال : جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس وضعتها بين يدي رسول الله ، فقلت : يا رسول الله أما إثنان فقتلتهما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً أبيض ضربه فتدهده أمامه فأخذت رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذاك فلان من الملائكة وكان

ابن عبـاس يقول كـان الملك يتصور في صـورة من يعرفـه المسلمون من الناس .

ويروى أن أكثرهم تصوروا بصورة علي ﷺ.

غـزوة أُحد

وهي تلت بـدراً ، وكان قـدوم قـريش يـوم الخميس لخمس خلون من شـوال والواقعـة يوم السبت لسبـع خلون منه سنـة ثـلاث من الهجـرة وكان أصحاب رسول الله سبعمائـة والمشركـون ثلاث آلاف فـارس وألفي راجـل ، واخـرجـوا معهم النسـاء يحـرضن على حـرب رسـول الله ﷺ وأخـرج أبـو سفيـان هنـد بنت عتبـة وخـرجت معهم عمـرة بنت علقمـة الحارثية .

وكانت راية رسـول الله بيد أميـر المؤمنين كما كـانت بيده يـوم بدر وكان له الفتح في هذه كمـا كان يـوم بدر وكـانت الألويـة من قريش بيـد بني عبـد الدار ورايـة المشركين مـع طلحـة بن أبي طلحـة وكـان يـدعى كبش الكتيبة فجاء أبو سفيان إلى أصحاب الألويـة وقال إنكم قـد تعلمون أن القـوم تؤتى من قبل ألـويتهم وإنكم أتيتم يوم بـدر من قبل ألـويتكم ، فإن كنتم تـرون تضعفـون عنهـا فـادفعـوهـا إلينـا نكفيكمـوهـا ، فغضب طلحـة بن أبي طلحـة وقـال : ألنـا تقـول هـذا والله لأوردنكم بهـا اليـوم حيـاض المـوت فتقـدم ، وتقـدم علي بن أبي طـالب فقـال : من أنت ؟ قـال : أنا طلحـة بن أبي طلحة أنـا كبش الكتيبـة فمن أنت ؟ قـال : أنـا علي بن أبي طـالب بن عبد المـطلب ، فقـال : كفـو كـريم ، ثم تقـارنـا

فاختلف بينهما ضربتان فضربه علي بن أبي طالب ضربة على مقدم رأسه فبدرت عيناه وصاح صيحة لم يسمع مثلها وسقط اللواء من يده فأخذه أخ له يسمىٰ مصعب فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله فأخذها عبد لهم يُقال له صواب وكان من أشد الناس فضربه عليّ على يده اليمنى فقطعها فأخذها بيده اليسرى فضربها عليّ فقطعها فأخذها على صدره وجمع بين يديه وهما مقطوعتان فضربه علي على رأسه فسقط صريعاً وانهزم القوم .

وفي رواية الواقدي : أول من دعىٰ للبراز طلحة فبرز إليه علي بن أبي طالب فقال له : يا قضم قد علمت لا يجسر عليّ أحد غيرك ، ثم شدّ عليه فاتقاه علي بالجحفة ثم ضربه على فخذيه فقطعهما جميعاً وسقطت الراية فذهب علي ليجهز عليه فناشده الرحم فانصرف عنه ، ولما قتل طلحة سر رسول الله وكبَّر تكبيراً عالياً وكبَّر المسلمون ، ثم أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها عزيز بن عثمان فقتله عغلي وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها عبد الله بن جميلة بن زهير فقتله علي وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها مولاهم صواب فضربه علي على يمينه فقطعها وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقطعها وسقطت الراية إلى الأرض فاحتضنها بيديه المقطوعتين وصاح يا بني عبد الدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم فضربه علي على رأسه فقتله وسقطت الراية إلى الأرض ، واقتتل الناس حتى حميت الحرب وصار أمير المؤمنين يضرب يميناً وشمالاً حتى انهزم المشركون وولوا الدبر ، قال : وأكب المسلمون على الغنائم فلما رأى أصحاب الشعب الناس يغتنمون

قالوا : يذهب هؤلاء بالغنائم ونبقى نحن ، فقالوا لعبد الله بن عمر بن حازم الذي كان رئيساً عليهم : نريد أن نغنم كما غنم الناس ؟ فقال : إن رسول الله أمرني أن لا أبرح من موضعي هذا ، فقالوا : أمرك بهذا وهو لا يدري أن الأمر يبلغ إلى ما ترىٰ ؟ ومالوا إلى الغنائم وتركوه فلم يبرح هو من موضعه وحمل عليه خالد بن الوليد فقتله وجاء خالد من ظهر رسول الله يريده فنظر إلى النبي في حف من أصحابه ، فقال : لمن معه دونكم هذا لذي تطلبون فشأنكم به ، فحملوا عليه حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ورضخاً بالحجارة ورمياً بالنبال وجعل أصحاب النبي يقاتلون عنه حتى قُتل منهم سبعون رجلاً فنظر ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يضرب بالسيف وقد كان ﷺ أُغمي عليه مما ناله ، فقال : يا علي ما فعل الناس ؟ قال : نقضوا العهد وولوا الدبر ، قال : فاكفني هؤلاء الذين قصدوا قصدي فحمل عليهم أمير المؤمنين فكشفهم ، ثم عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية أُخرىٰ فكرَّ عليهم أبو الحسن فكشفهم ، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه بيد كل واحد منهم سيفه ليذب عنه ورجع إليه من أصحابه المنهزمين أربعة عشر نفراً منهم طلحة بن عبيد الله وعاصم بن ثابت وصعد الباقون الجبل فصاح صائح بالمدينة قتل رسول الله ﷺ فانخلعت القلوب لذلك وتحير المنهزمون وأخذوا يميناً وشمالاً .

قال زيد بن وهب : قلت لابن مسعود انهزم الناس عن رسول الله حتى لم يبق إلاّ عليّ عليه السلام وأبو دجانة وسهل بن حنيف فأين كان أبو بكر وعمر ، قال : كانا ممن تنحىٰ ، قلت : فأين كان عثمان ؟ قال : جاء بعد ثلاثة من الوقعة ، فقال له رسول الله ﷺ : لقد ذهبت فيها عريضة ، قال فقلت له : أين كنت ؟ قال : كنت ممن أتىٰ ، قال فقلت له : إن ثبوت علي عليه السلام في ذلك المقام لعجب؟ قال: ان تعجبت من ذلك فقد تعجبت منه الملائكة، فقال: أما علمت أن جبرائيل عليه السلام قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىٰ إلاّ

علي ، فقلت ومن أين علم ذلك من جبرائيل ؟ قال : سمع الناس صاحاً يصيح في السماء بذلك فسألوا النبي عنه؟ فقال : ذلك جبرائيل .

وفي هذه الغزوة قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ فحزن عليه رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وكانت هند بنت عتبة أعطيت وحشياً وهو عبد لجبير بن مطعم أن تعطيه ما يرضيه إن قتله أو قتل النبي أو علياً ، فلما أتته هند وشقت بطنه وأخذت كبده وجعلتها في فمها ولاكتها فحولها الله وصارت كالحجر فلفظتها ورمت بها إلى الأرض ، ثم مثلت بحزة شر تمثيل ، ولما وقف عليه رسول الله بكىٰ وقال : والله ما وقفت موقفاً هو أغيظ عليّ من هذا لأن مكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم فنزلت عليه هذه الآية : ﴿فإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولأن صبرتم فهو خير للصابرين﴾ فقال ﷺ : بل أصبر وفي هذه الغزوة غنم أصحاب رسول الله ﷺ غنائم كثيرة من المشركين بعدما فتح الله عليهم .

غـزوة الخندق

كانت في سنة خمس من الهجـرة ، جمع قـريش العرب وحـرضوا الناس على حرب رسـول الله وكان ﷺ أجـلا بني النضير وهم بـطن من اليهـود من المدينـة وساروا إلى خيبـر فخرج رئيسهم حي بن أخـطب إلى قـريش بمكة وعـاهـدهم على حـرب النبي وقـال لهم : إنـه قـد بقي من قومه سبعمـائة نفـر في المدينـة وهم بنو قـريظة وبينهم وبين محمـد عهد وميثـاق وأنه يحملهم على نقض العهـد ليكـونـوا معهم ، فسـار معـه أبـو سفيـان وغيره من رؤساء قـريش في قبـائـل العـرب حتى اجتمـع على قتـال النبي قـدر عشرة آلاف مقـاتل من قـريش كنانـة والأقـرع بـن حـابس في قـومـه ، وعبـاس بن مـرداس في بني سليم ، فبلغ ذلـك رسـول الله فـاستشار أصحـابه وكـانوا سبعمـائة رجـل فأجمـع رأيهم على المقام في المـدينـة وحـرب القـوم إذا جـاؤوا إليهم فقبـل منهم النبي ذلـك ، فقـال سلمـان : يا رسـول الله إن القليل لا يقـاوم الكثير ، قـال: ماذا نصنـع ؟ قال : نحفر خندقاً يكـون بينك وبينهم حجـاباً فيمكنـك منعهم المطاولـة ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه فإنـا كنا معـاشر العجم في بـلاد فارس إذا دهمتنـا دهماء من عـدونا نحفـر الخنادق فيكـون الحرب من مـواضـع معروفة فنزل جبرائيل على رسول الله فقال : أشار سلمان بالصـواب فأمـر

ﷺ بمسحه من ناحية أحد إلى رانج وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والأنصار يحفرونه فأمر وحملت المساحي والمعاول وبدأ رسول الله بنفسه وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين وأمير المؤمنين ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله وعي وقال : لأعيش إلاّ عيش الآخرة ، اللّهمَّ إغفر للأنصار والمهاجرين .

فلمّا نظر الناس إلى رسول الله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقل التراب فلما كمل الخندق أقبلت قريش ومعهم اليهود ، فلما نزلوا العقيق جاء حي بن أخطب إلى بني قريضة في جوف الليل وكان موضعهم من المدينة على قدر ميلين وهو الموضع الذي يسمىٰ ببئر بني المطلب ، وكان لهم حصن قد أغلقوه وتمسكوا بعهد رسول الله فدق باب الحصن فسمع كعب بن أسيد فقال له : من أنت ؟ قال : حي بن أخطب قد جئتك بعز الدهر ، فقال كعب : بل جئتني بذل الدهر، فقال : يا كعب هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم من كنانة وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت الرعاية وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان ولا يفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبداً فافتح الباب وانقض العهد بينك وبين محمد فطال بينهما الجدال حتى أمر كعب بفتح باب الحصن فدخل حي بن أخطب ، فقال : ويلك يا كعب انقض العهد الذي بينك وبين محمد ولا ترد رأي فإن محمداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً فإن فاتك هذا الوقت لم تدرك مثله أبداً ، واجتمع كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود فقال لهم كعب : ما ترون ؟ قالوا : أنت سيدنا والمطاع فينا وصاحب عهدنا وعقدنا فإن نقضت نقضنا معك ، وإن أقمت أقمنا معك وإن خرجت خرجنا معك .

وقال زهير بن ناطا : وكان شيخاً كبيراً مجرباً قد ذهب بصره قرأت في التوراة التي أنزلها الله يبعث نبي في آخر الزمان يكون

مخرجه بمكة ومهجره إلى المدينة يركب الحمار العري ويلبس الشملة ويجتزيء بالكسيرات والتميرات وهو الضحوك القتال في عينيه حمرة وبين كتفيه النبوة يضع سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لاقىٰ يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر فإن كان هذا هو فلا يهولنه هؤلاء وجمعهم ولو نرىٰ على هذه الجبال الرواسي لغلبها ، فقال : حي ليس هذا ذاك . ذلك النبي من بني إسرائيل وهذا من العرب من وُلد إسماعيل ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً لأن الله قد فضلهم على الناس جميعاً وجعل منهم النبوة والملك ، وقد عهد إلينا موسىٰ أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وليس مع محمد آية وإنما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك فلم يزل حي يقلبهم عن رأيهم حتى أجابوه وأخرجوا له كتاب العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فمزقه وقال : تجهزوا للقتال ، ورجع إلى قريش وأخبرهم بنقض بني قريظة العهد ففرحوا بذلك وجاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله وكان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام ولم تدر قريش بإسلامه فاستأذنه أن يخذل بني قريش واليهود فأذن له فجاء إلى أبي سفيان وقال : بلغني أن محمداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم ووعدهم أن يرد عليهم جناحهم الذي قطعه بنو النظير وقينقاع فلا يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم رهناً من الرجال لتأمنوا مكرهم وغدرهم ، فقبل منه أبو سفيان ذلك وأخبر قريشاً فصمموا على أخذ الرهن من اليهود ، وجاء نعيم إلى بني قريضة فقال لكعب : تعلم مودتي لكم وقد بلغني أن أبا سفيان قال نخرج هؤلاء اليهود ونضعهم في نحر محمد فإن ظفروا كان الذكر لنا دونهم وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب فخذوا منهم رهناً عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم إن لم يظفروا بمحمد يردوا عليكم بين محمد وبينكم لئلا يغزوكم محمد ويقتلكم إن ولت قريش فقالوا : أحسنت وأبلغت في النصيحة لا يخرج حتى نأخذ منهم رهناً ولم يخرجوا .

وأقبلت الأحزابُ فهال المسلمين أمرهم وكان أكبر همّ دخل المسلمين أن عمرو بن عبد ودّ العامري الذي كانت العرب تضرب بشجاعته المثل كان مع المشركين وكان عدد المشركين ثمانية عشر ألفاً والمسلمون ثلاثة آلاف والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير لمكان عمرو ، وكان النبي يدعو الله على الأحزاب بالهزيمة ويشجع المسلمين وأقبل عمرو بنْ عبد ود مع جمع من الفوارس منهم عكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب ومرداس الفهري ونوفل بن عبد الله ، ولما رأوا الخندق قالوا : مكيدة ما كانت العرب تكيدها ، ثم ضربوا خيولهم فاقتحمت بهم الخندق وجاءت بهم فيما بين الخندق وسلع والمسلمون وقوف لا يقدم أحد منهم عليهم وجعل عمرو بن عبد ود يدعو إلى البراز ويعرض المسلمون فركز رمحه في الأرض وأقبل يجول جولة ويرتجز ويقول :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرم المناجز
إني كذلك لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتىٰ والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله ﷺ من لهذا الكلب فلم يجبه أحد من المسلمين .

قال الكراجكي رحمه الله : قال النبي ثلاث مرّات أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة وفي كل مرّة كان يقوم علي عليه السلام والقوم ناكسوا رؤوسهم .

قال : علي بن إبراهيم فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال : يا علي هذا عمرو بن ود فارس بليل ، قال عليه السلام : وأنا علي بن أبي طالب ، فقال له رسول الله : إدن مني فدنا منه فعممه بيده ودفع إليه ذا الفقار وقال اذهب وقاتل بهذا ، وقال :

اللَّهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فمر أمير المؤمنين يهرول وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذونية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى صيتها بعد الهزائز

قال عمرو : ومن أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وختنه ، فقال : والله إن أباك كان لي صديقاً وإني أكره أن أقتلك ما آمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك بين السماء والأرض لا حي ولا ميت ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنت وأنت في النار وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة ، فقال عمرو : كلتاهما لك يا علي تلك إذن قسمة ضيزى ، فقال له : دع عنك هذا يا عمرو أني سمعتك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول لا يعرض عليّ أحد بثلاثة خصال إلاّ أجبته إلى واحدة منها وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلي واحدة ! فقال : هات يا علي ، فقال : الأولى أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ، قال : نح عني هذا ،قال فالثانية : أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله فإن يك صادقاً فأنتم أعلا به عيناً وأن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره ، فقال : إذن تتحدث نساء العرب بذلك وتنشد الشعراء بأشعارها إني جبنت عن الحرب ورجعت على عقبي وخذلت قوماً رأسوني عليهم ، فقال له أمير المؤمنين : فالثالثة أن تنزل إليّ فإنك راكب وأنا راجل حتى أنابذك ، فوثب عن فرسه وعرقبه وقال : هذه خصلة ما ظننت أحداً من العرب يسومني عليها ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين بالسيف على رأسه فاتقاه أمير المؤمنين بالدرقة فقطعها وثبت السيف على رأسه ، فقال له أمير المؤمنين : يا عمرو أما كفاك إني بارزتك وأنت فارس العرب حتى

استعنت علي ظهير فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين مسرعاً على ساقيه فقطعهما جميعاً وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون : قتل علي بن أبي طالب ، ثم انكشفت العجاجة وإذا أمير المؤمنين على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يحز برأسه ، فلما ذبحه أخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو وسيفه يقطر منه الدم وهو يقول والرأس بيده :

أنا علي وابن عبد المطلب الموت خير للفتىٰ من الهرب

فقال رسول الله : يا علي ما كرته ؟ فقال : نعم يا رسول الله الحرب خديعة .

قال : جماعة ، منهم الكراجكي فلما برز أمير المؤمنين إلى عمرو قال رسول الله : برز الإيمان كله إلى الشرك كله ، فما كان أسرع إلى أن صرعه علي وجلس علي صدره فقال له لما هم أن يذبحه : يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً فإذا قتلتني فلا تسلبني حلتي ، فقال : هي أهون علي من ذلك ، وذبحه وأتى برأسه إلى النبي فاستقبله صلوات الله عليه وآله وسلّم وجعل يمسح الغبار عن عينيه وقال له : يا علي لو وزن اليوم عملك بعمل جميع أمة محمد وذلك أنه لم يبق بيت من المشركين إلاّ وقد دخله ذل بقتل عمرو ولم يبق بيت من المسلمين إلاّ وقد دخله عز بقتل عمرو ، أما أصحاب عمرو الذين كانوا معه لما رأوا ما حل بصاحبهم انهزموا حتى اقتحمت خيولهم الخندق وتبادر أصحاب النبي ﷺ ينظرون إليهم فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه فرموه بالحجارة فصاح قتله أجمل من هذه فنزل إليه أمير المؤمنين فقتله ولحق هبيرة وضرب قربوس سرجه وسقطت درع كانت له ونجىٰ البقية فلما رآهم قومهم وهت عزائمهم ولم يجدوا بداً من الهزيمة والفرار كما قال الله تعالىٰ : ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم وكفىٰ الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً

عزيزاً﴾ .

ولما نعي عمرو إلى أخته شقت جيبها وجاءت إلى مصرعه وجلست عند رأسه فلما نظرت إليه غير مسلوب قالت : من قتله ؟ فقيل علي بن أبي طالب ﷺ فانشدت :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	لكنت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به	وكان يدعي أبوه بيضة البلد

ووقع الوهن في المشركين وكفىٰ الله المؤمنين القتال بعلي .

غـزوة خيبر

كانت في ذي الحجة سنة ست من الهجرة بعد الحديبية وقيل في جمادي الأولى سنة سبع حاصر رسول الله ﷺ خيبراً بضعاً وعشرين ليلة وكانت الراية يومئذ لأمير المؤمنين عليه السلام فلحقه رمد فمنعه عن الحرب وكان المسلمون يتناوشون اليهود من بين أيدي حصونهم وجنباتها ، فلما كان ذات يوم فتحوا الباب وقد كانوا خندقوا على أنفسهم خندقاً وخرج مرحب بنفسه يتعرض للحرب فدعى رسول الله أبا بكر وقال : خذ الراية فأخذها في جمع من المهاجرين والأنصار فاجتهد فلن يغن شيئاً وعاد يؤنب القوم الذين اتبعوه ويؤنبونه فلما كان من الغد تعرض لها عمر فسار بها غير بعيد فعاد يجبن أصحابه ويجبونه فقال : ليست الراية لمن حملها جيئوني بعلي بن أبي طالب فقيل له إنه أرمد فقال : أرونيه تروني رجلاً : يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها بحقها كرار وليس فرار .

وروي ابن شهرآشوب : عن جماعة من أهل العلم يزيدون على سبعين نفراً أنه لما خرج مرحب برجله وبعث النبي أبا بكر وعمر وكان ما كان من أمرهما بحسب ما تقدم قال النبي : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يأخذها عنوة .

وفي صحيح البخاري ومسلم بات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الصبح غدوا على رسول الله كلهم يرجوا أن يعطاها فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يشتكي عينيه ، قال : فارسلوا إليه فأتي به فتفل في يده ومسحها على عينيه ودعا له فبرىء فأعطاه الراية ، قال : وكانت راية بيضاء ، وقال له : خذ الراية وامضِ بها فإن جبرائيل معك والنصر أمامك والرعب مثبوت في صدور القوم واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدمر عليهم اسمه إيليا فإذا لقيتهم فقل أنا علي فإنهم يخذلون إن شاء الله تعالىٰ ، قال أمير المؤمنين : فمضيت بها حتى أتيت الحصون فصحت أنا علي بن أبي طالب فخرج مرحب وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على ام رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب ... إذ الليوث أقبلت تلتهب

فقلت :

أنا الذي سمتني أُمي حيدرة ... ضرغام آجام وليث قسوره
على الأعادي مثل ريح صرصره ... أكيلكم بالسيف كيل السندره
أضرب بالسيف رقاب الكفرة

روي أنه لما سمعها مرحب هرب لأنه كانت له ظئر وكانت كاهنة تعجب بشأنه وعظم خلقه وتقول له : قاتل كل من قاتلك وغالبك إلاّ من تسمىٰ عليك بحيدرة فإنك إن وقعت له هلكت ، قال : فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود ، فقال : إلى أين يا مرحب ؟ فقال : قد تسمى علي هذا القرن بحيدرة ، فقال له إبليس : فما حيدرة إلاّ هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله ، تأخذ بقول النساء وهن يخطئن بأكثر مما يصبن وحيدرة في الدنيا كثير فإن قتلته سدت قومك وأنا في ظهرك استصرخ اليهود فرد مرحب قال: أمير المؤمنين ؏

فاختلفنا ضربتين فبدرته فضربته فقددت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه فخر صريعاً .

وروي : أحمد بن حنبل أنه سمع أهل العسكر صوت ضربته ، ولما قتل أمير المؤمنين ﵇ مرحباً رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم فصار أمير المؤمنين ﵇ فعالجه حتى فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه فأخذ أمير المؤمنين باب الحصن وجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم ، فلما انصرفوا أخذ أمير المؤمنين الباب بيمناه فدحى به أذرعاً من الأرض وكان هذا الباب يغلقه عشرون رجلاً منهم ، هذه رواية أحمد والصحيح سبعون كما في الخبر قيل أن الباب كان يغلقه أربع وأربعون رجلاً قال ابن أبي الحديد :

يا قالع الباب التي عن فتحها عجزت أكف أربعون وأربع

قال الواقدي : فوالله ما بلغ عسكر النبي ﷺ أخيراه حتى دخل علي حصون اليهود كلها وهي : قموص حصن ابن الحقيق وناعم وسلالم ووطيخ وحصن المصعب ابن معاذ وغنم ، وكانت الغنيمة نصفها لعلي ونصفها لسائر الصحابة وكانت صفية بنت حي بن أخطب من الغنائم فاصطفاها : النبي لنفسه وصالح ابن أبي الحقيق النبي على حقن دماء من في الحصون ويخرجون من خيبر بأهلهم ويتركون جميع مالهم للمسلمين فصالحه على ذلك ولما سمع بهم أهل فدك بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن دمائهم ويخلون بينه وبين الأموال فصالحهم أيضاً فكانت أموالهم للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ، واستأذن حسّان بن ثابت رسول الله ﷺ أن يقول شعراً فقال قل فانشأ يقول :

وكان علي أرمد العين لم يجد دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول اللّه منه بتفلة فبورك مرقياً وبورك راقياً

وقال سأعطي الراية اليوم صارماً كمياً محباً للرسول موالياً
يحب إلهي والإله يحبه به يفتح اللّه الحصون الأوابيا
فاصفىٰ بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المؤاخيا

وروي : بالإسناد عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدلي قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول لما عالجت باب خيبر جعلته مجنا في خندقهم فقاتلتهم به ، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً ثم رميت به في خندقهم ، فقال له رجل لقد حملت ثقلا ، فقال عليه السلام : ما كان إلا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام .

ويروى أن المسلمين لما انصرفوا من خيبر راموا حمل الباب ، فلم يقله منهم سبعون رجلاً وفي ذلك يقول الشاعر :

أن إمرءاً حمل الرتاج بخيبر يوم اليهود بقدرة لمؤيد
حمل الرتاج رتاج باب قموصها والمسلمون وأهل خيبر حشد
فرمىٰ به ولقد تكلف رده سبعون شخصاً كلهم متشدد
ردوه بعد تكلف ومشقة ومقال بعضهم لبعض أرددوا

غزوة فتح مكة

وكانت في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ، وذلك أن النبي صالح قريشاً عام الحديبية دخلت خزاعة في حلفه وعهده ﷺ ودخلت كنانة في حلف قريش ، فلما مضت سنتان من القضية قعد رجل من كنانة يروي هجاء رسول الله فقال له رجل من خزاعة : لا تذكر هذا ؟ قال : ومأأنت وذاك إن أعدت لأكسرن فاك فأعادها فرفع الخزاعي يده فضرب بها فاه فاستنصر الكناني قومه الخزاعي وكانت كنانة أكثر فضربوهم حتى أدخلوهم الحرم وقتلوا منهم وأعانهم قريش بالكراع والسلاح ، فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله ﷺ فخبره الخبر بهذه الأبيات من الرجز :

لا هم أني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه ألا يلدا
ان قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله : حسبك يا عمرو ، ثم قال ودخل دار ميمونة وقال : اسكبوا لي ماء فجعل يغتسل ويقول لانصرت إن لم أنصر بني كعب ، ثم أجمع ﷺ على المسير إلى مكة وقال : اللّهمّ خذ العيون

عن قريش حتى نأتيها في بلادها وكتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش أن رسول الله خارج إليكم يوم كذا وكذا ، فخرجت وتركت الطريق ، ثم أخذت ذات اليسار في الحرة فنزل جبرائيل فأخبر النبي فدعا علياً والزبير وقال لهما : أدركاها وخذا منها الكتاب ، فخرج علي والزبير لا يلقيان أحداً إلاّ سألاه وكان النبي وضع حرساً على المدينة فسألا الحرس فقالوا : ما مر بنا أحد ، ثم استقبلا حطاباً فسألاه ، فقال : رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة فأدركاها وأخذ علي منها الكتاب وردها إلى رسول الله فدعا حاطباً فقال له : أنظر ما صنعت ؟ قال : أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما شككت ولكني رجل ليس لي بمكة عشيرة ، ولي بها أهل فأردت أن أتخذ عندهم يداً ليحفظوني فيهم فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنقه فوالله لقد نافق ، فقال ﷺ : إنه من أهل بدر ولعل الله تعالىٰ اطلع عليهم فغفر لهم أخرجوه من المسجد فجعل الناس يدفعون في ظهره وهو يلتفت إلى النبي ليرق عليه فأمر برده وقال قد عفوت عنك فلا تعد لمثل ما قد جنيت .

ولما بلغ الخبر أبا سفيان بما صنعت قريش بخزاعة وإنه صمم على القتال أقبل حتى دخل على النبي فقال : يا محمد أحقن دم قومك وأجر بين قريش وزدنا في المدة ، فقال : اغدرتم يا أبا سفيان ؟ قال : لا ، قال : فنحن على ما كنا عليه فخرج فكان كل من لقيه من أصحاب النبي يسأله أن يجير بين قريش ويزيد في المدة فيرده حتى دخل بيت أمير المؤمنين وسأله ذلك فرده أيضاً ، فالتفت إلى فاطمة عليها السلام فقال : يا بنت سيّد العرب تجيرين بين قريش فتكونين أكرم سيّدة في الناس ، قالت : جواري في جوار رسول الله ، قال : فتأمرين إبنيك أن يجيرا بين الناس ،قالت: والله ما يدري إبناي ما يجيران من قريش ، فقال : يا أبا الحسن أنت أمس القوم بي رحماً وقد التبست عليّ الأمور فاجعل لي منها وجهاً ، قال : أنت شيخ قريش تقوم على

باب المسجد فتجير ، ثم تقعد على راحتك وتلحق بقومك ، قال : فهل ترىٰ ذاك نافعي ؟ قال : لا أدري ، فقال : أيها الناس إني قد أجرت بين قريش ، ثم ركب بعيره وانطلق فقدم على قريش وقص عليهم ما جرىٰ عليه فقالوا : هل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويحك لعب بك الرجل .

وخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد صلاة العصر لليلتين مضتا من شهر رمضان واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ودعا رئيس كل قوم فأمره أن يأتي قومه فيستنفرهم وكان ﷺ صائماً والمسلمون صائمون حتى نزل كراع الغميم أمر بالإفطار فأفطروا الناس وصام قوم فسموا العصاة لأنهم صاموا ، ثم سار ﷺ من الظهران ومعه نحو من عشرة آلاف رجل ونحو من أربعمائة فارس وقد عميت الأخبار على قريش فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء لعلهم يسمعون خبراً وكان العباس بن عبد المطلب إلتجأ إليه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أُميَّة ليدخلهما على رسول الله فدخل العباس وقال بأبي أنت وأمي هذا إبن عمك قد جاء تائباً وإبن عمتك فقال ﷺ : لا حاجة لي فيهما إن إبن عمي إنتهك عرضي ، وأما إبن عمتي هو الذي يقول بمكة لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً فنادى أبو سفيان كن لنا كما قال العبد الصالح : لا تثريب عليكم فدعاهما وقبل منهما وقال العباس : هو والله هلاك قريش إلى آخر الدهر . فأدخلهما رسول الله ﷺ عنوة فركب النبي ﷺ بغلته البيضاء ليطلب الخطابة أو صاحب لين يأمره يأتي قريشاً فيركبون إليه ويستأمنون إليه إذ سمع أبا سفيان يقول لبديل وحكيم : ما هذه النيران ؟ قال : هذه خزاعة ، قال : خزاعة أقل من هذه فلعلها تميم أو ربيعة فعرف العباس صوت أبي سفيان وناداه وعرَّفه الحال ، قال : فما الحيلة ؟ قال : تركب في عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله ﷺ ففعل فكان يجتاز على نار بعد نار فانتهىٰ إلى

علي فسبقهما إلى النبي ﷺ وقال: هذا أبو سفيان قد امكنك الله منه فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس : يا رسول الله أبو سفيان قد أجرته ، قال : أدخله فدخل ، فقال : ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله وتلجلج لسانه وعلي يقصده بسيفه والنبي محدق بعلي فقال العباس : يضرب والله عنقك الساعة أو تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله ، فأسلم اضطراراً فقال له النبي ﷺ : عند من تكون الليلة قال عند أبي الفضل فسلّمه إليه ، فلما أصبح سمع بلالاً يؤذن فقال : ما هذا المنادي ورأى النبي ﷺ يتوضأ وأيدي المسلمين تحت شعره يستشفون بالقطرات، فقال : تالله أن رأيت كاليوم كسرىٰ وقيصر ، فلما صلّى النبي ﷺ قال : يا رسول الله إني أحب أن تأذن لي أن أذهب إلى قومي فأنذرهم وأدعوهم إلى الحق فأذن له ، فقال العباس : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فلو خصصته بمعروف فقال ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم قال ﷺ للعباس : أدركه وأجلسه في مضايق الوادي حتى تمر به جنود الله فرأى خالد بن الوليد في المقدمة والزبير في جهينة واشجع وأبا عبيدة في أسلم ومزينة والنبي ﷺ في الأنصار وسعد بن عبادة في يده راية النبي ﷺ فقال سعد يا أبا حنظلة وهز الراية في وجهه :

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبىٰ الحرمة

فأتى العباس إلى النبي ﷺ وأخبره بمقالة سعد وقيل أتاه أبو سفيان وقال فداك أبي وأمي أتسمع ما يقول سعد يقول :

(اليوم يوم الملحمة اليوم تسبىٰ الحرمة)

فقال لا بل اليوم يوم المرحمة ثم قال : يا علي أدرك سعداً وخذ الراية منه وأدخلها إدخالاً رفيقاً فقال سعد : لولاك لما أخذت مني .

وقال أبو سفيان : يا أبا الفضل إن ابن أخيك قد كنف ملكاً عظيماً ، فقال العباس : ويحك هذه نبوة وأقبل أبو سفيان من أسفل

الـوادي يركض فـاستقبلته قريش وقـالوا مـا وراك وما هـذا الغبار ؟ قـال : محمـد في خلق ، ثم صاح يـا آل غالب البيـوت البيوت من دخـل داري فهـو آمن فعـرفت هند فـأخـذت تطردهم ، ثم قـالت : اقتلوا الشيـخ الخبيث من وافـد قوم وطليعـة قوم. قـال : ويلك إني رأيت ذات القرون ورأيت فـارس أبناء الكـرام ورأيت ملوك كندة وقينـان حمير يسلمـون آخر النهـار ويلك اسكتي فقد والله جـاء الحق وذهبت البليـة وكـان قـد عهـد النبي ﷺ أن لا يقتلوا منهم إلاّ من قـاتلهم سـوى عشـرة الحـويـرث بن نفيـل بن كعب ، ومقيس بن ضبـابـة ، وقـرينـة المغنيـة قتلهم أميـر المؤمنين ، وعبـد الله بن حنظل قتله عمّـار أو بـريـدة أو سعيـد بن حبيب المخـزومي وصفوان بن أمية هرب إلى جـدة فاستـأمنه عبـد الله بن وهب وأنفذ إليه عمـامة النبي وأسلم ، وعكـرمة بن أبي جهـل هرب إلى اليمن وأسلم ، وعبـد الله بن أبي سرح عـرف أمير المؤمنين أنـه في دار عثمـان فـأتى عثمان إلى النبي هـل شافعـاً فيشفـع ، فلما انصرف قـال النبي في قتله فقـال سعد بن عبـادة : لو رمـزت ؟ فقال ﷺ : لارمـز من النبي ، وسارت مولاة بني عبد المطلب وجدت قبيلاً وهنـد دخلت دار أبي سفيان فتكلم أبـو سفيان في بيعـة النساء وعـاونته أم الفضـل وقرأت : يـا أيهـا النبي إذا جاءك المؤمنات فاقبل منهن البيعـة وقريبـاً انفلتت ، ورأى النبي أوبـاش قريش فـأمر بحصـدهم فقتل منهم من قتـل وانهزم البـاقون وقتـل من المسلمين ثلاثة نفر دخلوا من أسفل مكة واخطأوا الطريق فقتلوا .

وفي المنـاقب : يوم الفتـح برز أسـد بن غويلم قـاتل العـرب فقال النبي من خـرج إلى هـذا المشـرك فقتله فله على الله الجـة والإمـامـة بعدي فبرز علي ؏ وقال :

ضربته بالسيف وسط الهامة   بضـربـة صـارمـة هـدامـة
فبلغت من جسمـه حطامـه   وبينت من رأسـه عـظامـه

وسأل النبي عن المفتاح قـالوا عنـد أم شيبة فـدعـا شيبـة فقـال : إذهب إلى أمـك وقل لهـا ترسـل بالمفتـاح ، قالت لـه : قتلت مقـاتلينـا

وتريد أن تأخذ مكرمتنا ، فقال ﷺ لترسلن به أولأقتلنك فوضعته في يد الغلام فأخذه ، ثم قام ففتحه وستره فمن يومئذ يستر ، ثم دعا الغلام فبسط رداه وجعل فيه المفاتيح وقال ردها إلى أمك وأخذ بعضادتي الباب وقال لا إله إلاّ الله أنجز وعده ونصر عبده واعز جنده وغلب الأحزاب وحده وكان صناديد قريش يظنون أن السيف لا يرفع عنهم فقال ﷺ : ألا أن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي إلاّ سد الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما ألا أن مكة محرمة بتحريم الله لم يحل لأحد كان قبلي ولا لي إلاّ ساعة من نهار إلى أن تقوم الساعة لا يختلي خلالها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا يحل لفظها إلاّ منشد ، ثم قال : ألا بئس ما كنتم لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وظلمتم ، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني فاذهبوا فأنتم الطلقاء ، فدخلوا في الإسلام وأذن بلال على الكعبة فكره عكرمة فقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أكرم أبا عتاب هذا اليوم ، وقال الحرث بن هشام : أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً ؟ وقال آخر وقال آخر ! فقال أبو سفيان : إني لا أقول شيئاً فوالله لو نطقت لظننت أن هذه الجدار تخبر به محمداً فبعث ﷺ وأخبرهم بما قالوا فاستغفروا الله وتابوا .

قال جابر بن عبد الله الأنصاري دخلنا مع النبي مكة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله فألقيت كلها لوجوهها وكان على البيت صنم طويل يُقال له هُبل فنظر النبي إلى عليٍّ وقال له : يا علي تركب علي أو أركب عليك لألقي هُبل عن ظهر الكعبة ، قال علي : قلت يا رسول الله تركبني ، فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة ، قلت : يا رسول الله بل أركبك فضحك ﷺ ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمسك السماء لمسكتها فألقيت هُبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تبارك وتعالىٰ : ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل﴾ .

غـزوة حنين

وكـانت في شوال سنـة ثمان ، وذلـك أن رسول الله لمـا فتح مكـة أمـر عتاب بن أسيـد عليها ففـات الحج من فسـاد هوازن في وادي حُنين فخـرج في ألفين من مكـة وعشـرة آلاف كـانـوا معه وكـان استعـار من صفـوان بن أميَّة مـائة درع وهـو رئيس جشم فعانهم أبـو بكـر لعجبه بهم فقــال : لن نغلب اليـوم عِن قلّة فنـزلت : ﴿ويـوم حُنين إذ أعجبتكم﴾ الآية ، وأقبل مالك بن عـوف النظري فيمن معـه من قبائـل قريش وثقيف وسمـع عبد الله بن جـدر دعين رسول الله ابن عـوف يقـول : يـا معـاشـر هوازن إنكم أحد العـرب وأعده وأن هـذا الرجـل لم يلقِ قومـاً يصدقـونه القتـال فإذا لقيتمـوه فاكسـروا جفون سيـوفكم وحملوا عليـه حملة رجـل واحد .

قال الصادق كان مع هوازن دريد بن صمـة خرجـوا به شيخـاً كبيراً يتيمنـون به قـال : نعم ، مجال الخيـل لاحـزن ضـرس ولا سهـل دهش مـالي روغاء البعيـر ونهاق الحميـر وبكـاء الصغيـر وقفـاء الشـاة وخـوار البقر ، فقال لابن مالك في ذلـك فقال : إني أردت أن أجعـل خلف كل رجل أهله وماله فيقاتل عنهم ،قال: ويحك لم تصنع شيئـاً قدمت بيضـة هوازن في نحر الخيل وهل يرد وجه المنهـزم شيء أنها إن كـانت لك لم

ينفعك إلاَّ رجل بسيفه ورمحهُ إن كان عليك فضحت في أهلك ومالك ، ثم قالت حرب بن عوان : يا ليتني فيها جدع أخب فيها واضع قال : إنك كبرت وذهب علمك .

قال جابر كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضايقه فما راعنا الاكتائب الرجال فانهزم بنو سليم وكانوا في المقدمة وانهزم من كان وراءهم وبقي مع النبي علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل إبنه وأبو سفيان بن ا لحارث بن عبد المطلب ونوفل وربيعة أخواه وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعتبة ومعتب أبناء أبي لهب وأيمن مولىٰ النبي وكان العباس عن يمينه والفضل عن يساره والباقي حوله وعلي يضرب بالسيف بين يديه وفي ذلك يقول العباس بن عبد المطلب :

نصرنا رسول اللّه في الحرب تسعة | وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وقولي إذا ما لفضل شد بسيفه | على القوم اخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لا في الحمام بنفسه | لما ناله في اللّه ما يتوجع

يعني بعاشرهم أيمن ابن أُم أيمن لأنه كان ثبت معهم واستشهد حينئذ وكان أبو سفيان صخر بن حرب في جملة المنهزمين من المسلمين ، ويروى عن ولده معاوية أنه قال : لقيت أبي منهزماً مع بني أُميّة من أهل مكة فصحت به يابن حرب والله ما صبرت مع إبن عمك ولا قاتلت عن دينك ولا كففت هؤلاء الأعراب من حريمك فقال من أنت قلت معاوية قال : ابن هند ؟ قلت : نعم ، قال : بأبي وأُمي ، ثم وقف فاجتمع معه الناس من أهل مكة وانضممت إليهم ، ثم حملنا على القوم فضعضعناهم .

قال أبو عبد الله : قتل علي بن أبي طالب بيده يوم حُنين أربعين .

وعن سعيد بن المسيب عن أحد مشركي حُنين قال : لما التقينا

مـع المسلمين لم يقفوا لنـا حلب شاة ، فلمـا كشفنـاهم جعلنـا نسـوقهم حتى انتهينـا إلى صاحب البغلة الشهبـاء ، يعني رسول الله فتلقـانا رجـال بيض الوجوه فقـالوا لنـا : شاهت الـوجوه ارجعـوا فرجعنـا وركبوا أكتـافنا فكانوا إياها يعني الملائكة ، ونـادى مالـك بن عوف أروني محمـداً فأروه فحمـل عليه فلقيـه أيمن بن عبيـد وهـو ابن أم أيمن فـالقيـا فقتله مـالـك وأتى إلى النبي ليضـربـه فبـادره أميـر المؤمنين عليه السلام بـالسيف على رأسـه فخـرج يلمع من بين رجليـه وكمن أبو جـرول على المسلمين وكان على جمـل أحمر بيـده راية سـوداء في رأس رمح طـويل أمـام هـوازن إذا دك أحـداً طعنه بـرمحه وإذا فـاته النـاس دفـع لمن ورائه وجعل يقتلهم وهـو يـرتجـز ويقـول : أنـا أبـو جـرول لا بـراح ، فصمـد أميـر المؤمنين عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ، ثم ضربه نصفين وجعل يقول :

قـد علم القـوم لـدى الصبـاح أني لـذي الهيجـاء ذو نصـاح

فـانهزم القـوم من بين يديـه وكـانت هـزيمـة المشـركين بقتـل أب جـرول ، قال : ولمـا فـر أصحـاب رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـال النبي للعبـاس وكان جهورياً : نادي في القوم وذكرهم العهد فنادى العبـاس يا أصحـاب سـورة البقرة يـا أهل بيعـة الشجرة إلى أين تفـرون أذكروا العهـد والقـوم على وجـوههم وذلـك في أول ليلة من شـوال ، قـال فنـظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى النـاس ببعض وجهه في الـظلماء فـأضاء كـأنه القمـر ليلة البدر ، ثم قـام صلى الله عليه وآله وسلم في ركـاب سـرجـه حتى أشـرف عليهم وقـال الآن حمى الوطيس :

أنـا الـنـبـي لا أكـذب أنـا ابـن عبـد الـمـطلب

ومـا زالـوا يقتلون المشـركين حتى ارتفـع النهـار فـأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بـالكف ولم يكن في ذلك اليـوم أحد قـاتل أكثـر من علي بن أبي طالب قـال الصـادق عليه السلام : سبى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يـوم حُنين أربعـة آلاف رأس من الغنم وإثني عشر ألف ناقة سوى ما لا يعلم من الغنائم .

غزوة ذات السلاسل

وكان من خبر هـذه الغزوة أنـه جاء إعـرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن جماعة من العرب اجتمعوا بـوادي الرمـل على أن يبيتوك بـالمدينـة فأمـر بالصَّـلاة جـامعـة فـاجتمعـوا وعـرفهم ، وقـال : من لهم فابتدرت جماعة من أهـل الصفة وغيـرهم وعدتهم ثمـانون وقـالوا : نحن فـول علينا من شئت فـاستـدعىٰ أبـا بكـر وقـال : امضِ فمضىٰ فـاتبعهم القوم وقتلوا جماعة كثيرة من المسلمين وانهـزم أبو بكـر وجاء إلى رسـول الله ، فبعث عمر فهزموه مرّة أُخـرىٰ ، فساء النبي ذلـك فقال عمـرو بن العاص : إبعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعـة ولعلّي أخدعهم فـانفذه مع جماعة ، فلما صاروا إلى الوادي خرجوا إليـه فهزمـوه وقتلوا جماعـة من أصحابه .

ثم دعىٰ بـأميـر المؤمنين ﵇ وبعثـه إليهم وشيعـه إلى المسجـد الأحـزاب وأنفذه مـع جماعـة منهم : أبو بكـر وعمـر وعمـرو بن العـاص فسـار بهم نحو العـراق منكباً عن الـطريق حتى ظنوا أنـه يـريـد بهم غيـر ذلـك الوجـه ، ثم أخذ بهم على طـريق غامضـة واستقبل الـوادي وكـان ﵇ يسير بالليـل ويكمن في النهار ، فلمـا قرب من الـوادي أمر أصحـابه أن يخفوا حسهم فوقفـوا مكانـاً وتقدم أمـامهم ناحيـة فلما رأى عمـرو بن

العاص فعله ساءه ذلك فلقي رجلاً من المهاجرين ، وقال له : إن هذه أرض ذات سباع وذئاب كثيرة الحجارة وهي أشد علينا من بني سليم والمصلحة أن نعلوا الوادي وكلفه أن يقول ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام فقال له ذلك ، فلم يجبه بحرف واحد فرجع إلى عمرو وقال : والله ما أجابني بحرف واحد فقال عمرو بن العاص لرجل آخر : إمضِ إليه فخاطبه ففعل فلم يجبه أمير المؤمنين عليه السلام بشيء ، فقال : أنضيع أنفسنا انطلقوا بنا نعلو الوادي ، فقال المسلمون : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا أن لا نخالف علياً ، فكيف نخالفه ونسمع قولك ، فما زالوا حتى طلع الفجر فكبس القوم وهم غافلون فامكنهم الله منهم فنزل جبرائيل على النبي بسورة والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً السورة . قسماً منه بخيل أمير المؤمنين وعرفه الحال ففرح النبي وبشر أصحابه بالفتح وعرفهم وأمرهم بالاستقبال لأمير المؤمنين فخرجوا والنبي يقدمهم ، فلما رأى أمير المؤمنين النبي ترجل عن فرسه فوقف بين يديه فقال : لولا أنني أشفق أن تقول فيك أمتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ منهم إلاَّ أخذوا التراب من تحت قدمك للبركة فإن الله تعالىٰ ورسوله عنك راضيان .

أقول : هذه أشهر مواقفه عليه السلام أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

حـرب الجمل

فـصـل
في مواقفه بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

لمـا قتل عثمـان وآل الأمـر إلى أميـر المؤمنين عليه السلام وبـايعـه النـاس نهض طلحة والزبير ونكثا بيعته وتوجها إلى عائشة وكانـا سمعا أن عـائشة لمـا سمعت بقتل عثمـان وخلافـة علي عليه السلام قالت : لأطـالبن بدمـه فقيـل لها بالأمس كنت تحرضين الناس واليوم تقولين هـذا ؟ قالت : لم يقتلوه إذ قلت وتركوه حتى تاب وعاد كـالسبيكة من الفضـة وقتلوه وخرج طلحـة والـزبير من المـدينة على خفيـة ووصلاً إلى مكـة وأخرجـاها إلى البصـرة وعنـد خروجهـا التمست عائشـة من أم سلمة الخـروج ، فـأبت وسـألت حفصـة فأجـابت ، ثم خرجت عـائشة في أول نفـر راكبـة الجمـل الـذي كـان يُقال لـه العسكر وسـارت حتى انتهت الحـوئب وهـو مـاء فصـاحت كـلابها ، فقـالت : أي ماء هـذا فقيل الحـوئب ، فقالت : إنـا لله وإنّـا إليـه راجعون سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنـده نسـاءه يقـول ليت شعـري أيتكن تنبحهـا كلاب الحـوئب وفي رواية فصـاحت ردوني ردوني فسـاروا بهـا حتى وصلوا إلى البصـرة فخـرج أميـر المؤمنين من المـدينـة طـالبـاً لهم ، فلما قرب من البصرة كتب إلى طلحة والزبير .

أمـا بعـد : فقـد علمتمـا أني لم أرد النـاس حتى أرادوني ، ولم أبـايعهم حتى أكرهـوني ، وأنتما ممن أراد بيعتي وبـايعتمـا ، ولم تبـايعـا

لسلطان غالب ولا لغرض حاضر ، فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله تعالى عما أنتما عليه ، وإن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما السبيل عليكما بإظهار كما الطاعة وكتمانكما المعصية ، وأنت يا زبير فارس قريش وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما به ، وأما قولكما أني قتلت عثمان بن عفان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ، ثم يلزم كل امرىء بقتل ما احتمل وهؤلاء بنو عثمان أن قتل مظلوماً كما تقولان أولياءه وأنتما رجلان من المهاجرين وقد بايعتماني ونقضتما بيعتي وأخرجتما أمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقرّ فيه والله حسبكما والسلام ، وكتب إلى عائشة :

أما بعد ، فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله ﷺ تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين الناس فخبريني ما للنساء وقود العساكر ، وزعمت أنك طالبة لدم عثمان ، وعثمان رجل من بني أميّة وأنت إمرأة من بني تيم بن مرة ، ولعمري أن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان ، وما غضبت حتى أغضبت وما هجت حتى هيجت ، فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك واسبلي عليك سترك والسلام .

فجاء الجواب إليه ، يابن أبي طالب : جل الأمر عن العتاب ، ولن ندخل في طاعتك أبداً فاقضِ ما أنت قاض والسلام .

ثم تقارب الجمعان ورأى علي ﷺ تصميم عزمهم على قتاله فجمع أصحابه وخطبهم خطبة بليغة ، ثم رفع ﷺ يده إلى السماء وقال : اللّهمّ إن طلحة بن عبد الله أعطاني يمينه طائعاً ، ثم نكث بيعتي اللّهمّ فعاجله ولا تمهله وإن الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث بيعتي وعهدي وظاهر عدوي ونصب الحرب لي وهو يعلم أنه ظالم ، اللّهمّ فاكفنيه كيف شئت وأنىّ شئت ، ولما آن أوان القتال وقف أمير المؤمنين ﷺ بين الصفين ونادى الزبير فجاءه ودنا منه فقال ﷺ : ما

حملك على ما صنعت ؟ فقال : الطلب بدم عثمان ، فقال : عثمان قتلته أنت وأصحابك فيجب عليك أن تقيد نفسك ولكن أنشدك بالله الذي لا إله إلاَّ هو الذي أنزل القرآن على نبيه محمد أما تذكر يوم قال لك رسول الله : أتحب علياً فقلت وما يمنعني من حبه وهو إبن خالي ؟ فقال لك : أما إنك لتخرج عليه يوماً وأنت له ظالم ؟ فقال الزبير : اللَّهمَّ بلىٰ لقد كان ذلك ، فقال : فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على محمد ما تذكر يوماً جاء رسول الله من عند إبن عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت أنا إليه فقلت : أنت لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً فقال لك النبي : مهلاً يا زبير فليس به زهو ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم ، فقال الزبير : اللَّهمَّ بلىٰ ، فلئن ذكرتني ذلك لانصرفن عنك ، ثم رجع الزبير إلى عائشة فقالت : ما وراك يا أبا عبد الله ؟ فقال : والله ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلاّ ولي فيه بصيرة وأنا اليوم على شك من أمري وما أكاد أن أبصر موضع قدمي ، ثم شق الصفوف وخرج من بينهم فلقيه ولده عبد الله فقال : جبناً جبناً ، فقال : يا بني قد علم الناس أني لست بجبان ولكن ذكرني علي شيئاً سمعته من رسول الله ، فحلفت أن لا أقاتله ، فقال : دونك غلامك فلان فأعتقه كفارة ليمينك ، فقال : لا قاتلته أبداً فخرج ونزل على قوم من بني تميم ، فقام إليه عمر بن جرموز المجاشعي فقتله وهو نائم وكان في ضيافته ، ويُقال انه رجع إلى القتال وقاتل ، ثم ندم وخرج وقتله عمر بن جرموز ، ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام نهىٰ الناس عن القتال وأخذ المصحف وطلب من يقرأه عليهم وأن طائفتان من المؤمنين الآية فقال مسلم المجاشعي : ها أنا ذا فأخذه ودعاهم إلى الله فقطعوا يمينه فأخذه بيده اليسرى فقطعت أيضاً فأخذه بأسنانه فقتل فقالت أُمه :

يا رب إن مسلماً أتاهم ... بمحكم التنزيل إذ دعاهم
يتلو كتاب اللّه لا يخشاهم ... فرملوه رملت لحاهم

وأنـذرهم أميـر المؤمنين بعـد قتـل مسلم فلم يقبلوا فقـال : اللّهمّ إني أعـذرت وأنذرت فكن عليهم من الشـاهدين وصـاح بـأصحابـه الآن طـاب الضراب وأعـطى الرايـة لمحمد بن الحنفيـة وقال : يـا بني تـزول الجبال ولا تزول عض ناجذك أعِرْ الله جمجمتك مـد في الأرض قدميك إرم ببصـرك أقصىٰ القـوم وغض بصـرك وسـر واعلم أن النصـر من الله ، ثم صبر سويعـة فصاح النـاس من كل جـانب من وقع نبـال أهل البصـرة فنادى محمداً تقدم يا بني فتقدم وطعن طعناً منكـراً والتحم القتال وجعـل يقـرأ : ﴿وان نكثوا أيمـانهم من بعد عهـدهم وطعنـوا في دينكم فقـاتلوا أئمـة الكفر إنهم لا إيمـان لهم لعلهم ينتهون﴾ ، واتصـل الحـرب وكثـر القتل والضرب فخرج عبد الله اليثربي مرتجزاً :

يـا رب إني طـالب أبـا الحسن ذاك الـذي يعـرف قـدمـاً بـالفتن

فأتاه أمير المؤمنين قائلاً :

إن كنت تبغي أن تـرىٰ أبا الحسن فـاليـوم تلقـاه مليـاً فـاعلمـن

وشدّ عليه بـالسيف فاسقط عـاتقه ووقـع قتيلاً فـوقف عليه وقـال : لقد رأيت أبا الحسن فكيف وجدته . وخرج بنو ضبة وقال قائلهم :

نحن بنـو ضبـة أصحـاب الجمـل المـوت أحلىٰ عنـدنـا من العسـل

وقال آخـر :

نـحن بنـو ضبـة أعـداء عـلي ذاك الـذي يُعـرف فيهم بـالـوصي

فحمـل عليهم أمير المؤمنين ﷺ فكـانوا كـرماد اشتـدت به الـريح في يوم عاصف .

وكـان طلحة يحث النـاس ويقول عبـاد الله الصبر الصبـر في كـلام لـه ، فقـال مـروان بن الحكم : والله لا أطلب ثـاري بعثمـان بعـد اليـوم ورمى طلحة بسهم فأصاب ركبته فـوقع قتيـلاً فالتفت مـروان إلى أبان بن عثمان وقال : لقـد كفيتك أحـد قتلة أبيك واشتبـك السلاح بـالسلاح ولا

زال علي يضرب بالسيف حتى قتل جماعة من مشاهير الفرسان منهم عمر بن اليثربي وأخوه وعبد الله بن خلف الخزاعي ومازن الضبي وعبد الله بن نهشل وجعل بنو ضبة يخرج منهم الواحد بعد الواحد ويأخذ بزمام الجمل حتى قتل منهم ثمانية وتسعين رجلاً وهم يزدادون عزيمة والقتل يؤجج ناره والجمل يفني أنصاره قال فخرج كعب بن سون الأزدي وهو يقول :

يا معشر الناس عليكم أمكم　　فإنها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظى التي تعمكم　　فاحضروها جدكم وحزمكم
لا يغلبن سم العدو سمكم　　إن العدو إن علاكم زمكم
وخصكم بجوره وعمكم　　لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فشد عليه الأشتر رحمه الله فقتله فخرج ابن حضير الأزدي يقول :

قد وقع الأمر بما لم يحذر　　والنبل يأخذون وراء العسكر
وأمنا في خدرها المشهر

فبرز إليه الأشتر يقول :

اسمع ولا تعجل جواب الأشتر　　واقرب نلاق كأس موت أحمر
ينسيك ذكر الجمل المشهر

فقتله ثم قتل عمر الغنوي وعبد الله بن عتاب بن أسيد ، ثم جال في الميدان جولاً وهو يقول : نحن بنو الموت به غدينا .

فخرج إليه عبد الله بن الزبير فطعنه الأشتر وأرداه وجلس على صدره ليقتله فصاح عبد الله اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي فقصدوا إليه من كل جانب فخلاه وركب فرسه ، فلما رأوه راكباً تفرقوا عنه فأخبرت عائشة بأن الأشتر بارز عبد الله فصاحت واثكل اسماء لولا الناس لقتله ، فانتدب أصحاب الجمل بعضهم بعضاً فخرج عوف بن

قطن الظبي وهو ينادي ليس لعثمان ثار على علي بن أبي طالب وولده فأخذ خطام الجمل واستقتل حوله وجال وقال :

يا أم يا أم خلا مني الوطن ... لا ابتغي القبر ولا ابني الكفن
من ههنا محشر عوف بن قطن ... إن فاتنا اليوم علي فالغبن
أو فاتنا اليوم حسين وحسن ... إذن أمت بطول هم وحزن

ثم تقدم يضرب بسيفه فبدره أمير المؤمنين وقده نصفين ، وقيل قتله محمد بن الحنفية وشد رجل من الأزد على محمد بن الحنفية وهو يقول : يا معاشر الأزد كرّوا . فضربه ابن الحنفية فقطع يده ، فقال : يا معاشر الأزد فرّوا فخرج الأسود بن البختري السلمي يقول :

إرحم إلهي الكل من سليم ... وانظر إليه نظرة الرحيم

فقتله عمرو بن الحمق فخرج جابر الأزدي يقول :

يا ليت أهلي من عمان حاظري ... من سادة الأزد وكانوا ناصري

فقتله محمد بن أبي بكر فخرج بشر الضبي قائلاً :

ضبة أبدى للعراق عمعمه ... واضرمي الحرب العوان المضرمه

فقتله عمّار وأخذت عائشة كفاً من الحصى فحصبت به أصحاب علي وصاحت بأعلى صوتها : شاهت الوجوه كما صنع رسول الله يوم حنين ، فقال لها قائل : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، ونادت أيها الناس عليكم بالصبر فإنما يصبر الأحرار فأجابها رجل كوفي :

يا أم يا أم عققت فاعلموا ... والأم تغذو ولدها وترحم
أما ترى كم من شجاع يكلم ... وتجتلى هامته والمعصم

وقال آخر :

قلت لها وهي على مهوات ... أن لنا سواك أمهات
في مسجد الرسول ثاويات

فقال الحجاج بن عمر الأنصاري :

يا معشر الأنصار قد جاء الأجل إني أرى الموت عياناً قد نزل
فبادروه نحو أصحاب الجمل ما كان في الأنصار جبن وفشل
فكل شيء ما خلا اللّه جلل

وقال خزيمة بن ثابت :

لم يغضوا للّه إلاَّ للجمل والموت خير من مقام في خمل
والموت أحرى من فرار وفشل

وقال شريح بن هانىء :

لاعيش إلاَّ ضرب أصحاب الجمل والقول لا ينفع إلاَّ بالعمل
وما لنا بعد علي من بدل

وقال هانيء بن عروة المذحجي :

يا لك حرب حثها جمالها قائدة ينقصها ظلالها
هذا علي حوله أقيالها

وقال سعد بن قيس :

قل للوصي اجتمعت قحطانها أن يك حرب اضرمت نيرانها

وقال عمار :

إني لعمار وشيخي ياسر صاح كلانا مؤمن مهاجر
طلحة فيها والزبير غادر والحق في كف عليّ ظاهر

وقال الأشتر :

هذا عليّ في الدجىٰ مصباح نحن بذا في فضله فصاح

وقال عدي بن حاتم :

أنا عدي ويماني حاتم هذا علي بالكتاب عالم
لم يعصه في الناس إلّا ظالم

وقال عمرو بن الحمق :

هذا علي قائد يرضى به أخو رسول اللّه في أصحابه
من عوده النامي ومن نصابه

وقال رفاعة :

إن الذين قطعوا الوسيلة ونازعوا الطهر على الفضيلة
في حربه كالنعجة الأكيلة

قال وشكت السهام الهودج حتى كأنه جناح نسر أو شوك قنفذ وزحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية كانت الراية بيده فصاح بولده محمد أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل ولا تقفن دونه فتقدم محمد فرشقته السهام فقال لأصحابه : رويداً حتى تنفذ سهامهم فلم يبق إلاّ رشقة أو رشقات .

فأنفذ علي عليه السلام إليه يستحثه ويأمره بالمناجزة فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن وقال له : أقدم لا أم لك فكان محمد إذا ذكر ذلك يبكي ويقول : لكأني أجد ريح نفسه في قفاي والله لا أنسى ذلك أبداً ، ثم أدرك علياً عليه السلام رقة على ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في يمناه ، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل ، ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين ، فلم يجب أحداً منهم ولا رد إليهم بصره وظل يخطر ويزأر زئير الأسد حتى فرق من حوله وأنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا

يبصر من حولـه ، ثم دفع الـراية إلى محمـد ثم حمل حملة ثـانية وحـده وكبّر تكبيرات فدخل وسطهم وضربهم بـالسيف قدماً قدمـاً والرجـال تفر من بين يـديـه وتنحـاز عنه يمنـة ويسـرة حتى خضب الأرض بـدمـاء القتلىٰ ، ثم رجـع وقد انحنىٰ سيفـه فاعصـوصب به أصحـابه ونـاشـدوه الله في نفسـه وفي الإسـلام وقـالـوا : إنـك إن غضبت يـذهب الـدين فأمسك ونحن نكفيك فقال : والله مـا أُريد بمـا ترون إلاّ وجـه الله والدار والآخرة .

ثم قـال لمحمد هكـذا تصنع يـابن الحنفيـة ، فقـال النـاس : من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين ، قـال : فاستـدار الجمل كمـا تدور الرحى وتكاثف الرجـال من حولـه واشتد رغـاؤه وزحام النـاس عليه فنادى الحتات المجاشعي أيها النـاس أُمكم أُمكم واختلط الناس فضـرب بعضهم بعضاً وتقصد أهل الكوفة قصد الجمل وكان دونـه ناس كـالجبال كلمـا خف قوم جـاء أضعـافهم فنـادى علي عليه السلام ارشقـوا الجمـل بـالنبـل فرموه بالسهام ، فلم يبق فيه موضع إلاّ أُصيب بالنبـل ونادت الأزد وضبـة يا لثارات عثمان ونادىٰ أصحاب علي يا محمد فاتخـذها شعـاراً ، واختلط الفريقان فصاح علي ما أرىٰ أحداً يقاتلكم غير هذا الجمـل وهذا الهـودج عرقبوا الجمل لعنه الله فإنه شيـطان ، وقال لمحمـد بن أبي بكر : أنـظر إذا عـرقب الجمل فـأدرك أختك فـوارها فـوضع أميـر المؤمنين سيفـه في عاتقه وعطف نحو الجمل وأمر أصحابه بـذلك ومشىٰ نحـوه والخطام مـع بني ضبـة فاقتتلوا قتـالاً شديـداً واستمر القتـل بني ضبة فقتـل منهم مقتلة عظيمة وهجم علي وأصحابه نحو الجمل فعـرقب رجل رجـلاً من الجمل فـدخل تحت رجـل ضبي وعرقب منـه أخرىٰ فـدخل رجـل آخر فضـربـه بجيـر النخعي على عجزه وعبـد الـرحمٰن على عينـه وعمـار على طـرفـه فحملتـه بنو ضبـة فرشقـوا بالسهـام فوقـع الجمل بجنبـه وضرب بجـرانـه الأرض وعـج عجيجاً لم يسمـع بأشـد منه فمـا هو إلى أن صـرع الجمل حتى فرّت الرجال كما يطير الجـراد في الريـح الشديـدة الهبوب فضـرب

أمير المؤمنين برمحه على الهودج فقال : يا عائشة أهكذا أمرك رسول الله ﷺ أن تفعلي ؟ فقال : يا أبا الحسن ظفرت فأحسن وملكت فاسجح ، فقال لمحمد بن أبي بكر : شأنك باختك فلا يدنو أحد منها سواك فدنىٰ منها محمد وقال لها : ما فعلت بنفسك عصيت ربك وهتكت سترك ثم أبحت حرمتك وتعرضت للقتل فسكتت ولم تجبه بشيء فأمر أمير المؤمنين أن تحمل بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف وأمر بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح وقال : لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ، ثم قرأ ﴿**وانظر إلى آلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقه ثم لننسفنه في اليم نفسفاً**﴾ ، قال فقالت عائشة لأخيها محمد : أقسمت عليك أن تطلب عبد الله بن الزبير جريحاً كان أو قتيلاً فقال : إنه كان هدفاً للأشتر فانصرف محمد إلى العسكر فقال : أجلس يا ميشوم أهل بيته فاتاها به فصاحت وبكت ، ثم قالت : يا أخي أستأمن له من علي ، فأتىٰ أمير المؤمنين ﵇ فاستأمن له منه ، فقال : أمنته وأمنت جميع الناس وكان مع أمير المؤمنين في وقعة الجمل عشرون ألفاً منهم البدريون ثمانون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة مأتان وخمسون ومن الصحابة ألف وخمسمائة رجل وكان مع عائشة ثلاثون ألفاً أو يزيدون منهم المكيون ستمائة رجل قتل منهم يوم الجمل عشرون ألفاً وقتل من أصحاب علي ألف وسبعون رجلاً منهم زيد بن صوحان وهند الحملي وأبو عبد الله العبدي وعبد الله بن رقية وقيل لعبد الرّحمٰن بن صرد التنوخي لم عرقبت الجمل فقال :

عقرت ولم أعقر بها لهواتها ... علي ولكني رأيت المهالكا
وما زالت الحرب العوان تحثها ... بنوها بها حتى هوىٰ القود باركا
فأضجعته بعد البروك لحينه ... فخر صريعاً كالثنية حالكا
فكانت شراراً إذ اطيقت بوقعة ... فيا ليتني عرقبته قبل ذالكا

حـرب صفين

نـزل أميـر المؤمنين ﷺ الـرحبـة بعـد وقعـة الجمــل وأرسـل إلى معاوية يدعوه للطاعة فاستنفر معاوية أهل الشـام للطلب بدم عثمـان وضم إليـه عمـرو بن العـاص على أن يـطعمـه مصـر ، فلمـا رأى رسـول أميـر المؤمنين ذلك رجع إليه وأخبره بما رأى .

وجـاء أبو مسلم الخـولاني بكتـاب من معـاويـة إلى أميـر المؤمنين يـذكـر فيـه وكـان أنصحهم لله خليفـة ، ثم خليفـة خليفـة ، ثم الخليفـة الثالث المقتول ظلماً فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عـرفنا ذلـك ، ثم نـظرك الشزور وقـولك الهجـر وتنفسك الصعـداء أو إبطائـك عن الخلفاء وفي ظـل ذلك تقـاد كمـا يقـاد الجمـل المغشـوش ولم تكن لأحـد منهم أشـد حسـداً منـك لابن عمـك وكـان أحقهم أن لا تفعـل ذلـك لقـرابتـه وفضله فقـطعت رحمه وقبحت حسنـه فـأظهـرت لـه العـداوة وبـطنت لـه بـالغش وألبت الناس عليـه فقتل معـك في المحلة وأنت تسمـع الهـايعـة ولا تـرد عنه بقـول ولا فعِل ، فلمـا وصل الخـولاني وقرأه على النـاس قالوا : كلنا له قاتلون ولأفعـالـه منكرون فكـان جواب أميـر المؤمنين وبعد فـإني رأيت قد أكثـرت في قتلة عثمان فـأدخل فيمـا دخل المسلمـون فيه من بيعتي ، ثم حـاكم القـوم إلى احملكم على كتـاب الله وسنـة نبيـه

محمد ، وأما الذي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لإن نظرت بعقلك لعلمت أني من أبرأ الناس من دم عثمان ، وقد علمت أنك من أبناء الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة .

واجمع أمير المؤمنين ﷺ على المسير لحرب معاوية وحرض الناس على ذلك ووقعت بينهما مكاتبات كثيرة ذكرها المؤرخون .

قال أمير المؤمنين ﷺ قاتلت الناكثين وهؤلاء القاسطين وسأقتل المارقين ، ثم ركب فرس النبي وقصده في تسعين ألفاً منهم تسعمائة رجل من الأنصار وثمانمائة من المهاجرين فيهم مائة وثلاثون رجلاً من أهل بدر ومنهم تسعون رجلاً بايعوا رسول الله تحت الشجرة بيعة الرضوان وخرج معاوية في مائة وعشرين ألفاً يتقدمهم مروان وقد تقلّد بسيف عثمان فنزل صفين في المحرم على شريعة الفرات وقال : أنا لكم الكاشر عن أنيابه ليث العرين جاء في أصحابه فانفذ على شبث إبن ربعي الرياحي وصعصعة بن صوحان ، وقالا في ذلك لطفاً وعنفاً ، فقال : أنتم قتلتم عثمان عطشاً ، فقال ﷺ : إرووا السيوف من الدماء تروون الماء والموت في حياتكم مقهورين خير من الحياة في موتكم قاهرين فقال شاعر :

أتحمون الفرات على رجال ... وفي أيديهم الأصل الضباء
وفي الأعناق أسياف حداد ... كان القوم عندهم نساء

وقال مالك الأشتر :

ميعادنا الآن بياض الصبح ... لا يصلح الزاد بغير الملح

وقال الأشعث بن قيس :

لأوردن خيلي الفراتا ... شعث النواصي أو يُقال فاتا

فصاح الأشعث : أيها الناس من أراد الماء فليأتي معنا فاجتمعت عليه سبعة عشر ألف رجل ، فحمل بهم حملة رجل واحد

ونـادىٰ بـأعلىٰ صـوته من عـرفني فقـد عـرفني ومن لم يعـرفني فـأنـا الأشعث بن قيس ، قال فكأنه نادى أنا ملك الموت فتفـرقوا من بين يـديه وتطايروا للهرب فقتل منهم بعضاً وانهزم البـاقون فـأمر أميـر المؤمنين ﷺ أن لا يمنعوهم الماء قال فأمسكـوا محرم كله عن القتـال ، فلما استهـل صفـر أمر علي ﷺ قنـودي في أهل الشـام بالأعـذار والإنـذار ، ثم عبـر عسكره فجعل في ميمنته الحسن والحسين وعبد الله بن جعفـر ومسلم بن عقيـل وعلى ميسرتـه محمـد بن أبي بكـر وهـاشم بن عتبـة المـر . قـال وعلى القلب عبـد الله بن العباس والعبـاس بن ربيعة بن الحـارث والأشتر والأشعث وعلى الجنـاح سعد بن قيس الهمـداني وعبد الله بن بـديـل بن ورقـة الخزاعي ورفـاعة بن شـداد البجلي وعدي بن حـاتم وعلي الكمين عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق وعامر بن وائل الكناني وقبيضـة بن جابـر الأسدي .

وجعل معاوية على ميمنته ذا الكـلاع الحميري وحـوشب ذا الظليم وعلى الميســرة عمـرو بن العــاص وحبيب بـن مسلمــة وعلى الـقلب الضحاك بن قيس الفهري وعبد الرحمٰن بن خالد بن الـوليد وعلى السـاقة بشــر بن أرطـأة الفهـري وعلى الجنـاح عبــد الله بن مسعـدة الفــزاري وهمـام بن قبيصة النمـري وعلى الكمين أبـو الأعـور السلمي وحـابس بن سعـد الـطائي قـال : وبعث عليّ عبـد الله إلى معـاويـة أن أخـرج حتى ابــارزك فلم يفعـل فـزحف الفـريقــان والتقىٰ الجمعـان والنــاس على راياتهم . ى

قـال ابن أبي الحـديـد فخـرج رجـل من أهـل العـراق على فـرس كميت غارقاً في السلاح لا يرىٰ منه إلاً عيناه وبيده الرمـح فجعل يضـرب رؤوس أهـل العراق بـالقناة ويقـول سووا صفـوفكم رحمكم الله حتى إذا عـدل الصفوف والـرايات استقبلهم بـوجهه وولى أهـل الشام ظهـره ، ثم حمـد الله واثنىٰ عليه وقـال : الحمد لله الـذي جعـل فينـا ابن عـم نبيـه أقدمهم هجرة وأولهم إسـلاماً سيف من سيـوف الله صبّه الله على أعـدائه

فانظروا إذا حمى الوطيس وثار القتام وتكسر المرازن وجالت الخيل بالأبطال فلا أسمع إلاّ غمغمة أو همهمة فاتبعوني وكونوا في أثري ثم عمد على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع وإذا هو الأشتر وقد جرى بين العسكرين وقائع وفي الكل كانت الغلبة لأمير المؤمنين ﷺ :

أولها : يوم الأربعاء بين الأشتر وحبيب بن مسلمة .

والثانية : بين المرقال وأبو الأعور .

والثالثة : بين عمار وعمرو بن العاص .

والرابعة : بين ابن الحنفية وعبيد بن عمرو .

والخامسة : بين عبد الله بن العباس والوليد بن عقبة .

والسادسة : بين سعد بن قيس وذي الكلاع إلى تمام الأربعين وقعة آخرها ليلة الهرير خرج عون بن عوف الحارثي قائلاً :

أني أنا عوف أخو الحروب صاحبها ولست بالهروب

فبارزه علقمة قائلاً :

يا عوف إن كنت إمرءاً حازماً لم تبرز الدهر إلى علقمه
لقيت ليثاً أسداً باسلاً يأخذ بالأنفاس والغلصمه

فقتله ورجع وخرج أحمر مولىٰ عثمان قائلاً :

إن الكتيبة عند كل تصادم تبكي فوارسها على عثمان

فأجابه مولىٰ لعلي :

عثمان ويحك قد مضىٰ لسبيله فأثبت لحد مهند وسنان

فقتله الأحمر فقال علي ﷺ : قتلني الله ان لم أقتلك ، ثم حمل وآستقبله بالسيف وهو لا يعرفه فمد علي ﷺ يده إليه فقبضه من درعه ورفعه عن فرسه وضرب به الأرض فكسر منكبه وأضلاعه وجعل يجول في الميدان :

لهف نفسي وقليل ما أسر ما أصاب الناس من خير وشر
لم أرد في الدهر يوماً حربهم وهم الساعون في الشر الشمر

وكان لمعاوية غلام يسمىٰ بحريث وكان فارساً بطلاً وكان معاوية يحذره من التعرض لعلي فخرج إلى الميدان فقبض عايه أمير المؤمنين عليه السلام وحبسه في الهواء وجعل يجول ويقول :

ألا إحذروا في حربكم أبا الحسن ولا تروموه فذا من الغبن
فإنه يدقكم دق الطحن ولا يخاف في الأباح من ومن

قال : ولم يبرز له أحد فرجع عليه السلام قال وخرج من أهل الشام رجل يُقال له محزان بن عبد الرّحمٰن فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج إليه رجل يُقال له المؤمل بن عبيد المرادي فتضاربا بأسيافهما فقتله الشامي ، ثم نزل وحزّ رأسه وكب الرأس على وجهه ، ثم نزل إليه فتىً من بني أسد يُقال له مسلم بن عبد ربه فقتله الشامي ونزل وحز رأسه وكب الرأس على وجهه ، فلما رأى علي عليه السلام ذلك تنكر للشامي وهو واقف بين الصفين فخرج إليه والشامي لا يعرفه فطلبه فبدره عليه السلام بضربة على عاتقه فرمى بشقه فسقط فنزل وحز رأسه ورمى به إلى السماء ، ثم ركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه آخر من فرسان الشام فضربه وقتله ونزل واحتز رأسه وحل وجهه إلى السماء ، ثم ركب ونادى هل من مبارز ؟ فلم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس وهو يقتله ويفعل به مثل الأول إلى أن قتل منهم سبعة عشر فاحجم الناس عنه ولم يعرفوه ، فقال معاوية لعبد له يُقال له حرب وكان بطلاً شديداً : ويلك يا حرب أخرج إلى هذا الفارس واكفني أمره فإنه قتل من أصحابي ما قد رأيت ، فقال له حرب : إني والله أرىٰ مقام هذا الفارس لو بارزه عسكرك كله لأفناهم عن آخرهم ، فإن شئت برزت إليه واعلم أنه قاتلي وإن شئت فاستبقني لغيره ؟ فقال معاوية : لا والله ما أحب أن تقتل فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك .

وجعل ﵇ ينادي ويدعوهم فما خرج إليه أحد ، فرفع المغفر عن رأسه ورجع إلى عسكره فخرج رجل من أبطال عسكر الشام يُقال له كريب بن الصباح فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج له من أهل العراق رجل يُقال له المبرقع الجولاني فقتله الشامي ، ثم خرج إليه الحرث الحكمي فقتله أيضاً فنظر علي ﵇ إلى مقام فارس بطل فخرج إليه بنفسه فوقف قبالته ثم قال : من أنت ؟ فقال : أنا كريب بن صباح الحميري ، فقال له علي ﵇ : ويحك يا كريب إني أحذرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب فالله الله في نفسك فإني أراك فارساً بطلاً فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا وتصون نفسك عن عذاب الله ولا يدخلنك مع معاوية نار جهنم فقال كريب أدن مني إن شئت وجعل يلوح بسيفه فمشى إليه علي ﵇ والتقيا بضربتين فقتله الإمام ﵇، ثم وقف فخرج إليه الحرث الحميري فقتله أيضاً وهكذا إلى أن قتل أربعة نفر وهو يقول الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين .

ثم صاح علي ﵇ يا معاوية هلم إلى مبارزتي ولا تفنين العرب بيننا فقال معاوية : لا حاجة لي في مبارزتك فقد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك ، فصاح رجل من أصحاب معاوية يُقال له عروة بن داود يابن أبي طالب إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلم إلي مبارزتي فذهب علي نحوه فبدره عروة بضربة ، فلم تعمل شيئاً وضربه ﵇ فأسقطه ثم قال : انطلق إلى النار ، وكبر على أهل الشام قتل عروة فلم يخرج أحد إلى المبارزة فرجع أمير المؤمنين ﵇ قال وخرج عبد الرّحمٰن بن خالد بن الوليد يقول :

قل لعلي هكذا الوعيد ... أنا ابن سيف الله لا مزيد
وخالد ابن بنته الوليد ... قد فتر الحرب فزيدوا زيدوا

فبرز الأشتر مرتجزاً :

يـا رب جنبني سبيـل الفجـرة بـالضـرب أو ميتـة مؤخـرة
ولا تـجـنـبـنـي ثـواب الـبـررة واجعـل وفـاتي بأكف الكفـرة

فضـربـه الأشتـر فـانصـرف يقـول : أفنـانـا دم عثمـان ، فقـال لـه معاوية : هذه فاشرة الصباة فاصبر فإن الله مع الصابرين ، وخـرج معاويـة يشير إلى همدان وهو يقول :

لا عيش إلّا فلق قحف الـهـام مـن أرحب ويـشـكـر شيـام
قـوم هم أعـداء أهـل الشـام كـم من كـريـم بـطل همـام
وكـم قتيـل وجـريـح رامي كـذاك حـرب السـادة الكـرام

فبرز سعيد بن قيس يقول :

لا هـم رب الحـل والـحـرام لا تجعـل الملك لأهـل الشـام

فحمـل وهل مشـرع رمحه فهـرب معاويـة ودخـل في غمـار القـوم وجعل قيس يقول :

يـا لهف نفسي فـاتني معـاويـة على أطم كـالعقـاب هـاويـة
والـراقصـات لا بعـود ثـانيـة إلّا هـوىٰ معفـراً في الهـاويـة

وبرز أبو الطفيل الكناني قائلاً

تحـامت كنـانـة في حـربهـا وحـامت تميم وحـامت أسـد
وحـامت هـوازن من بعـدهـا فمـا حـام منهـا ومنهم أحـد
طحنـا الفـوارس يـوم العجـاج وسقنـا الأراذل سـوق النكـد

وجال أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً :

أنـا علي فـاسألوني تخبـروا ثم أبرزوا لي في الوغىٰ وأبدروا
سيفـي حسـام وسنـاني يـزهـر منـا النبي الطاهـر المطهـر
وحمـزة الخيـر ومنـا جعفـر وفـاطم عـرسي وفيهـا مفخـر

هذا لهذا وابن هند محجر مذبذب مطرد مؤخر

فاستخلفه عمرو بن حصين السكوني على أن يطعنه فرآه سعيد بن قيس فطعنه وأنشد :

أقول له ورمحي في حشاه وقد قرّت بمصرعه العيون
ألا يا عمرو عمرو بني حصين وكل فتىً ستدركه المنون
أتدرك أن تنال أبا حصين بمعضلة وذا مال يكون

وأنفذ معاوية ذا الكلاع إلى حرب همدان فاشتبكت الحرب بينهم إلى الليل ، ثم انهزم أهل الشام فأنشد أمير المؤمنين عليه السلام :

فوارس من همدان ليسوا بعزل غداة الورىٰ من شاكر وشيام
يقودهم حامي الحقيقة ما جد سعيد بن قيس والكريم محامي
جزىٰ الله همدان الجنان فإنهم سهام العدى في كل يوم حمام

وبرز أبو أيوب الأنصاري فنكلوا عنه فحاذىٰ معاوية حتى دخل فسطاطه فترفع إبن منصور ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

وعلّمنا الحرب آباؤنا وسوف نعلم منا البنينا

وخرج رجل في براز رجل كوفي فصرعه الكوفي ، فإذا هو أخوه فقالوا : خله فأبىٰ أن يطلقه إلاّ بأمر علي عليه السلام فأذن له بذلك ، وبرز عبد الله بن خليفة الطائي في جماعة من طي وارتجز :

يا طي طي السهل والجبال ألا إثبتوا بالبيض والعوالي
وقاتلوا أئمة الضلال

وخرج بشر بن أرطاة وهو يقول :

أكرم بجند طَيب الأردان جاءوا يكونوا أوليا الرحمان
إني أتاني خبر شجاني أن علياً نال من عثمان

فبرز إليه سعيد بن قيس قائلاً :

بؤساً لجند ضائع الإيمان أسلمهم بشر إلى الهوان
إلى سيوف لبني همدان أقسم بالرحيم والرحمان
أن علياً خير من عثمان وقيس خير من أبي سفيان

فانصرف بشر من طعنته مجروحاً .

وخرج أدهم بن لام القضاعي مرتجزاً :

أثبت لوقع الصارم الصقيل فأنت لا شك أخو قتيل

فقتله حجر بن عدي ، فخرج الحكم بن الأزهر قائلاً :

يا حجر حجر بن عدي الكندي أثبت فإني ليس مثلي بعدي

فقتله حجر فخرج إليه مالك بن مسهر القضاعي يقول :

أني أنا إبن مالك بن مسهر أنا إبن عم الحكم بن الأزهر

فأجابه حجر :

إني حجر وأنا إبن مسعر أقدم إذا شئت ولا تؤخر

وبرز علقمة فأصيب في رجله ، وقتل من أهل العراق عمير بن عبيد المحرابي وبكر بن عودة النخعي وإبنه حيان ، وسعيد بن نعيم ، وأبان بن قيس فحمل علي ﷺ على أهل الشام فهزمهم فقال معاوية : كنت أرجو اليوم ظفراً . وبرز الأشتر فجعل يقتل واحداً بعد واحد فقال معاوية في ذلك فبرز عمرو بن العاص في أربعمائة فارس إليه فتبع الأشتر مائتا رجل من نخع ومدحج وحمل الأشتر عليه فوقعت الطعنة في القربوس فانكسر وخر صريعاً وسقطت ثناياه فاستأمنه .

وبرز الأصبغ بن نباتة قائلاً :

حتى متى نرجو البقايا أصبغ أن الرجاء للقنوط يدمغ

وقاتل حتى حرك معاوية من مقامه ، وخرج عوف المرادي قائلاً :

أنا المرادي وإسمي عوف هل من عراقي عصاه سيف

فبرز إليه كعبر الأسدي قائلاً :

الشام فيهـا [illegible]ى مغوار   أنـا العـراقي واسمي كـعبـر

فقتله ورأى معاوية على تل فقصد نحوه فلما قـرب منه حمـل عليه مرتجزاً :

ويلي عليـك يـا بني هـنـد   أنـا الغلام الأحمـدي حمـد

فأخذه أهل الشام بالطعان والضراب فانسل من بينهم وهو يقول :

فلو نلتـه نلت التي ليس بعـدهـا   من الأمـر شيئاً غيـر مين مقـال
ولـو مت من نيلي لـه ألف ميتـة   لقلت لمـا قـد نلت لست أبـالي

وخرج عبد الرحمان بن خالد بن الـوليد فبـرز إليه حـارثة بن قـدامة السعـدي فقتله ، وخرج أبـو الأعور السلمي فـانصرف من طعنـة زياد بن كعب الهمـداني مجروحاً ، وقتل بنـو همدان خلقـاً كثيراً من أهـل الشـام فقـال معاويـة بنو همـدان أعداء عثمـان ، وبرز عميـر بن عطارد التميمي في قومه قائلاً :

قـد صابـرت في حـربهـا تميم   لـهـا حـديث ولـهـا قـديـم
ديـن قـديـم وهـدى قـديـم

فقاتلوا إلى الليل وبرز قيس بن سعد بن عبادة :

أنـا إبـن سعـد وأبـي عبـادة   والخـزر جيـون رجـال سـادة
حتى متى تثنـى لي الـوسـادة   والخـزر جيـون رجـال سـادة
يـا ذا الـجـلال لـقـنـي الـشـهـادة

فخرج بسر بن أرطأة وأرتجز :

انـا إبن أرطـأة الجليـل القـدر   فـي أسـرة مـن غـالـب وفـهـر
أن أرجـع الـيـوم بـغـيـر وتـر   فقـد قضيت في إبن سعـد نـذري

فـانصـرف مجـروحـاً من ضـربـة قيس ، وخـرج المخـادع بن

عبد الرّحمان وقتل المرادي ومسلم الأزدي ورجلين آخرين ، فبرز إليه أمير المؤمنين متنكراً فقتله وقتل سبعة بعده .

وخرج كريب الصباح : فقتل مبرقع الخولاني ، وشرحبيل البكري والحارث الحكيمي ، وعبد الرّحمان الهمداني ، فقتله أمير المؤمنين عليه السلام ثم قتل الحرث بن رادع والمطاع بن المطلب وعروة بن داوود ، وخرج مولىٰ لمعاوية مرتجزاً :

إني أنا الحارث ما به حذر مولىٰ إبن صخر وبه قد انتصر

فقتله قنبر مولىٰ أمير المؤمنين عليه السلام ، وخرج بريد الكلبي قائلاً :

لقد ضلت معاشر من نزار إذ إنقاد والمثل أبي تراب

فقتله الأشتر وخرج مشجع الحذامي فطعنه عدي بن حاتم ، ونادى خالد السدوسي ومن يبايعني على الموت فأجابه تسعة آلاف فقاتلوا حتى بلغوا فسطاط معاوية فنهبوا فسطاطه فهرب معاوية ، وأنفذ معاوية إليه وقال يا خالد لك عندي إمرأة خراسان متى ظفرت ، ويحك أقصر عن فعالك هذا ، فنكل عنه فتفل أصحابه في وجهه وحاربوا إلى الليل ، قال وخرج رجل من عسكر الشام قائلاً لهاشم المرقال :

يا أعور العين وما فينا عور نبغي ابن عفان ونلحي من عذر

فقتله المرقال فهجموا على المرقال فقتلوه ، فأخذ سفيان بن الثور رايته فقاتل حتى قتل فأخذها عتبة بن المرقال فقاتل حتى قتل ، فأخذها أبو الطفيل الكناني مرتجزاً :

يا هاشم الخير دخلت الجنة قتلت في الله عدو السنة

فقاتل حتى جرح فرجع القهقهرى فأخذها عبد الله بن بديل بن ورقا الخزاعي مرتجزاً :

أضربكم رغماً على معاوية الأبرح العين العظيم الهاوية

هوت به في النار أم هاوية ... جاوره فيها كلاب عاوية

فهجموا عليه فقتلوه فأخذها عمرو بن الحمق قائلاً :

جزىٰ اللّه فينا عصبة أي عصبة ... حسان وجوه صرعوا حول هاشم

وقاتل أشد القتال فخرج ذا الظليم قائلاً :

أهل العراق ناسبوا وانتسبوا ... أنا اليماني واسمي حوشب

من ذي الظليم أين أين المهرب

فبرز إليه سليمان بن صرد الخزاعي قائلاً :

يا أيها الحي الذي تذبذبا ... لسنا نخاف ذا الظليم حوشباً

فحملت الأنصار حملة رجل واحد وقتلوا ذا الكلاع وذا الظليم وجمعاً ممن معهم وكاد يؤخذ معاوية فقال أنصاري :

معاوية ما أفلت إلاّ بجرعة ... من الموت حتى تحسب الشمس كوكبا

فإن تفرحوا بإبن البديل وهاشم ... فإنا قتلنا ذا الكلاع وحوشباً

وخرج عبيد الله بن عمر وهو يقول :

أنا عبيد اللّه ينميني عمره ... خير قريش من مضىٰ ومن غبر

فقتل أمرّ قتلة، وبرز عمّار في رايات فقتل من أصحاب معاوية سبعمائة رجل ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مائتا رجل ، وخرج عمرو بن العاص يقول :

إني إذا الحرب تفرت عن كثر ... أحمل ما حملت من خير وشر

فقصده الأشتر مرتجزاً :

إني أنا الأشتر معروف السير ... إني أنا الأفعىٰ العراقي الذكر

لست ربيعياً ولست من مضر ... لكنني من نخع الشم الغرر

فهزمهم وجرح عمرواً ، وخرج العباس بن ربيعة بن الحرث

الهاشمي فبرز له من أصحاب معاوية عراد بن أدهم صاح : يا عباس يا عباس هل لك في البراز ؟ فقال له العباس : وأنت هل لك في النزول ؟ فقال : نعم ، فرمى العباس بنفسه عن فرسه ثم تلاقيا وكف أهل الجيشين أعنة خيولهم ينظرون إلى الرجلين، ثم تضاربا بأسيافهما فما قدر أحدهما على صاحبه لكمال لامته وعلي ﷺ يراهما ، فنظر العباس إلى وهن في درع عراد فضربه عليه فقده بإثنين فكبَّر العسكران ، ثم عطف العباس وركب فرسه ، فقال معاوية لأصحابه : من خرج منكم إلى هذا فتولاه وقتله فله كذا وكذا من المال فوثب رجلان من بني لخم من اليمن فقالا : نحن نخرج إليه ، فقال : أيكما سبق إلى قتله فله من المال ما بذلت وللآخر مثله فخرجا جميعاً ووقفا في مقر المبارزة ، ثم صاحا بالعباس ودعياه إلى القتال قال : إستأذن صاحبي وأبرز إليكما ، فقال علي ﷺ : أدن مني فدنا منه فأخذ سلاحه وفرسه وأعطاه سلاح نفسه ولباسه ولبس سلاح العباس وركب فرسه وخرج كأنه هو فقال له : اللخميان إستأذنت فأذن لك مولاك فتحرج ﷺ من الكذب وقرأ : ﴿إن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ فتقدم إلى أحدهما فقده نصفين وإلى الآخر فالحقه بصاحبه ، ثم جال جولة ورجع إلى موضعه ، فعلم معاوية أنه علي ﷺ، فقال : قبح الله اللجاج أنه لقعود ما ركبته إلاّ خذلت ، فقال له ابن العاص : المخذول والله اللخميان لا أنت ؟ فقال له معاوية : أيها الإنسان ليس هذه الساعة من ساعاتك ، قال عمرو : فإن لم تكن هذه الساعة من ساعاتي فرحم الله اللخميين ولا أظنه يفعل فضحك معاوية .

وخرج قبيصة النمري مرتجزاً :

أقدم إقدام الهزبر العالي ... في نصر عثمان ولا أبالي

فبرز عدي بن حاتم قائلاً :

يا صاحب الصوت الرفيع العالي ... أفدي علياً ولدي ومالي

وعيّن معاوية أربعة صفوف : فتقدم أبو الأعور السلمي يحرضهم ويقول : يا أهل الشام إياكم والفرار ، فإنها مسبة وعار ، فدقوا على أهل العراق فإنهما أهل فتنة ونفاق فبرز سعيد بن قيس والأشتر وعدي بن حاتم والأشعث فقتلوا منهم ثلاثة آلاف ونيفاً وانهزم الباقون .

وخرج كعب بن جعيل شاعر معاوية يقول :

أبرز إلي الآن يا نجاشي فإنني ليث لدي الهراش

فبرز إليه النجاشي شاعر علي عليه السلام قائلاً :

أربع قليلاً فأنا النجاشي لست أبيع الدين بالمعاش
انصر خير راكب وماشي ذاك عليّ بين الرياش

وبرز عبد الله بن جعفر في ألف رجل ، فقتل خلقاً كثيراً حتى استغاث عمرو بن العاص ، وأتىٰ أويس القرني متقلداً بسيفين وقيل كان معه مرماة ومخلاة من الحصى فسلّم علي أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه وبرز مع رجاله ربيعة فقتل ، فصلّىٰ عليه أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه ، ثم أن عماراً أتىٰ أمير المؤمنين عليه السلام واستأذنه البراز فلم يأذن له فألح عليه ، فلم يفعل فبكىٰ وقال : يا أمير المؤمنين لعل هذا اليوم هو الذي أوعدني به حبيبي رسول الله إذ قال لي يا عمار تقتلك الفئة الباغية فبكىٰ عليه السلام وعانقه طويلاً ، ثم أذن له فشهر سيفه ومضىٰ وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فلم يزل يقاتل حتى كمن له أبو العادية الفزاري ورماه بسهم فوقع قتيلاً على الأرض قيل أن ذلك السهم وقع في قلبه وأخبر أمير المؤمنين بخبره ، فمشىٰ إليه وبكىٰ عليه حتى ابتلت كريمته وأنشد يقول :

ألا أيها الموت الذي هو قاصدي أرحني فقد أفنيت كل خليل
أراك جديراً بالذين أحبهم كأنك تأتي نحوهم بدليل

قال : فاجتمع العسكر ونحوه من فوق جسد عمار وبرز أمير المؤمنين ﷺ ودعا معاوية وقال : أسألك أن تحقن الدماء وتبرز إليّ أو أبرز إليك ، فبهت معاوية ولم ينطق بشيء ، فحمل ﷺ على الميمنة فأزالها ، ثم حمل على الميسرة فطحنها ، ثم حمل على القلب فقلبه وقتل في هذه الحملات خلقاً كثيراً وهو ينشد ويقول :

فهل لك في أبي حسن علي لعل الله يمكن من قفاكا
دعاك إلى البراز فكف عنه ولو بارزته بترت يداكا

فانصرف أمير المؤمنين ﷺ وبرز متنكراً فخرج عمرو بن العاص قائلاً :

يا قادة الكوفة من أهل الفتن يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
كفى بهذا حزناً مع الحزن أضربكم ولو أرى أبا الحسن

فولى عمرو هارباً فطعنه أمير المؤمنين ﷺ فوقعت في ذيل درعه فاستلقى على قفاه فرفع رجليه فأبدى عورته فصرف ﷺ عنه وجهه ، وأقبل عمرو على معاوية فجعل معاوية يضحك من عمرو وقال : أحمد الذي عافاك واشكر استك الذي وقاك ، فقال عمرو : والله لو بدا له من صفحتك مثل ما بدا له من صفحتي إذاً لأوجع قذالك وأيتم عيالك وأنهب أموالك ، فقال معاوية : لو كنت تحتمل مزاحاً لمازحتك ، فقال عمرو : وما أحملني المزاح ولكن لو لقي رجل رجلاً فصد عنه ولم يقتله أقطرت السماء دماً ، قال : لا ولكنها تعقب فضيحة ألا بد وجبناً ، أما والله لو أنك عرفته لما أقدمت عليه ، قال : أنا وأنت سواء في هذه ، قال وبرز علي ﷺ ودعا معاوية فنكل عنه ، فخرج بسر بن أرطأة يطمع في علي فضربه أمير المؤمنين فاستلقى على قفاه وكشف عن عورته فأعرض عنه أمير المؤمنين ﷺ وصاح كوفي ويلكم يا أهل

الشام أما تستحون من معاملة المخانيث لقد علمكم رأس المخانيث عمرو ، وقد روى هذه السيرة عن أبيه عن جده في كشف العورات وسط عرصات الحروب وأنشأ يقول :

أفي كل يوم فارس ذو كريهة　　له عورة وسط العجاجة بادية
يكف بها عنه علي سنانه　　ويضحك منها في الخلاء معاوية
فيا سوئها من حالة مستهانة　　فضحتها بين البرية باقية
فقولا لعمرو وابن أرطأ أبصرا　　سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية
فلا تحمدا إلّا لأستيكما　　هما لقد كانتا للنفس واللّه واقية
فلولاهما لم تنجيا من سنانه　　وتلك بما فيها عن العود ناهية

قال وخرج غلام بسر وكان إسمه لاحق قائلاً :

أرديت بسراً والغلام ثائرة　　وكل أب من عليه قادرة

فطعنه الأشتر وهو يقول :

في كل يوم رجل شيخ بادره　　وعورة وسط العجاج ظاهرة
أبرزها طعنة كف فاترة　　عمرو وبسر ذهبا بالقاهرة

ولما رأى معاوية كثرة براز أمير المؤمنين ﷺ أخذ في الخديعة ، فكتب عمرو إلى ابن عباس وعروة فمما كتبه قوله :

طال البلاء فلا ندري له أسىٰ　　بعد الإلٰه سوى رفق ابن عباس

فكان جواب ابن عباس :

يا عمرو حسبك من غدر ووسواس　　فاذهب فمالك في ترك الهدى آسي
إلا بوادر طعن في نحوركم　　تشجي النفوس له في النقع إفلاس
إن عادت الحرب عدنا فالتمس هرباً　　في الأرض أوسلماً في الأفق يا قاسي

ثم كتب معاوية إليه يذكر إنما بقي من قريش ستة أنا وعمرو وبالشام وسعد وإبن عمر بالحجاز ،وعلي وأنت بالعراق ، على خطب

عظيم ولو بويع لك بعد عثمان لأسرعنا فيه فأجابه ابن عباس :

دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة وليس لهـا حتى تمـوت بخـادع

وكتب إلى علي أما بعد فإنا لـو علمنا أن الحـرب تبلغ بنا وبـك ما بلغت لم يجنهـا بعضنا إلى بعض ، وإن كنـا قد غلبنـا على عقولنـا فقـد بقي لنا ما ترم به مـا مضى ونصلح به مـا بقى ، وقد كنت سـألتك الشـام على أن لا يلزمني لـك طاعـة ولا بيعة فـأتيت علي وأنا أدعـوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنك لا تـرجو من البقـاء إلّا ما أرجـو ولا تخاف من الفنـاء إلّا ما أخـاف وقـد والله رقت الأجسـاد وذهبت الـرجـال ونحن بنـو عبـد مناف ليس لبعضنـا فضل على بعض يستـذل به عـزيـز ويستـرق بـه حر :

فأجابـه ﵇أما قـولك أن الحـرب قد أكلت العـرب إلّا حشاشـات أنفـس بقيت ، ألا ومن أكله الحق فـإلى النار وأمـا طلبتك الشـام فإني لم أكن لأعطيك اليـوم ما منعتـك أمس ، وأما إستوائنـا في الخـوف والرضـا فلست أمضي على الشك مني على اليقين وليس أهل الشـام على الدنيـا بـأحرص من أهـل العـراق على الآخـرة ، وأما قولك نحن بنو عبد مُناف فكـذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حـرب كعبد المـطلب ولا أبو سفيـان كـأبي طـالب ولا الـطليق كـالمهـاجـر ولا الصـريـح كـاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كـالمدغـل وفي أيدينـا فضل النبـوة الذي أذللنـا بها العـزيز ونعشنـا بها الـذليل ، وفـوض معاويـة لإبن الخديـج الكنـدي أن يكاتب الأشعث والنعمان بن بشير أن يكاتب قيس بن سعـد في الصلح ، ثم أنفـذ عمـرو وعتبـة وحبيب بن مسلمـة والضحـاك بن قيس إلى أميـر المؤمنين ﵇، فلما كلموه قـال أدعوكم إلى كتـاب الله وسنة نبيـه ، فإن تجيبـوا إلى ذلك فللرشـد أصبتم وإن تأبـوا لم تزدادوا من الله إلّا بعـداً .
فقـالوا : قـد رأينـا أن تنصـرف عنـا فنخلي بينكم وبين عـراقكم وتخلون بيننـا وبين شـامنـا فقـال ﵇: لم أجـد إلّا القتـال أو تتبعـون السنـة والكتـاب . قال : فـانصرفـوا ، ثم برز الأشتـر وقال : سـووا صفـوفكم

ونادى أمير المؤمنين قاتلوا أئمة الكفر فإنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ألا إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر من خير عواقب الأمور ألا إنها أحن بدرية ، وضغائن أحدية ، وأحقاد جاهلية ، ثم تقدم ﷺ وهو يرتجز ويقول :

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا وأصبحوا في حربكم وبيتوا
كيما تنالوا الدين أو تموتوا أو لا فإني طالما عصيت
قد قلتم لو جئتنا فجيت

فحمل في سبعة عشر ألف رجل فكسروا الصفوف فقال معاوية لعمرو : اليوم صبر وغداً فخر ، فقال عمرو : صدقت يا معاوية ولكن الموت حق والحياة باطل ولو حمل علي في أصحابه حملة أخرىٰ فهو البوار ، فقال أمير المؤمنين لأصحابه : فما إنتظاركم إن كنتم تريدون الجنة فبرز الهيثم بن التيهان قائلاً :

أحمد ربي فهو الحميد ذاك الذي يفعل ما يريد
دين قيوم وهو الرشيد

فقاتل حتى قتل وبرز خزيمة بن ثابت قائلاً :

كم ذا يرجى أن يعيش الماكث والناس موروث وفيهم وارث
هذا علي من عصاه ناكث

فقاتل حتى قتل وبرز عدي بن حاتم وهو يقول :

أبعد عمار وبعد هاشم وابن بديل صاحب الملاحم
ترجو البقا من بعد يابن حاتم

فقاتل حتى فقئت عينه وبرز الأشتر مرتجزاً :

سيروا إلى الله ولا تعرجوا دين قويم وسبيل منهج

وقتل جندب بن زهير فلم يزالوا يقاتلون حتى دخلت وقعة

الخميس وهي ليلة الهرير وكان أصحاب أمير المؤمنين ﷺ يضربون الطبول من أربع جوانب عسكر معاوية ويقولون على المنصور وهو ﷺ يرفع رأسه إلى السماء ساعة بعد ساعة ويقول : اللّهمَّ إليك نقلت الأقدام ، وإليك أفضت القلوب ورفعت الأيدي ومدت الأعناق وطلبت الحوائج وشخصت الأبصار ، اللّهمَّ إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وينشد ﷺ :

الليل داج والكباش تنتطح	نطاح أسد ما أراها تصطلح
عنها قيام وفريق منبطح	فمن نجى برأسه فقد ربح

وكان ﷺ يحمل عليهم مرّة بعد مرّة ، ويدخل في غمارهم ويقول : الله الله في الحرم والذرية ، فكانوا يقاتلون أصحابهم بالجهد ، فلما أصبح كان قتلىٰ عسكره أربعة آلاف رجل ، وقتلىٰ عسكر معاوية اثنين وثلاثين ألف رجل ، وقتل أمير المؤمنين بانفراده في هذه الليلة خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً ، وكان كلما قتل فارساً أعلن بالتكبير فأحصيت تكبيراته في تلك الليلة فكانت خمسمائة وثلاثة وعشرين تكبيرة بخمسمائة وثلاثة وعشرين فارساً ، وعرفوا قتلاه نهاراً بضرباته فإنها كانت على وتيرة واحدة ، إن ضرب طولاً قدّ ، وإن ضرب عرضاً قطّ .

قال جابر بن نمير والله لكأني أسمع علياً يوم الهرير وذلك بعدما طحنت رحىٰ مدحج فيما بينها وبين عك ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منها النواصي حتى إستقلت الشمس قام قائم الظهر وعلي يقول لأصحابه : حتى متى يخلي بين هذين الحيين ؟ قد فنينا وأنتم وقوف تنظرون ؟ أما تخافون مقت الله ؟ ثم إستقبل القبلة ونادى : يا الله يا الله يا رحمٰن يا رحيم يا واحد يا أحد يا صمد يا الله يا إله محمد اللّهمَّ إليك نقلت الأقدام ورفعت الأيدي ومدت الأعناق وشخصت الأبصار وطلبت الحوائج ، اللّهمَّ إنا نشكوا إليك غيبة ولينا وكثرة عدونا وتشتيت أهوائنا ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير

الفاتحين ، سيروا على بركة الله ، ثم نادى : لا إله إلاّ الله والله أكبر كلمة التقوى ، قال : فلا والذي بعث محمداً بالحق نبينا ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السمٰوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب أنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج وسيفه منحن ويقول : معذرة إلى الله تعالىٰ وإليكم من هذه لقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله يقول : لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىٰ إلاّ علي ، وأنا أقاتل به دونه ﷺ قال فكنا نأخذه فنقومه ، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصفوف فلا والله ما لبث بأشد نكاية منه في عدوه .

قال فصاح أصحاب معاوية والله لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا ، وصاح أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والله لا نبرح اليوم العرصة حتى نموت أو يفتح لنا ، فبادروا القتال رمياً بالنبل حتى فنيت النبال وتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ، ثم نزل القوم عن خيولهم ومشىٰ بعضهم لبعض بالسيوف حتى كسرت جفوتها وقام الفرسان بالركب ، ثم إضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد ، فلم يسمع السامعون إلاّ تغمغم القوم وصليل الحديد في الهام قال : وصاح عمرو بن العاص بعبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد : إقحم يابن سيف الله فتقدم عبد الرّحمٰن بلوائه وتقدم أصحابه فتقدم علي وصاح بالأشتر أنه قد بلغ لواء معاوية حيث ترى فدونك القوم فأخذ الأشتر لواء على فضارب القوم حتى ردهم فاشتد القتال جداً فدعا علي ببغلة رسول الله فركبها ، ثم تعصب بعمامة رسول الله ونادى : أيها الناس من يشري نفسه لله إن هذا يوم له ما بعده غد فانتدب مع إثنا عشر ألف فتقدمهم وحمل على القوم فحمل كلهم حملة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلاّ أزالوه حتى أفضوا إلىٰ معاوية فدعى معاوية بفرسه ليفر قال وكان معاوية يحدث بعد ذلك ويقول : لما وضعت رجلي في الركاب ذكرت قوله مكانك تحمدي أو تستريحي ، قال: فقال معاوية لإبن العاص : إعمل تدبيراً

وإلاَّ أخذنا، فقال عمرو نرفع المصاحف وندعوهم إليها ، فقال : أصبت فرفعوها وكان عدتها خمسمائة مصحفاً وصاحوا الله الله في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، فقال : اللَّهمَّ إنك تعلم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم واختلف أصحابه ، فقال بعضهم : القتال القتال ، وقال بعضهم : المحاكمة بالكتاب ، قال : فأتىٰ مسعر بن فدكي ، وزيد بن حصين الطائي ، والأشعث بن قيس الكندي إلى أمير المؤمنين وقالوا : أجب القوم إلى كتاب الله ؟ فقال : ويحكم والله إنهم ما رفعوا المصاحف إلاَّ مكيدة وخديعة حين علوتموهم ، قال : فأقبل إليه عشرون ألف رجل يقولون يا علي أجب إلى كتاب الله وإلاَّ قتلناك أو بعثنا بك إلى القوم ! فقال عليه السلام : إحفظوا مقالتي فإني آمركم بالقتال فإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر ليأتينك فبعث إليه يزيد بن هانيء السبيعي يدعوه فقال الأشتر : إني قد رجوت أن يفتح الله فلا تعجلن وشدد في القتال ، فقالوا : حرّضه بالحرب فابعث إليه بعزيمتك ليأتينك وإلاَّ والله اعتزلناك أو قتلناك ، فقال عليه السلام : يا يزيد عد إليه فقل له أقبل إلينا فإن الفتنة قد وقعت ، فأقبل الأشتر يقول : يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن ، أحين علوتم القوم وعلموا أنكم لهم قاهرون رفعوا لكم المصاحف خديعة ومكر ، فقالوا : قاتلناهم في الله ، فقال : ويحكم أمهلوني عدوة فرسي ، قالوا : إنا لسنا نطيعك ولا صاحبك ، قال : فسبهم وسبوه وضرب وجوه دوابهم فلم يرجعوا ، ووضعت الحرب أوزارها ، فبعث أمير المؤمنين إلى معاوية لماذا رفعتم المصاحف قالوا للدعاء إلى العمل بمضمونها وأن نقيم حكماً وتقيموا حكماً ينظران في هذا الأمر ويقران الحق مقره ، قال : فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام تعجباً ، وقال : يابن أبي سفيان أنت تدعوني إلى العمل بكتاب الله وأنا كتاب الله الناطق إن هذا لهو العجب العجيب والأمر الغريب ، ثم قال : إنها خديعة فعلها إبن العاص لمعاوية ، فلم

يسمعوا وألزموه بالتحكيم بعد الإزدحام عليه وتهديده بالقتل .

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : لما أراد الناس علياً عليه السلام أن يضع الحكمين قال : أن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنه لا يصلح للقرشي إلاّ مثله ، فعليكم بعبد الله بن العباس فارموه به فإن عمرواً لا يعقد عقدة إلاّ حلها عبد الله ولا يحل عقدة إلاّ عقدها ولا يبرم أمراً إلاّ نقضه ولا ينقض أمراً إلاّ أبرمه ، فقال الأشعث : لا والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة ولكن إجعل رجلاً من أهل اليمن إذا جعلوا من مضر والله لأن يحكما ببعض ما تكره وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا أن يكونا مضريين ولا يكن ذلك الرجل غير أبي موسىٰ الأشعري .

أقول : ومن هنا نقتصر على حديث نصر بن مزاحم لكونه أجمع من غيره .

قال نصر : بعد أن ذكر عدم قبول أمير المؤمنين لأبي موسىٰ وإصرارهم فقال علي : قد أبيتم إلاّ أبا موسىٰ ؟ قالوا : نعم ! قال : فاصنعوا ما شئتم فبعثوا إلى أبي موسىٰ وهو بأرض من أراضي الشام قد أعتزل القتال فجاء حتى دخل عسكر علي عليه السلام فأتى الأشتر وقال لأمير المؤمنين عليه السلام : الزني عمرو بن العاص فوالذي لا إله غيره لئن ملئت عيني منه لأقتلنه وجاء الأحنف بن قيس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أني قد رميت بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام وإني قد عجنت هذا الرجل يعني أبا موسى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ويتباعد منهم من يكون بمنزلة الفحم منهم ، فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعلني وإن شئت أن تجعلني ثانياً وثالثاً فإن عمرواً لا يعقد عقدة إلاّ حللتها ولا يحل عقدة إلاّ عقدت لك عقدة أشد منها ، فعرض أمير المؤمنين ذلك على الناس فقالوا : لا يكون إلاّ أبا موسىٰ .

قال نصر : فلما رضي أهل الشام بعمرو وأهل العراق بأبي موسىٰ أخذوا في سطر كتاب المواد به وكانت صورته : بسم الله الرّحمٰن الرّحيم هذا ما تقاضىٰ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان ، فقال معاوية : بئس الرجل أنا أن أقررت أنه أمير المؤمنين ، ثم قاتلته وقال عمرو : بل يكتب إسمه وإسم أبيه إنما هو أميركم وإما أمير نافلاً ، فلما أعيد الكتاب أمر بمحوه فقال الأحنف : لا تمح إسم أمير المؤمنين فإني أتخوف إن محوتها لا ترجع إليك أبداً فلا تمحها فقال علي عليه السلام : إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ما يصالح به محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك إني إذا لظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله ولكن أكتب محمد بن عبد الله ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي إني لرسول الله وأنا محمد بن عبد الله ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم فامحها واكتب ما أراد محوه ، أما أن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد .

قال نصر بن مزاحم : وقد روى أن عمرو بن العاص عاد بالكتاب إلى علي عليه السلام فطلب منه أن يمحو إسمه من امرة المؤمنين فقص عليه وعلى من خصه قصة الحديبية ، قال إن ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين واليوم أكتبه إلى أبنائهم ما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبهاً ومثلاً ، فقال عمرو : سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون ! فقال عليه السلام : يابن النابغة ومتى لم تكن من المشركين ومتى للكافرين ولياً وللمسلمين عدواً ؟ فقام عمرو وقال : والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم ، فقال عليه السلام : أما والله إني لأرجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك وجاءت عصابة وضعت سيوفها على عواتقها فقالوا : يا أمير المؤمنين مرنا بم شئت ، فقال لهم سهل بن حنيف : أيها الناس اتهموا رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا .

قال نصر بن مزاحم : وقد روى أبو إسحاق الشيباني قال : قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها على خاتم علي محمد رسول الله ، وعلى خاتم معاوية : محمد رسول الله .

وقيل لأمير المؤمنين حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام أتقرّ بأنهم مؤمنون مسلمون ؟ فقال : ما أقر لمعاوية ولا لأصحابه أنهم مؤمنون مسلمون ولكن يكتب معاوية لنفسه ما شاء ويقرّ ما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه ، فكتبوا هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضي معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين إننا ننزل عند حكم الله وكتابه ولا يجمع بيننا إلاّ إياه ، وإن كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيى القرآن ونميت ما أمات القرآن فإن وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعناه وإن لم يجداه أخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان : عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص ، وقد أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين أنهما أمينان على أنفسهما وأموالهما وأهلهما والأمة لهما أنصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين أن يعملوا بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وأن الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين ، إلى أن يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الأمة بالحق لا بالهوى وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه وإن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلاً لا يألوا الحق والعدل ، وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ويحمدون طريقته ، قال نصر هذه رواية محمد بن علي بن الحسين والشعبي .

وروى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات إلى أن قال : وشهد فيه من أصحاب علي عشرة ومن أصحاب معاوية عشرة ، وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين .

قال نصر : وحدثنا عمرو بن سعيد قالا حدثني أبو حباب عن عمار بن ربيعة قال : لما كتبت الصحيفة دعا بها الأشتر ليشهد في الشهود عليه فقال : لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادعة أو لست على بينة من أمري ويقين من ضلالة عدوي أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور ، فقال له الأشعث بن قيس : هلم فاشهد على نفسك وأقرر بما كتب في هذه الصحيفة فإنه لا رغبة لك عن الناس ، فقال الأشتر : بلىٰ والله إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة ، ولقد سفكت بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي بخير منهم ولا احرم دماً ، قال : فكأنما قصع على أنفه ، ثم قال الأشتر : ولكني دخلت فيما دخل به أمير المؤمنين وخرجت مما خرج منه فإنه عليه السلام لا يدخل إلاّ في الهدى والصواب .

قال : ولما تداعى الناس إلى المصاحف وكتبت صحيفة الصلح والتحكيم قال علي : إنما فعلت ما فعلت لما بدى فيكم من الخور والفشل عن الحرب فجاءت إليه همدان كأنها ركن حصين ، فيهم سعيد بن قيس وإبنه عبد الرحمان غلام له ذوابة ، فقال سعيد : أنا ذا وقومي لا نرد أمرك فقل ما شئت نعمله ، قال : نصر ثم ان الناس أقبلوا على قتلاهم فدفنوهم .

قال وروي أبو حباب الكلبي : أن عمرواً وأبا موسىٰ لما التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدم أبا موسىٰ في الكلام ويقول : إنك صحبت رسول الله قبلي وأنت أكبر مني سناً فتكلم أنت ثم أتكلم أنا فجعل ذلك سنة ومادة بينهما وإنما كان مكراً وخديعة واغتراراً له أن يقدمه فيبدأ بخلع علي عليه السلام ثم يرى رأيه .

قال : وأعطاه عمرو صدر المجلس وكان يتكلم قبله وأعطاه التقدم في الصلاة وفي الطعام لا يأكل حتى يأكل فإذا خاطبه فإنما يخاطبه بأجل الأسماء فيقول يا صاحب رسول الله حتى اطمأن إليه وظن أنه لا يغشه ، ولما اجتمعوا للحكومة ، قال عمرو: ما رأيك يا أبا موسىٰ ، قال : أرى أن نخلع هاذين الرجلين ونجعل الأمر سورىٰ بين المسلمين يختارون من شاءوا ، فقال عمرو : الرأي والله ما رأيت فأقبلا على الناس وهم مجتمعون فتكلم أبو موسىٰ فحمد الله واثنىٰ عليه ثم قال : أن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجوا أن يصلح الله به شأن هذه الأمة ، فقال عمرو : صدق . ثم قال له : تقدم يا أبا موسىٰ وتكلم ، فقام ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال : ويحك إني لأظنه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك يتكلم به ، ثم تكلم أنت بعده فإنه رجل غدار ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا أقمت به في الناس خالفك ، قال وكان أبو موسىٰ رجلاً مغفلاً فقال : إنا قد اتفقنا فتقدم أبو موسىٰ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : أيها الناس أنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيء هو أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أن لا تبين أمورها ، وقد أجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية وأن يكون الأمر شورىٰ بين المسلمين يولون أمورهم من أحبوا وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحىٰ .

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله واثنىٰ عليه ثم قال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا اخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي في الخلافة فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ، فقال له أبو موسىٰ : ما بالك لاوفقك الله قد غدرت وفجرت إنما مثلك كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فقال له عمرو : وإنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الظالمين ، قد قيل لأبي موسىٰ ما أضعفك عن عمرو ومكائده فقال :

ما أصنع وافقني على أمر ثم غدر ، فقال ابن عباس : لا ذنب لك يا أبا موسىٰ وإنما الذنب لمن قدمك وأقامك هذا المقام .

قال وحمل شريح بن هانىء على عمرو فقنعه بالسوط وحمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهما .

قال : وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي أن لا أكون ضربت عمرواً بالسيف بدل السوط والتمسوا أبا موسىٰ فركب ناقته ولحق بمكة هارباً ، وكان ابن عباس يقول : قبح الله أبا موسىٰ لقد حذرته وهديته فما عقل ، وكان أبو موسىٰ يقول حذرني ابن عباس غدرة الفاسق عمرو ولكني أطمأننت إليه وظننت أن هذا الفاسق لا يؤثر شيئاً على نصيحة الأمة وكان أبو موسىٰ منحرفاً عن علي عليه السلام .

حرب النهروان

لما عاد أمير المؤمنين عليه السلام من صفين إلى الكوفة بعد الذي جرى من أمر الحكمين أقام ينتظر إنقضاء المدة التي كانت بينه وبين معاوية ليرجع إلى المقاتلة والمحاربة إذا انعزل طائفة من أهل العراق وهم القراء وأصحابهم وكان عدتهم أربعة آلاف نفر وخرجوا من الكوفة وخالفوا أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا : لا حكم إلاَّ لله ولا طاعة لمن عصىٰ الله وانحاز إليهم ما ينيف على ثمانية آلاف رجل ممن يرىٰ رأيهم فساروا في اثني عشر ألفاً حتى نزلوا بحر وراء وأمروا عليهم عبد الله بن الكوى وكتب إليهم أمير المؤمنين من عبد الله أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب وعبد الله بن الكوى ومن معهم الناس ، أما بعد فإن هذين الرجلين الذين ارتضيا حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا أهوائهما بغير هدى من الله ولم يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكماً ، فإذا وصلكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا فإنا سائرون إلى قتال عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الذي كنا عليه .

فكتبوا في الجواب أما بعد فإنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلاَّ فقدنا بذلك على سواء والله لا يحب الخائنين ، فلما قرأ

كتابهم ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى الشام إذ بلغه أن الخوارج خرجوا على الناس وأنهم قتلوا عبد الله بن خباب صاحب النبي ﷺ وبقروا بطن إمرأته وهي حامل وقتلوا ثلاث نسوة من طي وقتلوا أم سنان الصيداوية ، فلما بلغه عليه السلام ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتينهم وينظر صحة الخبر فيما بلغه عنهم ، فلما دنا منهم قتلوه ، وأتىٰ أمير المؤمنين عليه السلام الخبر وهو في معسكره فقام إليه الناس وقالوا : يا أمير المؤمنين على من ندع هؤلاء القوم ورائنا يخلفونا في أموالنا وعيالنا سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى معاوية واتباعه وقام الأشعث بن قيس وتكلم مثل كلامهم فاجمع عليه السلام على المسير إليهم ، فجاءه منجم يُقال له مسافر بن عدي فقال : يا أمير المؤمنين إذا أردت المسير إلى هؤلاء القوم فسر إليهم في الساعة الفلانية فإنك إن سرت في غيرها لقيت أنت وأصحابك ضرراً شديداً وذلك لانتحاس طوالع النجوم ، فلم يلتفت إليه أمير المؤمنين وسار عليه السلام ، فلما قرب منهم دنىٰ بحيث أنه يراهم ويرونه فنزل وأرسل إليهم أن إدفعوا إلينا قتلة إخواننا نقتلهم بهم ، وأتركّكم وأكف عنكم حتى ألقي أهل الشام فلعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أموركم ، فقالوا : كلنا قتلناهم وكلنا مستحلون لدمائكم ودمائهم ، فخرج قيس بن سعد بن عبادة فقال لهم : عباد الله أخرجوا لنا قتلة إخواننا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم عنه وعودوا إلى قتال عدونا وعدوكم فإنكم قد ركبتم عظيماً من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين ؟ فقال عبد الله بن بحرة السلمين : إن الحق قدْ أضاء لنا فلسنا نبايعكم .

ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج إليهم بنفسه وقال لهم : أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء وللجاج أن أنفسكم الأمارة سولت لكم فراقي لهذه الحكومة التي أنتم أبدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره وانبأتكم أن القوم إنما فعلوه مكيدة فأبيتم إلى آباء المخالفين ، عاندتم

على عناد العاصين حتى صرفت رأيي إلى رأيكم وإني معاشرهم والله صغار الهام سفهاء الأحلام ، فاجمع رأي رؤسائكم أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن ولا يتعديانه فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه فبينوا لنا بما تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا ثم تتعرضون الناس تضربون أعناقهم إن هذا لهو الخسران المبين ، فنادوا أن لا تخلطوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقتال الرواح الرواح إلى الجنة فرجع عليه السلام عنهم إلى أصحابه ثم عبأ لهم للقتال فجعل على ميمنته حجر بن عبدي وعلى ميسرته معقل بن قيس وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري وفي مقدمتهم قيس بن سعد بن عبادة ، وعبأت الخوارج لعنهم الله أصحابهم فجعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس الطائي وعلى ميسرتهم شريح بن أوفى العبسي وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي .

وأعطى أمير المؤمنين لأبي أيوب الأنصاري راية أمان فناداهم أبو أيوب من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ممن لم يكن قتل ولا تعرض لأحد من المسلمين بسوء ومن انصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا في سفك دمائكم ، فانصرف عروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس وخرج طائفة أخرى منصرفين إلى الكوفة وطائفة أخرى إلى المدائن وتفرق أكثرهم بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً فلم يبق منهم غير أربعة آلاف فزحفوا إلى أمير المؤمنين وأصحابه فقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدؤكم فنادوا الرواح إلى الجنة فحملوا على الناس فتفرق خيل أمير المؤمنين عليه السلام فرقتين حتى ساوروا بينهم عطفوا عليهم من الميمنة والميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطفت عليهم الرجال بالسيوف والرماح ، فما كان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم وكانوا أربعة آلاف فلم يفلت منهم إلاّ تسعة أنفس لا غير ، وغنم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام غنائم كثيرة وقتل من شيعة علي رجلان ولم

يسلم من الخوارج المقتولين غير التسعة وهذه كرامة عظيمة من أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال قبل ذلك نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة فكان كما قاله عليه السلام.

وقد روى جماعة أن علياً كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج لعنهم الله أن قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدع اليد سمعوا ذلك منه مراراً ، فلما خرج أهل النهروان وكان منه معهم ما كان ، فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدع فالتمسوه فقال بعضهم : ما نجده حتى قال بعضهم : ما هو فيهم ؟ وهو يقول : والله إنه لفيهم والله ما كذبت ولا كذّبت ، ثم إنه جاءه رجل فبشره فقال : يا أمير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج علي بنفسه في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والريان بن صبرة فوجدوه في خمرة على الشاطىء النهر في خمسين قتيلاً ، فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ، ثم تترك فتعود إلى منكبيه ، فلما رآه قال : الله أكبر ما كذبت ولا كذّبت لولا أن تتكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضىٰ الله على لسان نبيه لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه ، وقال عليه السلام: حين مر بهم وهم صرعىٰ بؤساً لكم لقد ضركم من غركم ، قالوا يا أمير المؤمنين : من غرهم ؟ قال : الشيطان وأنفس أمارة بالسوء غرتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنهم ظاهرون قيل وأخذ ما في عسكرهم من شيء فأما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين ، وأما المتاع والإماء والعبيد فإنه رده على أهله حين قدم الكوفة ، ويعجبني أن أختم هذا الفصل بهذه القصيدة الغراء للعلامة السيد حسين آل بحر العلوم قدس سره :

سل بالغوير فالغميم فالغضا — من غادر الصب المعنى غرضا
لم انقض العهد ولم اسل وإن — نسي العهود سالياً أو نقضا

كم من عذول لا مني فيه ولا ... أراه إلاّ حاسداً أو مبغضا
هيهات لا اصغىٰ للوم لائم ... أن صرح اللائم بي أو غرضا
وليس لي عمر الزمان في الورىٰ ... من غرض حسبي رضاه عرضا
فاحكم بما شئت علي لست في ... حكمك يا خير الورى معترضا
غدوت من فرط الصدود والجفا ... أكابد الوجد واشكو المرضا
ولم يزل بعدك طرفي ساهراً ... فما وعينيك غفا أو غمضا
وطال ما اقترضت دمعي مغرماً ... فهل ترى اليوم فتىً لي مقرضا
للّه أيام مضت بقربكم ... وصفو عيش بالغضا قد انقضا
فلست أرضىٰ أحداً من الورى ... عنكم ورب المأزمين عوضا
أهل قضىٰ الدهر علي بالنوىٰ ... والدهر لا يعدل كيفما قضى
أصبحت والمشيب يعلو لمتي ... شبه شهاب في دجىٰ الليل أضا
فراع قلبي المعنى وخطها ... بالبيض يحكي الحسام المنتضي
متيم انحله فرط الهوى ... فكاد لا يقوى على أن ينهضا
بالرغم قد صوح روض حسنه ... والروض يذوي بعدما أن روضا
شاب ولكن لم تشب آماله ... أبعد شيب المرء عيش يرتضي
يأمل بعد أربعين حجة ... هل يرجع العمر إذا العمر مضى
أما يرى به الهموم طنبت ... والشيب حل والشباب قوضا
أحسب فرط حبه خبله ... والحب إن صح لعمري أمرضا
عالج وداواي داء مزمن ... أعياك يا صاح بمدح المرتضىٰ
من كون الكون له ومن له ... فصل القضا حقاً بيوم الأنقضا
من فاق آفاق السما يرفعه ... لها سوى الباري تعالىٰ خفضا
من كان نفس المصطفىٰ فهل ترىٰ ... يحكي علاه جوهراً أو عرضا
من بات في مضجعه وقاً له ... فقام في عبء العلىٰ منتهضا
من مرد الصم العتاة سيفه ... سيف يباريه القضا إن ومضا
من باريء الخلق لفرض وده ... في محكم الذكر عياناً فرضا
من بغدير الخم في أمرته ... هادى البرايا للبرايا حرضا

بـلغ فيـه أن خـلاق الـورى ... نصب أخيه المرتضىٰ قد ارتضى
فعنـدهـا قـام على الخلف لـه ... رجس لكي يحظى بها محضضا
يـا أبعـد الله طغـامـاً تبعـوا ... من لأبي السبـطين بغيـا بغضـا
من أسس الشر وبالشـورىٰ لهم ... حكم إلـه العرش عمـداً انقضا
تـالله ما راقب سـاقي حـوضـه ... لولا الوصا تلك النساء الحيضا
أما ترى لما انقضي العهد نضا ... العضب الشبا من غمده واستنهضا
إن رفضـوا نهج الهـدى فقبلهم ... من عبـد العجل جهـاراً رفضـا
مـا شأن قـوم خذلـوا الحق أما ... لعنصـر البغي شـأن واقتضـا
كم زوروا الـزخرف في خـلافة ... تـالله مـا أمـر هنـالـك اقتضى
ولم يكن كسـلان عنهـا ليثهـا ... فـالليث مهمـا رام وثبـاً ربضـا
من كـان ماشيـاً على صـراطـه ... أضحىٰ غداً له الصراط مركضا
مـعـدن أسـرار الإلـٰـه كلهـا ... مهما قضىٰ يقتف حكمه القضا
سـر الوجـود حجة المعبـود من ... إليـه أمـر النشـأتين فـوضـا
كم كشف الكـرب بيـوم خيبـر ... مذ ضاق من مرحبها رحب الفضا
ويـوم أحزاب بـه خاض الـوغا ... وجسم عمـرو بـدمـاه خـوضـا
وسـاق نحو سـاق عمرو ضـربة ... لم يـر عمرو بعـد تلك منهضـا
فمنتضى عمـر الـزمـان سيفـه ... والسيف لا يرهب حتى ينتضى
جـدل كـل ضيغـم إذا سـطا ... بصـارم يجلوا لـديـاجي أبيضـا
مـا مسكت كف القضا مقبضـه ... إلاّ ولـلأرواح طـرا قـبـضـا
يمحي سطور الجيش في سطوته ... إن جـال في معتـرك معتـرضـا
أعمـل في صفوف صفين قمـاً ... عـامله المردي لهـا وخضخضا
ينقض كـالصقر عليها غيرهـا ... يصيـد صيـدهـا متى تقضضـا
فهل ترى ينبض من عـرق بهم ... ان فيـه عـرق الهـاشمي نبضـا
فليشكروا سؤاتهم كم عنهم ... بكشفها ذاك الهزبر أعرضا
مهـذب عنصـره الـزكي مـن ... عنصـر خير الخلق قـد تبعضـا
غضنفر إن صال في يوم الوغـا ... نكس أبـطال الـوغـا ورضضـا

يا محرزاً أسرار أعلام الورى بأسرها وللضلال مدحضا
وماضي العزم فما ماثله قط نبي من أولي العزم مضى
نور سامي ذكرك الأكوان ما أنار بدر في الدياجي أو أضا

وهذا التخميس النفيس للفاضل الأديب السيد جعفر الحلي (ره) على أبيات العلامة السيّد حسين القزويني في مدحه ﷺ:

براك المهيمن إذ لا سواه وبين باسمك معنى علاه
فكنت ترى الغيب لا باشتباه أبا حسن أنت عين الإله
علي الخلق والأذن الواعية
ترى الناس طراً وترعاهم واقصى الورى منك أدناهم
ومهما أسروا خفاياهم تراهم وتسمع نجواهم
فهل عنك تغرب من خافية
أقل معاجزك الخارقات حضورك للشخص حين الممات
فأنت المحيط بست الجهات وأنت مدير رحى الكائنات
وقطب لافلاكها الجارية
لك الناس تحشر يوم المآب مطأطأة الرؤوس خوف العذاب
فمنك الثواب ومنك العقاب فإن شئت تشفع يوم الحساب
وإن شئت تشفع بالناصية
بك العرش مهد للأستواء وباسمك قامت طباق السماء
فأنت المحكم يوم الجزاء وأنت الذي أمم الأنبياء
تؤمك في الأعصر الخالية
إذا بعث الله من في القبور ومن سفر الموت أضحىٰ حضور
فأنت الأمير بكل الأمور وكل الخلائق يوم النشور
لديك إذا حشرت جاثية
محبك يثقل ميزانه ويعلو بيوم الجزا شأنه
فهب فرضه بأن نقصانه فمن يك قد تم إيمانه
فبشراه في عيشة راضية

ينال الكرامة غب الأذى وعن ناضريه يماط القذى
فما بعد يشكو ظماً أو أذى بحوضك يسقى ومن بعد ذا
يساق إلى جنة عالية
أبا حسن بك أنجو هناك وأرجو رضا خالقي في رضاك
فلم يبق في الحشر إلاّ ولاك وأما الذين تولوا سواك
فما هم من الفرقة الناجية
سيأتي يزيد ومن تابعوه بجمع عن الحوض قد حلؤه
جفاء لحقك قد ضيعوه يجيئون للحشر سود الوجوه
يساقون دعا إلى الهاوية

فـصــل

في ذكر شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

نذكر خلاصة الروايات المختلفة المتفرقة .

لما انتهىٰ أمير المؤمنين من حرب الخوارج ودخل الكوفة كان بقية السيف من الخوارج يذكرون أخوانهم في النهروان ويتلهفون عليهم ، فروي أنه اجتمع بمكة نفر منهم فقالوا : إنا شرينا أنفسنا لله فلو أتينا أئمة الجور والضلال وطلبنا غرتهم فارحنا منهم البلاد والعباد ، فقال عبد الرّحمٰن بن ملجم المرادي : أنا أكفيكم علياً ، وقال الحجاج بن عبد الله السعدي الملقب بالبرك : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكير التميمي : أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، وتعدوا التاسع عشر من شهر رمضان ، ثم تفرقوا . أما صاحب معاوية فإنه قصد الشام ، فلما وقعت عينه عليه ضربه ووقعت الضربة على إليته وجاءه الطبيب فبشره بالشفاء وخيره بين أن يجعل حديدة محماة بالنار في الضربة أو يسقيه دواء وينقطع نسله فاختار الدواء وقال يكفيني يزيد من النسل فسقاه الدواء فبرأ وقال :

نجوت وقد بل المرادي سيفه   من ابن أبي شيخ الأباطح طالب

ولم يولد له بعد ذلك ، وكان قد حبس البرك فلما أتاه الخبر أن

أمير المؤمنين ﵇ قد قتل أطلقه ، وأما صاحب ابن العاص فإنه قتل خارجة بن أبي حنيفة العامري وهو يظن أنه عمرو وكان عمرو قد استخلفه لعلة كانت فيه ، فلما أتى عمرو بن العاص قتله ، وأما ابن ملجم المرادي فإنه دخل الكوفة فرأى رجلاً من تيم الرباب عند قطام التميمية وكان أمير المؤمنين ﵇ قتل أباها الأخضر وأخاها الأصبغ بالنهروان وكانت قطام من جميلات النساء ، فلما رآها شغف بها فخطبها فلما رأته شغفت به وطلبت منه أن يكون صداقها ثلاثة آلاف درهم وعبد ووصيفة وقتل علي بن أبي طالب ، فأجابها إلى ذلك ، فقالت له : ويحك من يقدر على قتل علي وهو فارس الفرسان ومغالب الأقران والسباق إلى الطعان ، فقال لها : ما جئت لهذا المصر إلاّ لقتله ، فبعثت إلى وردان بن مجالد التميمي وسألته معونته واستعان ابن ملجم بشبيب بن بجرة وقامت قطام وقبلت ابن ملجم في وجهه وقالت : ان هذا شرف الدنيا والآخرة وستعيش معي عيشة هنيئة واتفق ابن ملجم مع صاحبيه على أن يكمنوا لعلي في المسجد الأعظم ويفتكوا به في صلاة الفجر ، واعتكف قطام في المسجد وضربت عليه قبة وفي الليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان أتياها فدعت لهم بحريرة عصبوا به صدورهم وتقلّدوا سيوفهم وكمنوا في المسجد الأعظم .

أما كيفية شهادته ﵇ فعن أُم كلثوم قالت : كان أمير المؤمنين ﵇ يفطر في شهر رمضان ، يفطر فيه ليلة عند الحسن وليلة عن الحسين وليلة عندي ، ولما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدّمت إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش ، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره ، فلما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكا بكاءاً شديداً عالياً وقال : يا بنية ما ظننت أن بنتاً تسوء أباها كما أسأت أنت إليّ ، قلت وماذا يا أبة ؟ قال : يا بنية أتقدمين إلى أبيك إدامين في طبق واحد أتريدين أن يطول وقوفي غداً

بين يدي ربي عزّ وجل يوم القيامة أنا أريد أن اتبع أخي وابن عمي رسول الله ﷺ، ما قدم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله تعالىٰ إليه، يا بنية ما من رجل طاب مطعمه ومشربه ملبسه إلاّ طال وقوفه بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامة، يا بنية إن الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب، يا بنية قد أخبرني حبيبي رسول الله أن جبرائيل نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض وقال يا محمد ربك يقرأك السلام ويقول إن شئت سيرت معك جبال تهامة ذهباً وفضة، وهذه مفاتيح كنوز الأرض ولا ينقص من حظك يوم القيامة، قال: يا جبرائيل وما يكون بعد ذلك؟ قال: الموت، قال: إذن لا حاجة لي في الدنيا دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي وأسأله واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده، فقال له جبرائيل ﵇: وفقت لكل خير، ثم قال ﵇: يا بنية الدنيا دار غرور ودار هوان فمن قدم شيئاً وجده، يا بنية والله لا آكل شيئاً حتى ترفعي أحد الإدامين، فلما رفعته تقدم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش ثم حمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قام إلى مصلاه فلم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله سبحانه، وكان يكثر من الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء فيقول: هي هي والله هي، ثم يرجع إلى مصلاه وهو قلق يتململ، ثم يقرأ سورة يس حتى ختمها، فرقد هنيئة وانتبه مرعوباً وجعل يمسح وجهه بثوبه ونهض قائماً على قدميه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، ثم صلّى حتى مضىٰ بعض الليل، ثم جلس للتعقيب ثم نامت عيناه وهو جالس ثم انتبه من نومته مرعوباً.

قالت أم كلثوم: كأني به قد جمع أولاده وأهله وقال لهم: في هذا الشهر تفقدوني إني رأيت في هذه الليلة رؤياً أهالتني وأريد أن أقصها عليكم، قال: إني رأيت في هذه الساعة رسول الله ﷺ في منامي وهو يقول: يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب يجيء إليك

أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك وأنا والله مشتاق إليك ، فهلم إلينا فما عندنا خير وأبقىٰ ، فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ، قالت أم كلثوم ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول : والله ما كذبت ولا كذبت إنها الليلة التي وعدت بها ، ثم يعود إلى مصلاه ويقول : اللّهمَّ بارك لي في الموت ويكثر من قول إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم ويصلّي على النبي وآله واستغفر الله كثيراً.

قالت أم كلثوم : فلما رأيته في تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتي وقلت : يا أبتاه ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد ؟ قال : بنية إن أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوف وما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ، ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقلت : يا أبتاه ما لك تنعي نفسك منذ الليلة ؟ قال : يا بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل ، قالت أم كلثوم فبكيت ، فقال : يا بنيه لا تبكي فإني لم أقل ذلك إلاّ بما عهد إلي النبي .

ثم إنه نعس وطوى ساعة ، ثم إستيقظ من نومه وقال : يا بنية إذا قرب وقت الأذان فاعلميني ، ثم رجع عليه السلام إلى ما كان عليه أول الليل من الصّلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه ، قالت أم كلثوم : فجعلت أرقب وقت الأذان فلما لاح الوقت أتيته ومعي إناء فيه ماء ثم أيقظته فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ثم نزل إلى الدار وكان في الدار أوز قد أهدي إلى أخي الحسين ، فلما نزل خرجن وراءه وصحن في وجهه وكن قبل تلك الليلة لم يصحن فقال عليه السلام : لا إله إلاّ الله صوائح تتبعها نوائح ، وفي غداة غد يظهر القضاء ، فقلت له : يا أبة هكذا تتطير ؟ قال : يا بنية ما منا أهل البيت من يطير ولا يتطير به

ولكن قول جرى على لساني ، ثم قال : يا بنية بحقي عليك إلا ما أطلقتيه فقد حبست ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فاطعميه وأسقيه وإلاّ خلي سبيله يأكل من حشائش الأرض ، فلما وصل إلى الباب عالجه ليفتحه تعلق الباب بميزره فانحل ميزره حتى سقط فأخذه وشده وهو يقول :

أشدد حيازيمك للموت	فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت	إذا حل بناديكا
ولا تغتر بالدهر	وإن كان يواتيكا
كما أضحكك الدهر	كذاك الدهر يبكيكا

ثم قال عليه السلام : اللّهم بارك لي في الموت ، قالت أم كلثوم ؛ وكنت أمشي خلفه فلما سمعته يقول ذلك ؟ قلت : واغوثاه يا أبتاه أراك تنعي نفسك منذ الليلة ؟ قال : يا بنية ما هو بنعاء ولكن دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً فأمسكت عن الجواب ، ثم فتح الباب وخرج .

قالت أم كلثوم : فجئت إلى أخي الحسن فقلت : يا أخي قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهو قد خرج في هذه الليل الغلس فقام الحسن وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع ، فقال : يا أباه ما أخرجك في هذه الساعة وقد بقي من الليل ثلثه فقال : يا حبيبي وقرة عيني خرجت لرؤياً رأيتها في هذه الليلة أهالتني وازعجتني وأقلقتني ، فقال له : خيراً رأيت وخيراً يكون فقصها علي ، فقال : يا بني رأيت كأن جبرائيل عليه السلام قد نزل من السماء على جبل أبي قبيس فتناول منه حجرين ومضىٰ بهما إلى الكعبة وتركهما على ظهرها وضرب أحدهما على الآخرْ فصارت كالرميم ، ثم ذراهما في الريح فما بقي بمكة ولا بالمدينة بيت إلاّ ودخله من ذلك الرماد فقال له : يا أبة ما تأويلها ؟ فقال : يا بني إن صدقت رؤياي فإن أباك مقتول ولا يبقىٰ بمكة ولا

بالمدينة بيت إلاّ ويدخله من ذلك غم ومصيبة من أجلي ، فقال الحسن : وهل تدري متى يكون ذلك يا أبة ؟ قال عليه السلام : يا بني أن الله يقول : ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ ولكن عهد إلي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان ويقتلني ابن ملجم المرادي ، فقال الحسن عليه السلام : يا أبتاه إذا علمت ذلك منه فاقتله ، قال : يا بني لا يجوز القصاص إلاّ بعد الجناية والجناية لم تحصل منه ، يا بني لو اجتمع الانس والجن على أن يدفعوا ذلك لما قدروا ، يا بني إرجع إلى فراشك ، فقال الحسن عليه السلام : يا أبتاه أريد أن أمضي معك إلى موضع صلاتك ، فقال له : إذهب بحقي عليك ونم في فراشك لئلا ينتغص عليك نومك ، فرجع الحسن فوجد أخته أم كلثوم قائمة خلف الباب تنتظره فدخل فأخبرها بالخبر وجلسا يتحادثان وهما محزونان حتى غلب عليهما النعاس فقام كل منهما ودخل في فراشه ونام .

قال أبو مخنف وغيره : وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل المسجد والقناديل قد خمد ضوئها فصلّىٰ في المسجد ورده وعقب ساعة ، ثم أنه قام وصلّىٰ ركعتين ، ثم علا المأذنة ووضع سبابته في أذنيه وتنحنح ، ثم أذن وكان عليه السلام إذا تنحنح تضطرب الحيطان وإذا أذن لم يبق في بلدة الكوفة بيت إلاّ اخترقه صوته عليه السلام .

قال رواي الحديث وأما ابن ملجم لعنه الله فبات في تلك الليلة يفكر في نفسه ولا يدري ما يصنع فتارة يعاتب نفسه ويوبخها وتارة يخاف عقبىٰ فعله ويهم أن يرجع عن ذلك ، وتارة يذكر قطام لعنها الله وحسنها وجمالها وكثرة مالها فتميل نفسه إليها فبقي عامة ليله يتقلب في فراشه فأتته الملعونة قطام ونامت معه في فراشه ، وقالت له : يا هذا من يكون على هذا العزم لا يرقد ، فقال : والله إني أقتله الساعة ، فقالت : اقتله وارجع إليّ قرير العين مسروراً وافعل ما تريد فإني منتظرة لك ، قال : فوثب لعنه الله كأنه الفحل من الإبل وقال :

هلمي إلي بالسيف ، ثم أنه اتزر بمئزر واتشح بإزار وجعل السيف نحت الإزار مع بطنه وقال : افتحي لي الباب ففي هذه الساعة اقتله فقامت فرحة مسرورة وقبلت صدره وبقي يقبلها ويترشفها ، ثم راودها عن نفسها ، فقالت له : هذا علي أقبل إلى الجامع وأذّن فقم إليه فاقتله ، ثم عد إليّ فها أنا منتظرة رجوعك ، فخرج من الباب وهي خلفه تحرضه .

قال الراوي : فلما نزل الإمام عليه السلام من المأذنة جعل يسبح الله ويقدسه ويكثر من الصّلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنه يتفقد النائمين في المسجد ويقول للنائم : الصلاة يرحمك الله الصلاة قم إلى الصلاة المكتوبة عليك ، ثم يتلو إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ففعل ذلك كما كان يفعله على جاري عادته مع النائمين في المسجد حتى إذا بلغ إلى اللعين رآه نائماً على وجهه قال له : يا هذا قم من نومتك هذه فإنها نومة يمقتها الله وهي نومة الشياطين ونومة أهل النار بل نم على يمينك فإنها نومة العلماء أو على يسارك فإنها نومة الحكماء أو على ظهرك فإنها نومة الأنبياء قال فتحرك لعنه الله كأنه يريد أن يقوم وهو في مكانه لا يبرح فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لقد هممت بشيء تكاد السمٰوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك ، ثم تركه وعدل عنه إلى محرابه وقام قائماً يصلّي وكان عليه السلام يطيل الركوع والسجود في الصّلاة كعادته في الفرائض والنوافل حاضراً قلبه ، فلما أحس اللعين به نهض مسرعاً وأقبل يمشي حتى وقف بإزاء الاسطوانة التي كان الإمام عليه السلام يصلّي عليها فامهله حتى صلّىٰ الركعة الأولىٰ وركع للثانية وسجد السجدة الأولىٰ منها ورفع رأسه وسجد السجدة الثانية فعند ذلك أخذ وهزه ثم ضربه على رأسه الشريف فوقعت الضربة على الضربة التي ضربه عمرو بن عبد ود العامري ، ثم أخذت الضربة من مفرق رأسه إلى موضع السجود ، فلما أحس عليه السلام لم يتأوه وصبر فوقع على وجهه

قـائلاً : بسم الله وبـالله وعلى ملّة رسول الله هـذا ما وعـدنا الله ورسـولـه وصـدق الله ورسـولـه ، ثم صـاح وقـال : قتلني ابن ملجم قتلني ابن اليهودية فـزت ورب الكعبة أيهـا الناس لا يفـوتنكم إبن ملجم وسار السم في رأسـه وبدنـه وثـار جميـع من في المسجـد في طلب اللعين ومـاجـوا بالسلاح فمـا كنت أرىٰ إلاّ صفق الأيدي على الهـامات وعلوا الصـرخات وكان ابن ملجم ضربه ضربـة خائفـاً مرعـوباً ، ثم ولى هـارباً وخـرج من المسجـد وأحاط النـاس بأميـر المؤمنين وهو في محـرابـه يشـد الضـربـة ويـأخذ التـراب ويضعه عليهـا ثم تلا قـوله تعـالىٰ **﴿منها خلقنـاكم وفيهـا نعيـدكم ومنها نخـرجكم تارة أخـرىٰ﴾** ، ثم قال : جـاء أمر الله وصـدق رسول الله ولما ضـربه اللعين ارتجت الأرض ومـاجت البحار والسمٰـوات واصطفقت أبواب الجامع وهبت ريـح سوداء مـظلمة قـال وضربـه اللعين شبيب بن مرّة فأخطأه ووقعت الضربة في الطاق .

قال الراوي فلما سمع الناس الـضجـة ثـار إليـه كل من كـان في المسجـد وصاروا يـدورون ولا يـدرون أين يـذهبـون من شـدّة الصـدمـة والـدهشة ثم أحـاطوا بـأمير المؤمنين ﷺ وهـو يشد رأسـه بميـزره والـدم يجري على وجهه ولحيته وقد خضبت بدمائه وهو يقـول : هذا مـا وعدنـا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، قال الراوي فاصـطفقت أبواب الجـامع وضجت الملائكة في السماء بالدعاء وهبت ريـح عاصف سـوداء مظلمـة ونـادى جبـرائيـل بين السمـاء والأرض بصـوت يسمعـه كـل مستيقظ : تهـدمت والله أركان الهـدىٰ وانطمست والله نجـوم السمـاء وأعـلام التقىٰ وانفصمت والله العـروة الـوثقىٰ قتـل ابن عم المصـطفىٰ قتـل الـوصي المجتبىٰ قتل علي المرتضىٰ قتـل والله سيّد الأوصيـاء قتله أشقى الأشقياء ، قـال : فلما سمعت أم كلثـوم نعي جبرائيـل ﷺ لـطمت على وجههـا وشقت جيبهـا وصاحت وا أبتـاه واعليـاه وامحمـده وا سيّـداه ، ثم أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين فـأيقظتهمـا وقالت لهمـا : والله قتل أبـوكما فقـاما يبكيـان فقـال لهـا الحسن : يـا أختـاه كفي عن البكـاء حتى ننـظر

صحة الخبر كي لا تشمت الأعداء فخرج وإذا بالناس ينوحون وينادون وا إماماه وا أمير المؤمنيناه قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم كان أشبه الناس برسول الله ، فلما سمع الحسن والحسين صرخات الناس ناديا وا أبتاه وا علياه ليت الموت أعدمنا الحياة وألقيا العمائم من رؤوسهما ، فلما وصلا الجامع وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم مجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلّي بالناس ، فلم يطق النهوض وتأخر عن الصف وتقدم الحسن فصلّىٰ بالناس وأمير المؤمنين يصلّي إيماءاً من جلوس وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته الشريفة يميل تارة ويسكن أخرىٰ والحسن ينادي وا انقطاع ظهراه يعز والله علي أن أراك هكذا ففتح عينيه وقال : يا بني لا تجزع على أبيك هذا جدك محمد المصطفىٰ وجدتك خديجة الكبرىٰ وأمك فاطمة الزهراء والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك فطب نفساً وقر عيناً فكف عن البكاء فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء .

قال : ثم ان الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدروهن إلى الجامع ينظرون إلىٰ أمير المؤمنين فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره وقد غسل الدم عنه وشد الضربة وهي تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده وهو يقول : أسألك يا رب الرفيع الأعلىٰ وغشي عليه فصاح الحسن وا ابتاه وجعل يبكي بكاء عالياً ففتح عينيه فرأى الحسن ياكياً فقال : يا بني اتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدي مسموماً ومظلوماً ويقتل أخوك بالسيف وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما ، فقال له الحسن : يا أبه أما تعرفنا من قتلك ومن فعل بك هذا ؟ قال : قتلني ابن اليهودية عبد الرّحمان بن ملجم المرادي ، فقال : يا أبتاه من أي طريق مضىٰ ؟ فقال : لا يمضي أحد في طلبه فإنه سيطّلع عليكم من هذا الباب وأشار بيده الشريفة إلى باب كندة .

قال ولم يزل السم يسري في رأسه وبدنه ثم أغمي عليه ساعة والناس ينتظرون قدوم الملعون واشتغلوا بالنظر إلى باب كندة وقد غص بهم الجامع وهم ما بين باك وباكية ، فما كان إلا ساعة وإذا بالصيحة قد ارتفعت وزمرة من الناس قد جاؤوا بعد والله ابن ملجم مكتوفاً هذا يلعنه وهذا يضربه وهذا يبصق في وجهه ، قال: فوقع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه وأقبلوا به لعنه الله وهم ينهشون لحمه بأسنانهم ويقولون له يا عدو الله ماذا صنعت أهلكت أمة محمد ﷺ وقتلت خير الناس وإنه لصامت وبين يديه رجل يُقال له حذيفة النخعي بيده سيف مشهور يرد الناس عن قتله وهو يقول : هذا قاتل الإمام أمير المؤمنين علي حتى أدخلوه المسجد وأوقفوه بين يدي الإمام ؑ، فلما نظر إليه الحسن قال له : ويلك يا عدو الله أنت قاتل أمير المؤمنين ومثكلنا أمام المسلمين هذا جزاؤه منك حيث آواك وقرّبك وأدناك هل كان بئس الإمام لك حتى جازيته هذا الجزاء يا شقي الأشقياء ، فقال له اللعين : يا أبا محمد أفأنت تنقذ من في النار ، فعند ذلك ضجت الناس بالبكاء والنحيب فأمرهم الحسن بالسكوت ، ثم إلتفت إلى حذيفة النخعي الذي جاء بعد والله فقال له : كيف ظفرت به وأين لقيته ؟ قال : يا مولاي إن حديثي معه لعجيب وذلك أني كنت البارحة نائماً في داري وزوجتي إلى جانبي وأنا راقد وهي مستيقظة إذ سمعت هي الزعقة وناعياً ينعي أمير المؤمنين وهي تقول : تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله أعلام التقىٰ قتل ابن عم المصطفىٰ قتله أشقىٰ الأشقياء فأيقظتني وقالت لي : أنت نائم وقد قتل إمامك علي بن أبي طالب ، فانتبهت من كلامها فزعاً مرعوباً وقلت لها : يا ويلك ما هذا الكلام فض الله فاك لعل الشيطان ألقىٰ في سمعك هذا أو حلم ألقي عليك ، أن أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله قبله تبعة ولا ظلامة وإنه لليتيم كالأب الرؤوف وللأرملة كالزوج العطوف ، وبعد ذلك فمن الذي يقدر على قتل علي أمير المؤمنين وهو الأسد الضرغام والبطل

الهمام والفارس القمقام ، فبينما أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وقائل يقول :

قتل أمير المؤمنين ، فنهضت من مكاني ومددت يدي إلى سيفي وسللته من غدمه وأخذته ونزلت مسرعاً وفتحت باب داري وخرجت ، فلما صرت في وسط الجادة نظرت يميناً وشمالاً وإذا بعد والله يجول فيها يطلب مهرباً ، فلم يجد وقد إنسدت الطرقات في وجهه ، فلما نظرته كذلك رابني أمره وناديته ويلك من أنت وما تريد في وسط هذا الرب تروح وتجيء ؟ فتسمى بغير إسمه وانتمى إلى غير كنيته فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من منزلي ، قلت : وإلى أين تريد في هذا الوقت ؟ قال : إلى الحيرة ، فقلت : ولم لا تقعد حتى تصلّي مع أمير المؤمنين صلاة الغداة وتمشي في حاجتك ؟ قال : أخشى أن أقعد للصلاة فتفوت حاجتي ، قلت : يا ويلك إني سمعت صيحة وقائلاً يقول قتل أمير المؤمنين فهل عندك من ذلك خبر ؟ قال : لا علم لي بذلك ، قلت : ولم لا تمضي معي نحقق الخبر ؟ فقال : أنا ماضٍ في حاجتي وهي أهم من ذلك ، فقلت : لا أم لك حاجتك أحب إليك من التجسس لأمير المؤمنين وإمام المسلمين إذاً والله يا لكع الرجال مالك عند الله من خلاق وحملت عليه بسيفي وهممت أن أعلوه فراغ عني ، فبينما أنا أخاطبه وهو يخاطبني أذهبت ريح فكشف إزاره وإذا بسيف يلمع تحت الإزار كأنه مرآة مصقولة ، فلما رأيت بريقه قلت : ويلك ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين ؟ فأراد أن يقول لا فانطق الله لسانه فقال : نعم ، فرفعت سيفي فرفع هو سيفه وهم أن يعلوني فضربته ضربة على ساقيه فأوقعته ووقع لحينه ووقعت عليه وصرخت صرخة شديدة وأردت أخذ سيفه فمانعني عنه فخرج أهل الجادة فاعانوني عليه حتى أوثقته كتافاً وجئتك به فها بين يديك جعلني الله فداك فاصنع به ما شئت .

فقال الحسن : الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه ، ثم

أنكب الحسن عليه السلام على أبيه يقبله وقال له : يا أبتاه هذا عدو الله وعدوك قد أمكن الله منه ، فلم يجبه وكان نائماً فكره أن يوقظه ، ففتح عينيه وهو يقول : أرفقوا بي يا ملائكة ربي ، فقال الحسن عليه السلام : هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكن الله منه وقد حضر بين يديك ، قال : ففتح أمير المؤمنين عينيه ونظر إليه وهو مكتوف وسيفه في عنقه فقال له بضعف وانكسار صوت رأفة ورحمة : يا هذا لقد ارتكبت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء ؟ ألم أكن شفيقاً عليك وآثرتك على غيرك وأحسنت إليك وزدت في عطائك ؟ ألم يكن لي فيك كذا وكذا وخليت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة ، ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالىٰ عليك يا لكع وعلى أن ترجع عن غيك ، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء ، قال : فدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله وقال : يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار ؟ قال : له صدقت ، ثم التفت إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له : إرفق يا ولدي بأسيرك وارحمه وأحسن إليه واشفق عليه ألا ترى إلى عينيه قد طارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً ، فقال له الحسن عليه السلام : يا أبتاه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وافجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به ؟ فقال له : نعم يا بني نحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ كرماً وعفواً ، الرحمة والشفقة من شيمتنا ، بحقي عليك أطعمه يا بني مما تأكل واسقه مما تشرب ولا تقيد له قدماً ولا تغل له يداً فإن أنا مت فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة وتحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ، وإن أنا عشت فأنا أولىٰ به بالعفو عنه فنحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ عفواً وكرماً .

قال محمد بن الحنفية : ثم أن أبي قال : أحملوني إلى موضع

مصلاتي في منزلي ، قال فحملناه إليه وهو مدنف والناس حوله وهم في أمر عظيم وقد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب ، ثم إلتفت إليه الحسين عليه السلام وهو يبكي فقال له : يا أبتاه من لنا بعدك لا كيومك إلاّ يوم رسول الله صلى الله عليه وآله يعز والله علي أن أراك هكذا ، فناداه وقال : يا حسين يا أبا عبد الله أدن مني فدنا منه وقد قرحت أجفان عينيه من البكاء فمسح الدموع من عينيه ووضع يده على قلبه وقال له : يا بني ربط الله قلبك بالصبر وأجزل لك ولإخوتك عظيم الأجر فسكن روعتك وأهدأ من بكائك فإن الله قد آجرك على عظيم مصابك ، ثم أدخل إلى حجرته وجلس في محاربه ، قال واقبلت زينب وأم كلثوم حتى جلستا معه على فراشه وأقبلتا تندبانه وتقولان يا أبتاه من للصغير حتى يكبر ومن للكبير بين الملأ يا أبتاه حزننا عليك طويل وعبرتنا لا ترقى ، قال : فضج الناس بالبكاء من وراء الحجرة وفاضت دموع أمير المؤمنين عند ذلك وجعل يقلب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده .

قال وجاؤوا باللعين ابن ملجم مكتوفاً إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه فقالت له أم كلثوم وهي تبكي : يا ويلك أما أبي فارجو أن لا يكون عليه بأس وأن الله يخزيك في الدنيا والآخرة وأن مصيرك إلى النار خالداً فيها ، فقال لها اللعين : إبكي إن كنت باكية فوالله لقد إشتريت سيفي هذا بألف وسممته بألف ولو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد فصرخت أم كلثوم : ونادت واأبتاه واعلياه قال : ثم دعا أمير المؤمنين الحسن والحسين وجعل يحضنهما ويقبلهما ، ثم أغمي عليه ساعة طويلة وأفاق فناوله الحسن عليه السلام قعباً من لبن فشرب منه قليلاً ثم نحاه عن فيه وقال : أحملوه إلى أسيركم ، ثم قال للحسن عليه السلام : بحقي عليك يا بني إلاّ ما طبتم مطعمه ومشربه وارفقوا به إلى حين موتي وتطعمه مما تأكل وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه فعند ذلك حملوا إليه اللبن واخبروه بما قال أمير المؤمنين في حقه فأخذ اللبن وشربه .

قال الأصبغ بن نباتة : غدونا على أمير المؤمنين أنا والحرث بن سويد بن غفلة وجماعة فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء فبكينا فخرج إلينا الحسن بن علي عليه السلام فقال : يقول لكم أمير المؤمنين انصرفوا إلى منازلكم فانصرف القوم غيري واشتد البكاء في منزله فبكيت وخرج الحسن عليه السلام فقال : ألم أقل لكم انصرفوا ، فقلت : لا والله يابن رسول الله ما تتابعني نفسي ولا تحملني رجلاي أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين ،قال : فدخل ولم يلبث أن خرج ، فقال لي : أدخل فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمه وأصفر وجهه ما أدري وجهه أصفر أم العمامة فاكببت عليه فقبلته وبكيت فقال لي : لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة ، فقلت له جعلت فداك إني أعلم والله إنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفقدتي إيّاك يا أمير المؤمنين .

وعن أبي حمزة الثمالي عن حبيب بن عمرو قال : دخلت على سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن عممه ابن ملجم المرادي بسيفه وعنده الأشراف من القبائل وشرطة الخميس وما منهم أحد إلاّ وماء عينيه يترقرق على سوادها حزناً لأمير المؤمنين عليه السلام ورأيت الحسن والحسين ومن معهما من الهاشميين وما تنفس منهم أحد إلاّ وظننت أن شظايا قلبه تخرج مع نفسه وقد أرسلوا خلف أثير بن عمر والجراح وكان يعالج الجراحات الصعبة فلما أحضر ونظر إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام أمر برية شاة حارة فاستخرج منها عرقاً وارسله في الجرح ، ثم استخرجه وقد تكلل من دماغ أمير المؤمنين عليه السلام وقد مال إلى الخضرة فقال الناس : يا أثير كيف جرح أمير المؤمنين فخرس أثير عن جوابهم وتلجلج ، فعند ذلك يئس الناس من أمير المؤمنين عليه السلام وقام لهم بكاء وعويل فاسكتهم الحسن لكي لا تهيج النساء ويضطرب أمير المؤمنين فسكتوا وصاروا ينشجون نشجاً خفياً إلاّ الأصبغ بن نباتة ، فإنه لم يملك نفسه دون أن شرق بعبرته وبكى بكاء عالياً فأفاق أمير المؤمنين

ﷺ من غشوته فقال : لا تبك يا أصبغ فإنها والله الجنة فقال : نعم يا أمير المؤمنين وأنا أعلم والله أنك تصير إلى الجنة وإنما أبكي لفراقك يا سيدي .

قال حبيب بن عمرو : فما أحببت أن الأصبغ يتكلم بهذا الكلام مع أمير المؤمنين فأردت أن أرفع ما وقع في قلب أمير المؤمنين من كلام الأصبغ فقلت : لا بأس عليك يا أبا الحسن فإن هذا الجرح ليس بضائر وما هو بأعظم من ضربة عمرو بن عبد ود ، فإن البرد لا يزلزل الجبل الأصم ولفحة الهجير لا تجفف البحر الخضم والليث يضري إذا خدش والصل يقوي إذا ارتعش ، فنظر إليّ نظر رأفة ورحمة وقال : هيهات يا بن عمرو نفذ القضاء وأبرم القدرثم نظر في عيني إبنته قائلاً : ما يبكيك يا بنتاه ؟ فقالت له : يا أبه وكيف لا أبكي وأنت قمر الهاشميين وشمس الطالبيين ، عضبها اليماني إذا أكهمت الحروب سيوفها ، وَبدرها الشعشعاني إذا أسدلت الظلماء سجوفها عزنا إذا شاهت الوجوه ذلاً وجمعنا إذا الموكب الكثير قلا ، فقال لها : يا بنية لو رأيت مثل ما رأيت لما بكيت على أبيك ، فقال : وما رأيت يا أبة ؟ قال : رأيت رسول الله قد نزل في كتيبة من الملائكة من السماء ومعه جمع من الأنبياء علىٰ نجب من نجب الجنة قوائمها من العنبر ووفرها من الزعفران وأعناقها من الزبرجد الأخضر وأعينها من الياقوت الأحمر وازمتها من اللؤلؤ الرطب في قباب من نور يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وبأيديهم مجامر من نور تفوح منها رائحة العود وقد أحدقوا برسول الله ليزفوا روح أبيك إلى الجنة وكأني أنظر إليها يا بنية دار أرضها رضوان الله وسقفها عفو الله وجوها المنفرج رحمة الله ترابها المسك وحصاها من ألوان الجواهر ، فيها قصور من لؤلؤة بيضاء مجوفة من كافور أبيض وفيها أنهار من السلسبيل والعسل المصفىٰ ، فسكتت عند ذلك أُم كلثوم ودخلت عليه زينب فقالت : يا أبتاه حدثتني أُم أيمن بما يصدر علينا يوم كربلاء وأحببت أن أسمعه

منك يا أبة ، فبكىٰ أمير المؤمنين وقال : بنية الحديث ما حدثتك به أم أيمن وكأني بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد يعني الكوفة أذلاء صاغرين تخافون أن يتخطفكم الناس .

قال محمد بن الحنفية : بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السم إلى قدميه وكان يصلّي تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسه ويخبرنا بأمره وتبيانه إلى حين طلوع الفجر ، فلما أصبح استأذن الناس عليه فأذن لهم بالدخول فدخلوا وأقبلوا يسلمون عليه وهو يرد عليهم السلام ، ثم قال : أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم، قال فبكىٰ بكاء شديداً واشفقوا أن يسألوه تخفيفاً ، فقام إليه حجر بن عدي الطائي وقال :

فيا أسفي على المولىٰ التقي أبي الأطهار حيدرة الزكي
قتيلاً قد غدىٰ بحسام نغل لعين فاسق رجس شقي

فلما بصر به أمير المؤمنين وسمع شعره قال له : كيف بك يا حجر إذا دُعيت إلى البراءة مني فما عساك أن تقول ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً وأُضرم علي النار وأُلقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك ، فقال : وفقت لكل خير يا حجر جزاك الله خيراً عن أهل البيت ، ثم قال : هل من شربة من لبن فاتوه بلبن في قعب فأخذه عليه السلام وشربه فذكر الملعون ابن ملجم وأنه لم يخف له شيئاً ، فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً إعلموا إني شربت الجميع ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا إلاّ وإنه آخر رزقي من الدنيا فبالله عليك يا بني إلاّ ما سقيته مثل ما شربت فحمل إليه ذلك فشربه .

قال محمد بن الحنفية : لما كانت ليلة إحدى وعشرين واظلم الليل وهي الليلة الثانية من الكائنة جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم، ثم قال لهم : الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل وأوصاهم

الجميع منهم بلزوم الإيمان والأديان والأحكام التي أوصاه بها رسول الله فمن ذلك وما أوصىٰ به الحسن والحسين ﷺ أوصيكما بتقوىٰ الله وان لا تبغيا الدنيا وأن بغتكما لا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للآخرة وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً وأوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإني سمعت جدكما رسول الله ﷺ يقول : صلاح ذات البين أفضل من عامة الصّلاة والصيام الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فإنه وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن تركتم تناظروا والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل إياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي عليكم أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، ثم قال : يا بني عبد المطلب لالفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين لا يقتلن فيَّ إلاَّ قاتلي انظروا إذا أنامت من ضربته هذه فاضربوه ضربة ولا يمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

قال : ثم تزايد ولوج السم في جسده الشريف حتى نظرنا إلى قدميه وقد إحمرتا جميعاً فكبر ذلك علينا وآيسنا منه ، ثم أصبح ثقيلاً فدخل الناس عليه فأمرهم ونهاهم وأوصاهم ، ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبىٰ أن يأكل أو يشرب ، فنظرنا إلى شفتيه وهما تختلجان بذكر الله وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده قلت : يا أبتاه أراك تمسح جبينك ؟ فقال : يا بني إني سمعت رسول الله يقول إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أنينه ثم قال : يا أبا عبد الله ويا عون ، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم

صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد وجعل يودعهم ويقول الله خليفتي عليكم أستودعكم الله وهم يبكون فقال له ولده الحسن : ما دعاك إلى هذا ؟ فقال له : يا بني إني رأيت جدك رسول الله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة ، فقال لي : ادع عليهم ؟ فقلت : اللّهمّ أبدلهم بي شراً مني وأبلدلني بهم خيراً منهم ، فقال : قد استجاب الله دعاك سينقلك إلينا بعد ثلاث وقد مضت الثلاث يا أبا محمد أوصيك بأبي عبد الله خيراً فأنتما مني وأنا منكما ، ثم التفت إلى أولاده الذين هم من غير فاطمة وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعني الحسن والحسين ، ثم قال: أحسن الله لكم العزاء لا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد كما وعدني فإذا أنا مت فغسلني وكفني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه ، «ثم ضعني على سريري ولا يتقدم أحد منكم يحمل مقدم السرير واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه فأي موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر ، فحيث أقام سريري فهو موضع قبري ، ثم تقدم يا أبا محمد وصلّ علي يا بني يا حسن وكبر علي سبعاً واعلم أنه لا يحل ذلك لأحد غيري إلاّ على رجل يخرج في آخر الزمان إسمه القائم المهدي من ولد الحسين يقيم إعوجاج الحق فإذا أنت صليت علي يا حسن فنح السرير عن موضعه ، ثم اكشف التراب عنه فترىٰ قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقورة فاضجعني فيها فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدني فإنك لا تجدني وإني لاحق بجدك رسول الله ﷺ ، واعلم يا بني ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلاّ ويجمع الله عزّ وجلّ بين روحيهما وجسديهما ، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه ، ثم اشرج اللحد باللبن واهيل التراب علي ، ثم غيب قبري ، ثم يا بني بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظاهر الكوفة على ناقة وأمر بمن يسيرها كأنها

تريد المدينة بحيث يخفي على العامة موضع قبري الذي تضعني فيه وكأني بكم وقد خرجت عليكم الفتن من هيهنا وهيهنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة .

ثم قال : يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هيهنا وهيهنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة واصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

ثم قال : يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأُمة فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه ثم أُغمي عليه ساعة وأفاق وقال : هذا رسول الله وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله وكلهم يقول عجل قدومك علينا فإنا إليك مشتاقون ، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال : أستودعكم الله جميعاً الله خليفتي عليكم وكفى بالله خليفة .

ثم قال : وعليكم السلام يا رسل ربي .

ثم قال : لمثل هذا فليعمل العاملون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهد الشهادتين ، ثم إستقبل القبلة وغمض عينيه ومد رجليه وأسبل يديه وقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم قضى نحبه عليه السلام ، قال : وكانت وفاته ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان وكانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة ، قال : فعند ذلك صرخت زينب بنت علي وأُم كلثوم وجميع نساؤه وقد شقوا الجيوب ولطموا الخدود وارتفعت الصيحة في القصر فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين قد قبض فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً أفواجاً وصاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها وكثر البكاء والنحيب وكثر الضجيج بالكوفة وقبايلها ودورها وجميع أقطارها فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فلما أظلم الليل تغير أفق السماء وارتجت الأرض وجميع من

عليهـا بكوه وكنـا نسمع جلبـة وتسبيحـاً في الهـواء فعلمنـا أنهـا أصـوات الملائكة فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر .

قـال محمد بن الحنفيـة رضي الله عنه ، ثم أخـذنا في جهـازه ليلاً وكان الحسن يغسله والحسين يصب الماء عليـه وكان جسـده الشريف لا يحتاج إلى من يقلبه بل كان يتقلب كما يريد الغاسـل يميناً وشمـالاً وكانت رائحتـه أطيب من رائحـة المسـك والعنبـر ، ثم نـادى الحسن أم كلثـوم وقـال : يـا أبتاه هلمي بحنـوط جـدي رسـول الله ﷺ فبـادرت زينب مسـرعة حتى أتتـه به ، قـال : فلما فتحـه فاحت الـدار وجميـع الكـوفـة وشـوارعها لشـدة رائحة ذلـك الطيب ، ثم لفـوه بخمسة أثـواب كما أمـر عليه السلام ثم وضعـوه على السريـر وتقدم الحسن والحسين ورفعـا السـريـر من مؤخـره وإذا مقدمـه قد ارتفـع ولا يرى حـامله وكانـا حـاملاه من مقـدمـه جبـرائيل وميكـائيل فمـا مـر بشيء على وجـه الله إلاَّ انحنىٰ لـه سـاجـداً وخرج السرير .

قـال ابن الحنفية (رض) والله لقـد نـظرت إلى السـريـر وإنـه ليمـر بـالحيطان والنخـل فتحني لـه خشـوعـاً ومضىٰ مستقيمـاً إلى النجف إلى مـوضع قبـره عليه السلام الآن قال: وضجت الكـوفـة بـالبكـاء والنحيب وخـرجن النساء يتبعنه لاطمـات حاسـرات فمنعهن الحسن عليه السلام ونهاهن عن البكـاء والعـويل وردهن إلى أمـاكـنهـنّ والحسين عليه السلام يقـول : لا حـول ولا قـوة إلاَّ بالله العلي العظيم إنا لله وإنّا إليه راجعون يـا أباه واانقـطاع ظهراه من أجلك تعلمنـا البكـاء إلى الله المشتكى ، فلمـا انتهينا إلى قبـره وإذا مقدم السرير قد وضع فوضـع الحسن عليه السلام مؤخره وصلّى عليـه والجماعـة خلفـه فكبر سبعـاً كما أمـره به أبـوه عليه السلام ، ثم زحـزحنـا سـريـره وكشفنـا التراب واذا نحن بقبر محفور ولحد مشقوق وساجـة منقورة مكتـوب عليها هذا ما ادخره نوح النبي للعبد الطاهر المطهر ، فلما أرادوا نـزوله سمعـوا هـاتفاً يقـول أنزلـوه إلى التربـة الطاهـرة فقد إشتـاق الحبيب إلى الحبيب فدهش الناس عند ذلك وألحد أمير المؤمنين عند طلوع الفجر .

قال الراوي: لما ألحد أمير المؤمنين عليه السلام وقف صعصعة بن صوحان العبدي على القبر، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين، ثم قال: هنيئاً لك يا أبا الحسن فقد طاب مولدك وقوى صبرك وعظم جهادك وظفرت برأيك وربحت تجارتك وقدمت على خالقك فتلقاك الله ببشارته وحفتك ملائكته وإستقررت في جوار المصطفىٰ فأكرمك الله بجواره ولحقت بدرجه أخيك المصطفىٰ وشربت بكأسه الأوفىٰ فاسأل الله أن يمن علينا باقتفاء أثرك والعمل بسيرتك والموالاة لأوليائك والمعاداة لأعدائك وأن يحشرنا في زمرة أوليائك فقد نلت ما لم ينله أحد وأدركت ما لم يدركه أحد وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفىٰ حق جهاده وقمت بدين الله حق القيام حتى أقمت السنن وأطفيت الفتن واستقام الإسلام وانتظم الإيمان فعليك مني أفضل الصلاة والسلام بك إشتد ظهر المؤمنين واتضحت أعلام السبل وأقيمت السنن وما جمع لأحد مناقبك وخصالك سبقت إلى إجابة النبي مقدماً مؤثراً وسارعت إلى نصرته ووقيته بنفسك ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر وقصم الله بك كل ذي بأس شديد وهدم بك حصون أهل الشرك والبغي والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين كنت أقرب الناس من رسول الله قربىٰ وأولهم سلماً وأكثرهم علماً وفهماً ، فهنيئاً لك يا أبا الحسن لقد شرف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله نسباً وأولهم إسلاماً وأكثرهم علماً وأوفاهم يقيناً وأشدهم قلباً وأبذلهم لنفسه مجاهداً وأعظمهم في الخير نصيباً فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك فوالله لقد كانت حياتك مفتاح للخير ومغالق للشر وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولكنهم أثروا الدنيا على الأخرة ثم بكىٰ بكاءاً شديداً وأبكىٰ كل من كان معه وعدلوا إلى الحسن والحسين ومحمد وجعفر والعباس وعون وعبد الله عليهم السلام فعزوهم في أبيهم وانصرف الناس

ورجع أولاد أمير المؤمنين وشيعتهم إلى الكوفة ولم يشعر بهم أحد من الناس ، فلما طلع الصباح وبزغت الشمس أخرجوا تابوتاً من دار أمير المؤمنين واتوا به إلى المصلى بظاهر الكوفة ، ثم تقدم الحسن وصلّي عليه ورفعه على ناقة وسيرها مع بعض العبيد .

قال الراوي : ثم رجع أولاد أمير المؤمنين إلى الكوفة واجتمعوا لقتل اللعين عدو الله ابن ملجم ، فقال عبد الله بن جعفر : إقطعوا يديه ورجليه ولسانه واقتلوه بعد ذلك ، وقال محمد بن الحنفية : اجعلوه عرضاً للنشاب واحرقوه ، وقال آخر : أصلبوه حياً حتى يموت ، فقال الحسن : أنا ممتثل فيه ما أمرني به أمير المؤمنين أضربه ضربة بالسيف حتى يموت وأحرقه بالنار بعد ذلك فأمر ، الحسن أن يأتوه به فجاؤوا به مكتوفاً حتى أدنوه من الموضع الذي ضرب فيه الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والناس يلعنونه ويوبخونه وهو ساكت لا يتكلم ، فقال الحسن : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين وإمام المسلمين واعظمت الفساد في الدين ، فقال لهما : يا حسن ويا حسين ما تريدان تصنعان في ؟ قالا له: نريد أن نقتلك كما قتلت سيدنا ومولانا ، فقال لهما : إصنعا ما شئتما أن تصنعا ولا تعنفا من استزله الشيطان قصده عن السبيل ولقد زجرت نفسي فلم تنزجر ونهيتها فلم تنته فدعها تذوق وبال أمرها ولها عذاب شديد .

ثم بكىٰ فقال له الحسن : يا ويلك ما هذه الرقة أين كانت حين وضعت قدمك وركبت خطيئتك ؟ فقال لعنه الله : استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون ولقد انقضىٰ التوبيخ وإنما قتلت أباك وحصلت بين يديك فاصنع ما شئت وخذ بحقك مني كيف شئت ، ثم برك على ركبتيه وقال : يابن رسول الله الحمد لله الذي أجرىٰ قتلي على يديك فرق له الحسن ، ثم قام الحسن وأخذ السيف بيده وجرده من غمده وندبه حتى لاح الموت في حده ، ثم ضربه ضربة أراد بها عنقه فاشتد

زحام الناس عليه وعلت أصواتهم ، فلم يتمكن من فتح باعه فارتفع السيف إلى باعه فأبراه فانقلب عدو الله يخور في دمه فقال الحسين إلى أخيه وقال : يا أخي أليس الأب واحد والأم واحد ولي نصيب في هذه الضربة ولي في قتله حق فدعني أضربه ضربة أشفي بها بعض ما في نفسي ، فنالوله الحسن السيف فأخذه وهزه وضربه على الضربة التي ضربه الحسن فبلغ إلى طرف أنفه وقطع جانبه الآخر وإبتدره الناس بعد ذلك بأسيافهم فقطعوه إرباً و إرباً وعجل الله بروحه إلى النار ، ثم جمعوا جثته وأخرجوه وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنار .

وقيل طرحوه في حفرة وطموه بالتراب فهو يعوي كعوي الكلاب في حفرته إلى يوم القيامة وأقبلوا إلى الخبيثة قطام فقطعوها بالسيوف إرباً إرباً ونهبوا دارها ، ثم أحرقوا جسدها لعنها الله .

فصل

في حال قاتله وهو ابن ملجم لعنه الله

وبعض الوقائع المتأخرة عن قتله صلوات الله عليه وبعض مراثيه عليه السلام

في كتاب نور الأبصار للشبلنجي الشافعي عن أنس بن مالك قال مرض علي فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست معهما فجاء النبي فنظر في وجهه فقال أبو بكر وعمر : قد تخوفنا عليه يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا بأس عليه ولن يموت حتى يملاء غيظاً ولن يموت إلاّ مقتولاً .

وفيه عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : من أشقىٰ الأولين يا علي ؟ قال : الذي عقر ناقة صالح . قال : صدقت ، فمن أشقىٰ الآخرين ؟ قال : الله ورسوله اعلم ، قال : أشقىٰ الآخرين الذي يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه وكان علي عليه السلام يقول لأهله والله لوددت لو إنبعث أشقاها .

وفيه عن أبي الأسود الدؤلي إنه عـاد علياً في شكـوى اشتكاهـا قال فقلنـا له لقـد تخوفنـا عليك يـا أمير المؤمنين في شكـواك هذه ؟ فقـال : لكن والله مـا تخـوفت على نفسي لأني سمعت رسـول الله يقـول : إنـك ستضرب ضربة هٰهنا وأشـار إلى رأسي فيسيل دمهـا حتى يخضب لحيتك يكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة اشقىٰ ثمود .

وفيـه سئل علي وهـو على المنبـر في الكـوفـة عن قـولـه تعـالىٰ : **﴿من المؤمنين رجال صدقـوا ما عـاهدوا الله عليـه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتـظر﴾** فقـال : اللّهمَّ أغفـر هـذه الآيـة نـزلت فيَّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحرق بن عبد المطلب ، فأمـا عبيدة فقـد قضىٰ نحبه يوم بدر ، وأما عمي حمزة فإنه قضىٰ نحبه شهيـداً يوم أُحد، وأمـا أنا فـانتظر أشقـاها يخضب هـذه من هذا وأشـار إلى لحيتـه ورأسـه عهداً عهده إليَّ حبيبي أبو القاسم .

وفي البحـار عن أبي جعفر قـال : أن عاقـر ناقـة صالـح أزرق ابن بغي وان قـاتلي علي ﷺ ابن بغي ، وكانت مـراد تقول مـا نعرف لـه فينا أبـاً ولا نسباً وأن قـاتل الحسين ابن بغي وإنـه لم يقتـل الأنبيـاء ولا أولاد الأنبياء إلّا أولاد البغايا .

وروي عن حنان بن سدير عن رجل من مـزينة قـال : كنت جالسـاً عنـد علي فأقبـل إليه قـوم من مراد ومعهم ابن ملجم لعنـه الله قالـوا : يا أمير المؤمنين ان هذا طـرء علينا ولا والله مـا جاءنـا زائراً ولا منتجعـاً وأنا لنخـافه عليـك فاشـدد يـديـه ، فقـال لـه علي : أجلس فنـظر في وجهـه طويلًا ثم قال : رأيتك إن سـألتك عن شيء ، وعنـدك منه علم هـل أنت مخبـري عنه ؟ قـال : نعم . وحلّفه عليـه فقال : أكنت تصـارع الغلمان وتقـوم عليهم فكنت إذا جئت فرأوك من بعيـد قالـوا قد جـاءنا ابن راعيـة الكلاب ؟ قال : اللّهمَّ نعم ، فقال له : مـررت برجـل وقد أبقعت فنـظر إليك واحد النظر فقال أشقىٰ من عـاقر نـاقة ثمـود ؟ قال : نعم . قـال :

قد أخبرتك أمك أنها حملت بك في بعض حيضها فتقتع هنيئة ؟ ثم قال : نعم حدثتني بذلك ولو كنت كأنما شيئاً لكتمتك هذه المنزلة ، فقال له علي ﷺ : قم فقام ، ثم قال ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن قاتلك شبه اليهودي بل هو اليهودي لعنه الله .

وعن كتاب كفاية الأثر لما قتل أمير المؤمنين ﷺ رقي الحسن بن علي المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة فقعد ساعة ثم قام فقال : الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً وفي أزليته متعظماً بالهيبة متكبراً بكبريائه وجبروته إبتدأ ما إبتدع واتسأ ما خلق على غير مثال ، كان سبق مما خلق ربنا اللطيف بلطف ربوبيته وبعلم خيره فتق وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصنعه ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره ولا مستراح عن دعوته خلق جميع ما خلق ولا زوال لملكه ولا انقطاع لمدته فوق كل شيء علا ومن كل شيء دنىٰ فتجلىٰ لخلقه من غير أن يكون يرىٰ وهو بالمنظر الأعلىٰ احتجب بنوره وسما في علوه فاستتر عن خلقه وبعث إليهم شهيداً عليهم وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه ، فيعرفوه بربوبيته بعدما انكروه والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت وعنده نحتسب عزانا في أمير المؤمنين ولقد أصيب به الشرق والغرب والله ما خلف درهماً ولا ديناراً إلاّ أربعمائة درهم أراد أن يبتاع لأهله خادماً ، ولقد حدثني حبيبي جدي رسول الله ﷺ أن الأمر يملكه اثني عشر إماماً من أهل بيته وصفوته ما منا إلاّ مقتول أو مسموم ، ثم نزل عن منبره فدعا بابن ملجم لعنه الله فأتي به قال : يا بن رسول الله إستبقني أكن لك وأكفيك أمر عدوك بالشام فعلاه الحسن ﷺ بسيفه فاستقبل السيف بيده قطع خنصره ، ثم ضربه ضربة علي يافوخه فقتله لعنة الله عليه .

وفي فرحة الغري قال الثعلبي (الثقفي خ ل) في كتاب مقتل أمير المؤمنين ونقلته من نسخة عتيقة تاريخها سنة خمسة وخمسون وثلاثمائة

وذلك على أحد القولين أن عبد الله بن جعفر قال : دعوني أُسفي بعض ما في نفسي عليه يعني ابن ملجم لعنه الله ، فدفع إليه فأمر بمسمار فحمي بالنار ، ثم كحله فجعل ابن ملجم يقول : تبارك الخالق للإنسان من علق يابن أخ إنك لتكحلن بمملول ممض . ثم أمر بقطع يده ورجليه فقطع ولم يتكلم ، ثم أمر بقطع لسانه فجزع فقال له بعض الناس : يا عدو الله كحلت عينك بالنار وقطعت يداك ورجلاك فلم تجزع وجزعت من قطع لسانك ؟ فقال لهم : يا جهال أنا والله ما جزعت لقطع لساني ولكني أكره أن أعيش في الدنيا فواقاً لا أذكر الله فيه ، فلما قطع لسانه أُحرق بالنار لعنه الله .

ويروى أنه لما رجع الحسن والحسين عليهما السلام من دفن أمير المؤمنين وجدا في طريقهما رجلاً شيخاً أعمىٰ مريضاً وهو يبكي فتقدم إليه الحسن وقال له : ما يبكيك يا شيخ ؟ فقال : كان رجل كل يوم يأتين باللبن والدقيق وله ثلاثة أيام قد انقطع عني ولا يأتيني ، فقال له الحسن : ومن ذلك الرجل ؟ فقال : لا أعرفه ، فقال : صفه لي ؟ فقال : لم أر وجهه حتى أصفه لك إلاّ إنه كان لي كالأُم الشفيقة بولدها كان يكلمني برفق ويمرضني بشفقة ويؤنسني ويضاحكني ثم ينصرف عني ، فقال له الحسن : هذه صفة أبينا أمير المؤمنين عليه السلام فعظم الله لك الأجر فيه فقد قضىٰ نحبه والآن رجعنا من دفنه فصرخ الشيخ صرخة فارقت روحه الدنيا وفي خبر فغشي عليه ، فلما أفاق قال : أسألكم بالله أن تدلوني على قبره فأخذوه ، فلما أحس بالقبر جعل يبكي ويعول ويلطم فجلس الحسن والحسين عنده وجعلا يبكيان ، ثم جعل الشيخ يضرب رأسه على القبر حتى قضىٰ نحبه فاشتغل الحسن والحسين بتغسيله وتكفينه ودفنوه عند أمير المؤمنين ورجعا يبكيان ويلطمان .

وروي الصدوق قدس الله روحه بإسناده عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين

ﷺ ارتج الموضع بالبكاء ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله ﷺ وجاء رجل باك مسترع مسترجع وهو يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف بباب البيت الذي فيه أمير المؤمنين .

فقال رحمك الله يا أبا الحسن كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدهم يقيناً وأخوفهم لله عزّ وجلّ ، وأعظمهم عناء وأحوطهم على رسول الله وأمنهم على أصحابه وأفضلهم مناقب وأكثرهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم من رسول الله وأشبههم به هدياً ونطقاً وخلقاً وخلقاً وسمتاً وفعلاً وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً قويت حين ضعف أصحابه وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا ولزمت منهاج رسول الله إذ هم أصحابه كنت خليفته حقاً لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وضغن الفاسقين فقمت بالأمر حين فشلوا ونطقت حين تتعتعوا ومضيت بنور الله عزّ وجلّ حين وقفوا ، ولو إتبعوك لهدوا وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم قنوطاً وأقلهم كلاماً وأصوبهم منطقاً وأكبرهم رأياً وأشجعهم قلباً وأشدهم يقيناً وأحسنهم عملاً وأعرفهم بالأمور . كنت والله للدين يعسوباً أولاً وآخراً الأول حين تفرق الناس والآخر حين فشلوا كنت للمؤمنين أبا رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً فحملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ورعيت ما أهملوا وشمرت إذا اجتمعوا وعلوت إذ هلعوا وصبرت إذ جزعوا وأدركت ما عنه تخلفوا ونالوا بك ما لم يحتسبوا كنت للكافرين عذاباً صباً وللمؤمنين غيثاً وحصناً فطرت والله بنعمائها وفزت بحبائها وأحرزت سوابقها وذهبت بفضائلها لم تفلل حجتك ولم يزغ ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك ولم تخن كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، وكنت كما قال رسول الله ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله عزّ وجلّ كبيراً في الأرض جليلاً في السماء عزيزاً عند المؤمنين لم يكن لأحد فيك مهمز

ولا لقائل فيك مغمز ولا لأحد فيك مطمع ولا لأحد عندك هوادة الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل ، حتى تأخذ منه الحق والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء شأنك الحق والصدق والرفق وقولك حكم وحتم وأمرك حلم وحزم ورأيك علم وعزم فاقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير وأطفأت النيران وإعتدل بك الدين وقوي بك الإيمان وثبت بك الإسلام والمؤمنين وسبقت سبقاً بعيداً واتعبت من بعدك تعباً شديداً فجللت عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الأنام ، فأنا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن الله قضائه وسلمنا لله أمره فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً وعلى الكافرين غلظة وغيظاً فالحقك الله بنبيه ولا حرّمنا أجرك ولا أضلنا بعدك وسكت القوم حتى إنقضىٰ كلامه وبكىٰ وابكىٰ أصحاب رسول الله . ثم طلبوه فلم يصادفوه .

وفي كتاب نور الأبصار للشبلنجي عن المناقب لأبي بكر الخوارزمي قال قال أبو القاسم بن محمد : كنت في المسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم فقلت ما هذا ؟ فقالوا : راهب قد أسلم وجاء إلى مكة وهو يحدث بحديث عجيب فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الجثة وهو قاعد عند المقام يحدث الناس وهم يستمعون له ، فقال : بينما أنا قاعد في صومعتي في بعض الأيام إذا شرفت منها أشرافة فإذا طائر كالنسر الكبير قد سقط على صخرة على شاطىء البحر فتقيأ فرمىٰ من فيه ربع إنسان ، ثم طار فغاب يسيراً ثم عاد فتقيأ ربعاً آخراً ، ثم طار وعاد فتقيأ هكذا إلى أن تقيأ أربعة أرباع إنسان ، ثم طار فدنت الأرباع بعضها من بعض فالتأمت فقام منها إنسان كامل وأنا أتعجب مما رأيت ، فإذا بالطائر قد انقض عليه فاختطف ربعه، ثم عاد واختطف ربعاً آخر ، ثم طار وهكذا إلى أن اختطف جميعه فبقيت متفكراً

ومتحسراً أن لاكنت سألته من هو وما قصته ، فلما كان في اليوم الثاني إذا بالطائر قد أقبل وفعل كفعله بالأمس ، فلما إلتأمت الأرباع وصارت شخصاً كاملاً نزلت من صومعتي مبادراً إليه وسألته بالله من أنت يا هذا ؟ فسكت فقلت له : بحق من خلقك الا ما أخبرتني من أنت ؟ فقال : أنا ابن ملجم ، فقلت : ما قصتك مع هذا الطائر ؟ قال : قتلت علي بن أبي طالب فوكل الله بي هذا الطائر يفعل بي ما ترى كل يوم فخرجت من صومعتي وسألت عن علي بن أبي طالب ؟ فقيل لي : إنه ابن عم رسول الله ، فأسلمت وأتيت إلى بيت الله الحرام قاصداً الحج وزيارة رسول الله .

أقول : رأيت هذا الخبر في كتاب الخوارزمي كما ذكر .

ورواه الراوندي في الخرائج أيضاً إلاّ أنه قال : فبينما هو يخبرني إذا نقض الطائر فأخذ ربعه وطار .

وفي المناقب لابن شهرآشوب رحمه الله عن علي بن الجعد عن شعبة عن قتادة ومجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أن السماء والأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً وإنها تبكي على العالم إذا مات أربعين شهراً وإن السماء والأرض ليبكيان على الرسول أربعين سنة وإن السماء والأرض ليبكيان عليك يا علي إذا قتلت أربعين سنة .

قال ابن عباس : لقد قتل أمير المؤمنين عليه السلام على الأرض بالكوفة فأمطرت السماء ثلاثة أيام دماً .

وفيه عن أبي حمزة عن الصادق عليه السلام قال : وقد روي أيضاً عن سعيد بن المسيب أنه لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط .

وعن أربعين الخطيب وتاريخ النسوى أنه سئل عبد الملك بن

مروان الزهري ما كانت علامة يوم قتل عليٍ ؟ قال : ما رفع حصاة من بيت المقدس إلاّ كان تحتها دم عبيط .

قال : ولما ضرب عليه السلام في المسجد سمع صوت لله الحكم لا لك يا علي ولا لأصحابك .

فلما توفي سمع في داره ﴿افمن يلقىٰ في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ الآية . ثم هتف هاتف آخر مات رسول الله ومات أبوكم .

وفي أخبار الطالبين أن الروم أسروا قوماً من المسلمين فأتي بهم إلى الملك فعرض عليهم الكفر فأبوا فأمر بإلقائهم في الزيت المغلي وأطلق منهم رجلاً يخبر بحالهم ، فبينما هو يسير سمع وقع حوافر الخيل فوقف فنظر وإذا أصحابه الذين اُلقوا في الزيت ، فقال لهم في ذلك ، فقالوا : قد كان ذلك فنادى مناد من السماء في شهداء البر والبحر أن علي بن أبي طالب قد إستشهد في هذه الساعة ، فصلوا عليه فصلّينا عليه ونحن راجعون إلى مصارعنا .

وقال أبو زرعة الرازي بإسناده عن منصور بن عمّار : أنه سئل عن أعجب ما رآه ؟ قال : ترى هذه الصخرة في وسط البحر يخرج من هذا البحر كل يوم طائر مثل النعامة فيقع عليها ، فإذا استوى وقفاً تقيأ رأساً ثم تقيأ يداً وهكذا عضواً عضواً ، ثم تلتئم الأعضاء بعضها إلى بعض حتى يستوي إنساناً قاعداً ثم يهم للقيام فإذا هم للقيام نقره نقرة فأخذ رأسه ثم أخذه عضواً عضواً كما أقاءه .

قال : فلما طال علي ذلك ناديته يوماً من أنت ؟ ثم التفت إليّ وقال : هو عبد الرّحمٰن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب وكّل الله به هذا الطير فهو يعذبه إلى يوم القيامة وزعمهم أنهم يسمعون العواء من قبره .

أقول : وقد تقدم قريباً عن أبي القاسم بن محمد ما يشبه هذا الخبر .

وفي كتاب مقاتل الطالبين بإسناده عن إسماعيل بن راشد في إسناده قال لما أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين عليه السلام تمثلت :

فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافر

ثم قالت : من قتله ؟ فقيل : رجل من مراد فقالت :

فإن يك نائياً فلقد بغاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أم سلمة : العلي تقولين هذا ؟ فقالت : إذا نسيت فذكروني ثم تمثلت :

ما زال إهداء القصائد بيننا بإسم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك فيهم في كل مجتمع طنين ذباب

قال : وكان الذي جاءها بنعيه سفيان بن أمية بن عبد شمس بن أبي الوقاص .

وعن تفسير فرات بن إبراهيم رحمه الله عن علي بن محمد بن مخلد الجعفي معنعنا عن سليمان بن يسار قال : رأيت ابن عباس رضوان الله عليه لما توفي أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وقد قعد في المسجد منحنياً ووضع فرقه على ركبتيه وأسند يده تحت خده وقال : أيها الناس إني قائل فاسمعوا من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إذا مات أمير المؤمنين وأخرج من الدنيا ظهرت في الدنيا خصال لا خير فيها .

فقلت : وما هي يارسول الله ؟ فقال : تقل الأمانة ، وتكثر الخيانة ، حتى يركب الرجل الفاحشة وأصحابه ينظرون إليه والله لتضايق الدنيا بعده بنكبة ألا وإن الأرض لم تخل مني ما دام علي بن أبي طالب حياً في الدنيا بقية من بعدي أمير المؤمنين علي في الدنيا

عـوض مني بعـدي علي كجلدي ، عـلي لحـمي عـلي عـظمي عـلي عـروقي علي أخي ووصي في أهلي وخليفتي في قـومي ومنجـز عـداتي وقـاضي ديني قد صحبني علي في مسلمـات أمري وقـاتـل معي أحـزاب الكفار وشاهـدني في الوحي وأكـل معي طعام الأبـرار وصافحـه جبرائيـل مراراً نهاراً جهـاراً وشهد جبـرائيل وأشهـدني أن علياً من الـطيبين الأخيار وأنـا أشهـدكم معـاشـر النـاس لاتتسـاءلون من علم أمـركم مـا دام علي فيكم ، فـإذا فقدتمـوه فعند ذلـك تقوم الآيـة: **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾** صـدق الله وصـدق نبي الله . أقـول : وهــذه ثـلاث قصائـد في رثـاء أمير المؤمنين عليه السلام أقـدم منهـا قصيـدة الفـاضـل العلامة الأديب الميرزا محمد علي الأوردبادي .

قال سلمه الله تعالىٰ :

سلي عمـا دهىٰ القـدر اليقينـا	أأردى صـرفـه الـذكـر المبينـا
أم إنتاب الهدى خـطب ممض	لـه خسـر الـورى دنيـاً ودينـا
بليـل قـد قفـاه صباح غـدر	فيـاليت الدجىٰ لا أنفـك جونـا
فهـل لابن الخنـا جـذت يمين	لـرب العـالمين بـه يـمينـاً
نعم ذهب الحمـام بصنـو طـه	فـأودى رزأه بـالـعـلـميـنـا
ويـالا كـان في الأيـام يـوم	قضىٰ فيـه أميـر الـمؤمـنيـنا
دفينـاً في التـراب وفي حشـاه	قـد احتدم الشجى داءاً دفينـا
أمن حكم المنـون لكـل وغـد	على الليث الضبـارم أن يلينـا
ألم يـك حيدر الغـزوات قدمـاً	قـد اتخـذ الهيـاج لـه عـرينـا
وصِي المصطفىٰ أن راح يسطو	يشيب بهــول مـوقفــه الجنينـا
تحف بـه المـلائكـة كـل حين	ولا يسهـو عن الأخـطار حينـا
وفي ظبـة الصفيـح لـه قضـاء	إذا مـا استقبـل القــدر اليقينـا
فكيف دهىٰ وعين اللّه تـرنـو	مصـاب أثكـل الـذكـر المبينـا
واشجىٰ الملك والملكوت رزء	تـردد عنـده الـرسـل الحنينـا
وأبكىٰ البيـت والأستـار منـه	شجىٰ اذرى المحصب والحجونا

ومزهق مرحب ومبير عمرو ... بأي رزية أمسي طعينا
وفي المرحاب أي إمام عدل ... غداً في مصرع البلوى رهيناً
ولم يدفع عن القرآن أيد ... عواصم ذلك الخطر الكمينا
ولا من كاشف كرب المعالي ... دحى عن ليلة القدر الشجونا
إلى من تنزل الأملاك فيها ... ثبىٰ والروح تقصده قمينا
وقد أودىٰ ملاذا الرسل طراً ... ويمم للعباد نوى شطونا
ونادى الروح ان قد فاض فيها ... إمام علم الروح الأمينا
وإذ عدت المنية كل رشد ... أباحت ذلك الحصن الحصينا
عشية أرقلت تسعىٰ إليه ... تغد السير مقلقة وضينا
وأبدت في المتاهة من سراها ... على خير الورى حرباً زبونا

وقال الأديب الأريب الحاج علي البغدادي رحمه الله :

شهر الصيام به الإسلام قد فجعا ... وفي رزيته قلب الهدى إنصدعا
شهر الصيام بكت عين السماء دماً ... فيه وجبريل ما بين السماء نعا
اليوم في سيف اشقىٰ العالمين هوى ... شخص الوصي وفي محرابه صرعا
اليوم مات الهدى والدين منهدم ... وفي ثياب الأسىٰ قد مات مدرعا
اليوم فلتسكب الأيتام عبرتها ... ولتترك الصبر لكن تصحب الجزعا
اليوم في قتله الهادي وفاطمة ... ماتا وعلياً نزار سورها انصدعا
سعت بقتل وصي المصطفىٰ فئة ... على قلوبهم الشيطان قد طبعا
قد غادر واشمل دين اللّه مفترقاً ... ويزعمون بقتل المرتضىٰ جمعا
هذا ابن ملجم قد أردىٰ أبا حسن ... أهل درى اليوم من أردى ومن صرعا
ما ناله سيف أشقاها بضربته ... لكنما صنع المقدور ما صنعا
وكيف بالسيف ما ضلت مضاربه ... إذا تساقط دون المرتضىٰ قطعا
سيف أصيب به رأس الوصي لقد ... أصاب قلب الهدى والعلم والورعا
ما بالها هجعت عن يومه مضر ... وبعده الدين والإسلام ما هجعا
فلتندب الطهر فهر ندب ثاكلة ... تساقط الدمع من أحشائها قطعاً

وقال مؤلف هذا الكتاب جعفر بن محمد النقدي عفى عنه :

في السماوات رنة وعويل من له قام ناعياً جبرائيل
أصبح الكون داجي اللون حزناً فهل المرتضىٰ علي قتيل
يا حساماً أردى الوصي شباه فيك قد أردي الهدى والرسول
والنبيون والشرائع طراً وأصيب التكبير والتهليل
وبك الدين هد ركناً وأودى بشباك التنزيل والتأويل
يا ليالي الصيام من كان يحييك بسيف ابن ملجم مقتول
أيها المسجد المعد لذكر الله ذكر الإلٰه فيك جديل
قتلوا في الصلوة من ليس للأ عمال إلاّ به يكون القبول
خضبت منه شيبته وهو في المحراب عن ذكر ربه لا يحول
حف فيه الغر الكرام بنوه وهو عنهم بنفسه مشغول
ندبوه وفي القلوب حريق من جوى الحزن والدموع تسيل
يا قتيلا بكاه قرآن طه وبكاه التوراة والإنجيل
وبكاه خير النبيين في الجنة حزناً كما بكته البتول
يا ربيع الأيام من للأيامى واليتامى إن غاب عنها الكفيل
من دجىٰ الغي بعد وجهك يجلو وجهه عن حمي الهدى ويزيل

فصل

في كرامات جليلة ظهرت من قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام

نقلها صاحب المقامات العالية السيد عبد الكريم بن طاوس الحسني قدس سره في كتابه (فرحة الغري) وغيره منها ما ظهر في هذا العصر أو قريب منه .

قال السيد طالب ثراه : أخبرني عمي السعيد رضي الدين ابن طاووس والفقيه نجم الدين أبو القاسم بن سعيد والفقيه المقتدي نجيب الدين يحيىٰ بن سعيد أدام الله بركتهم عن الفقيه محمد بن عبد الله بن زهرة الحسيني عن محمد بن الحسن العلوي الحسيني الساكن بمشهد

الكاظم عن القطب الراوندي عن محمد بن علي بن الحسن الحلبي الطوسي ونقلته من خطه حرفاً حرفاً عن المفيد محمد بن النعمان عن محمد بن أحمد بن داود عن أبي الحسين محمد بن تمام الكوفي قال : حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحجاج من حفظه قال : كنا جلوساً في مجلس ابن عمي أبي عبد الله محمد بن عمران بن الحجاج وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشائخ وفيمن حضر العباس بن أحمد العباسي ، وكانوا قد حضروا عند ابن عمي يهنونه بالسلامة لأنه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي ومولاي أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين ومأتين ، فبينما هم قعود يتحدثون إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسىٰ العباسي فلما نظرت الجماعة إليه أحجمت عما كانت فيه وأطال إسماعيل الجلوس ، فلما نظر إليهم قال لهم : يا أصحابنا أعزكم الله لعلي قطعت حديثكم بمجيء ، قال أبو الحسن علي بن يحيى السليماني وكان شيخ الجماعة ومقدماً فيهم : لا والله يا أبا عبد الله أعزك الله ما أمسكنا بحال من الأحوال ، فقال لهم : يا أصحابنا إعلموا أن الله عزّ وجلّ مسائلي عما أقول لكم وما اعتقده من المذهب حتى حلف بعتق جواريه ومماليكه وحبس دوابه أنه لا يعتقد إلاّ ولاية علي بن أبي طالب والسادة من الأئمة عليهم السلام وعدهم واحداً واحداً وساق الحديث فأبسط إليه أصحابنا وسألهم وسألوه ، ثم قال لهم : رجعنا يوم جمعة من الصلاة من المسجد الجامع مع عمي داوود فلما كان قبل منازلنا وقبل منزله وقد خلا الطريق قال لنا : أينما كنتم قبل أن تغرب الشمس فصيروا إلي ولا يكون أحد منكم على حال فيتخلف لأنه كان جمرة بني هاشم ، فصرنا إليه آخر النهار وهو جالس ينتظرنا ، فقال : صيحوا بفلان وفلان من الفعلة فجاءه رجلان معهما التهما والتفت إلينا فقال : اجتمعوا كلكم فاركبوا في وقتكم هذا وخذوا معكم الحمل غلاماً كان له أسود يعرف بالجمل وكان لو حمل هذا الغلام على سكر دجلة

لسكرها من شدته وبأسه وامضوا إلى هذا القبر الذي افتتن به الناس ويقولون أنه قبر علي حتى تنبشونه وتجيئوني بأقصىٰ ما فيه ، فمضينا إلى الموضع فقلنا دونكم وما أمر به فحفر الحفارون وهم يقولون لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم في أنفسهم ونحن في ناحية حتى نزلوا خمسة أذرع ، فلما بلغوا إلى الصلابة قال الحفارون : قد بلغنا إلى موضع صلب وليس نقوى بنقره فأنزلوا الحبشي فأخذ المنقار فضرب ضربة سمعنا لها طنيناً شديداً في البر . ثم ضرب ثانية فسمعنا طنيناً أشد من ذلك ، ثم ضرب ثالثة فسمعنا طنيناً أشد مما تقدم ، ثم صاح الغلام صيحة فقمنا فأشرفنا عليه وقلنا للذين كانوا معه إسألوه ما باله ؟ فلم يجبهم وهو يستغيث فشدوه بالحبل وأخرجوه فإذا على يده من طرف أصابعه إلى مرفقه دم وهو يستغيث لا يكلمنا ولا يجر جواباً فحملناه على البغل ورجعنا طائرين ولم يزل لحم الغلام ينتثر من عضده وجنبه وسائر شفته الأيمن حتى انتهينا إلى عمي فقال : أيش وراكم ؟ فقلنا : ما ترىٰ وحدثناه بالصورة فالتفت إلى القبلة وتاب مما هو عليه ورجع عن المذهب وتولىٰ وتبرأ وركب بعد ذلك في الليل إلى علي بن مصعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً ولم يخبره بشيء مما جرىٰ ووجه من طم الموضع وعمر الصندوق عليه ومات الغلام الأسود من وقته .

قال أبو الحسن بن الحجاج : رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفاً وذلك من قبل أن يبني عليه الحائط الذي بناه الحسن بن زيد ، وهذا آخر ما نقلته من خط الطوسي رحمه الله .

ثم قال السيد رضوان الله عليه وأخبرني عبد الرحمان الحربي الحنبلي عن عبد العزيز بن الأخضر عن محمد بن ناصر السلامي عن أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون البرسي قال : أخبرني الشريف أبو عبد الله الحسين المقدم ذكره ، قال : حدّثنا أبو الحسن محمد بن الحسن بن عبد الله الجواليقي بقراءة علي لفظاً وكتبه لي بخطه قال

أخبرنا أبي قال أخبرنا جدي أبو أمي محمد بن علي بن رحيم الشناني قال : مضيت أنا ووالدي علي بن رحيم وعمي حسين بن رحيم وأنا صبي صغير في سنة نيف وستين ومائتين بالليل ومعنا جماعة مختفين إلى الغري لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين ﷺ، فلما جئنا إلى القبر وكان يومئذٍ حول قبره حجارة سود ولا بناء حوله عنده وليس في طريقه غير قائم الغري ، فبينا نحن عنده وبعضنا يصلّي وبعضنا يزور إذا نحن بأسد مقبل نحونا فلما قرب منا مقدار رمح قال بعضنا لبعض : أبعدوا عن القبر حتى ننظر ما يريد ، فأبعدنا فجاء الأسد إلى القبر فجعل يمرغ ذراعه على القبر فمضى رجل منا وشاهده وعاد فأعلمنا فزال الرعب عنا وجئنا بأجمعنا حتى شاهدناه يمرغ ذراعه على القبر وفيه جراح فلم يزل يمرغه ساعة ثم إنزاح عن القبر ومضى وعدنا إلى ما كنا عليه من القراءة والصلاة والزيارة وقراءة القرآن .

ومن محاسن القصص ما قرأته بخط والدي قدس الله روحه على ظهر كتاب بالمشهد الكاظمي على مشرفة السلام ما صورته قال : سمعت من شهاب الدين بندار بن ملكدار القمي يقول حدثني كمال الدين شرف المعالي بن غياث القمي ، قال : دخلت إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فزرته وتحولت إلى موضع المسألة ودعوت وتوسلت فتعلق مسمار من الضريح المقدس صلوات الله على مقدسه في قبائي فمزقه فقلت مخاطباً لأمير المؤمنين ﷺ : ما أعرف عوض هذا إلاّ منك ، وكان إلى جانبي رجل رأيه غير رأيي ، فقال لي مستهزئاً : ما يعطيك عوضه إلاّ قباً ورديّاً فانفصلنا من الزيارة وجئنا إلى الحلة وكان جمال الدين قشمر الناصري رحمه الله قد هيأ لشخص يريد أن ينفذه إلى بغداد يُقال له ابن مايست قباء وقلنسوة فخرج الخادم على لسان قشمر وقال : هاتوا كمال الدين القمي المذكور فأخذ بيدي ودخل إلى الخزانة وخلع علي قباء ملكياً وردياً فخرجت ودخلت حتى أُسلم على قشمر وأقبل كفه فنظر إليّ نظراً

عرفت الكراهة في وجهه والتفت إلى الخادم المغضب وقال : طلبت فلاناً يعني ابن مايست ؟ فقال الخادم : إنما قلت كمال الدين القمي وشهد الجماعة الذين كانوا جلساء ، الأمير إنه أمر بحضور كمال الدين القمي المذكور فقلت أيها الأمير ما خلعت عليَّ أنت هذه الخلعة بل أمير المؤمنين خلعها علي فالتمس مني الحكاية ، فحكيتها له فخر ساجداً وقال : الحمد لله كيف كانت الخلعة على يدي ثم شكره وقال : تستحق ، هذا آخر ما حدث به شهاب الدين وكتب أحمد بن طاووس هذا آخر ما وجدت بخطه فنقلته ، وروى ذلك السيد محمد بن شرفشاه الحسيني عن شهاب الدين بندار أيضاً .

وقال رحمه الله وجدت ما صورته عن العم السعيد رضي الدين علي بن طاووس عن الشيخ حسين بن عبد الكريم الغروي وإن كان اللفظ يزيد أن ينقص عما وجدته مسطوراً، قال : كان قد وفد إلى المشهد الشريف الغروي على ساكنه السلام رجل أعمى من أهل تكريت وكان قد عمي على كبر ، وكانت عيناه دلتا على خده وكان كثيراً ما يقعد عند المسألة ويخاطب الجناب الأشرف المقدس بخطاب غير حسن وكنت تارة أهم بالإنكار عليه وتارة يراجعني الفكر بالصفح عنه فمضى على ذلك مدة ، فإذا أنا في بعض الأيام قد فتحت الخزانة إذ سمعت ضجة عظيمة فظننت أنه قد جاء للعلويين بر من بغداد أو قتل في المشهد قتيل فخرجت ألتمس الخبر فقيل لي هٰهنا عمي قد رد بصره فرجوت أن يكون ذلك الأعمىٰ ، فلما وصلت إلى الحضرة الشريفة وجدته ذلك الأعمىٰ بعينه وعيناه كأحسن ما يكون فشكرت الله تعالىٰ على ذلك قال (ره) : وزاد والدي على هذه الرواية أنه كان يقول له من جملة كلامه كخطاب الأحياء .

قال رحمه الله ؛ ومن هذا الجنس سمعت والدي قدس الله روحه يحكي وسمعت والدي غير مرّة عن الشيخ الحسين بن عبد الكريم

الغروي رحمه الله الحكاية إلاّ في ذكرها وإن لم أحقق لفظه ولكن المعنىٰ منها أرويه عنه واللفظ وجدته مروياً عن العم السعيد عنه أنه كان ايلغاري أميراً بالحلة وكان قد اتفق أنه نفذ سرية إلى العرب ، فلما رجعت السرية نزلوا حول سور المشهد الأشرف المقدس الغروي على الحال به أفضل الصلوات والسلام ، قال الشيخ حسين : فخرجت بعد رحيلهم إلى ذلك الموضع الذي كانوا فيه نزولاً لأمر عرض ، فوجدت كلابي سربوش ملقاة في الرمل فمددت يدي وأخذتهما ، فلما صارا في يدي ندمت ندامة عظيمة وقلت : أخذتهما وتعلقت ذمتي بما ليس فيه راحة ، فلما كان بعد مدة زمانية اتفق أنه ماتت عندنا بالمشهد امرأة علوية فصلّينا عليها فخرجت معهم إلى المقبرة وإذا برجل تركي قائم يفتش موضعاً لقيت الكلابين فقلت لأصحابي : إعلموا إن ذلك التركي يفتش على كلابي سربوش وهما معي في جيبي وكنت لما أردت الخروج إلى الصّلاة على الميت لاحت لي الكلابان في داري فأخذتهما ثم جئت أنا وأصحابي فسلّمت على التركي وقلت له : على ما تفتش ؟ قال : أُفتش على كلابي سربوش ضاعت مني منذ سنة ، فقلت : سبحان الله تضيع منك منذ سنة تطلبه اليوم ؟ قال : نعم اعلم أنني لما دخلت السرية وكنت معهم فلما وصلنا إلى خندق الكوفة ذكرنا الكلابين فقلت : يا علي هما في ضمانك لأنهما في حرمك وأنا أعلم أنهما لا يصيبهما شيء ، فقلت له : الآن ما حفظ الله عليك شيئاً غيرهما ، ثم ناولته إياهما واعتقد أن المدة كانت سنة .

وقال رحمه الله : وقفت في كتاب قد نقل عن الشيخ حسن بن الحسين بن الطحال المقدادي قال : أخبرني أبي عن أبيه عن جده أنه أتاه رجل مليح الوجه نقي الأثواب دفع إليه دينارين وقال له : إغلق على القبة وذرني فأخذها منه وغلق الباب فنام فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول : أقعد أخرجه عني فإنه نصراني فنهض علي بن

طحال وأخذ حبلاً فوضعه في عنق الرجل وقال له : أخرج تخدعني بالدينارين وأنت نصراني ؟ فقال له : لست بنصراني ، قال : بلى إن أمير المؤمنين عليه السلام أتاني في المنام وأخبرني أنك نصراني ، وقال أخرجه عني ، فقال : أمدد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وأن علياً ولي الله ، والله ما علم أحد بخروجي من الشام ولا عرفني أحد من أهل العراق ، ثم أحسن إسلامه :

علي ولي المؤمنين بذمة	ومالي سواه في الأئمة مطمع
له الشرف الأعلىٰ وذو الآية التي	يقربها هذا الخلائق اجمع
بأن علياً أفضل الناس كلهم	وأورعهم بعد النبي واشجع
فلو كنت أهوى ملة غير ملتي	لما كنت إلاّ مسلماً أتشيع

قصة أبي البقا ، قيم مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : وفي سنة إحدى وخمسمائة بيع الخبز المشهد الشريف الغروي كل رطل بقيراط بفي أربعين يوماً ، فمضى القوام من الضر على وجوههم إلى القرى وكان من القوام رجل يُقال له أبو البقا ابن سويقة وكان له من العمر مائة وعشر سنين ، فلم يبق من القوام سواه فاضر به الحال ، فقالت له زوجته وبناته : هلكنا امضِ كما مضي القوام فلعل الله يفتح شيئاً نعيش به فعزم على المضي فدخل إلى القبة الشريفة صلوات الله على صاحبها وزار وصلّى وجلس عند رأسه الشريف وقال : يا أمير المؤمنين لي في خدمتك مائة سنة ما فارقتك ما رأيت الحلة ، وما رأيت السكون ، وقد أضرَّ بي وبأطفالي الجوع وها أنا مفارقك ويعز علي فراقك أستودعك هذا فراق بيني وبينك ، ثم خرج ومضي مع المكارية حتى يصير إلى الموقف وسوراء في صحبته وهبان السلمي وأبو كردان وجماعة من المكارية طلعوا من المشهد بليل وأقبلوا إلى أبي هبيش فقال بعضهم لبعض : هذا وقت كثير فنزلوا ونزل أبو البقا معهم فنام ، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول : يا أبا البقا فارقتني بعد طول هذه المدة عد إلي حيث كنت ، فانتبه باكياً ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقص

عليهم المنام ورجع ، فحيث رأينه بناته صرخن في وجهه فقص عليهن القصة وطلع وأخذ مفتاح القبة من الخازن أبي عبد الله بن شهريار القمي وقعد على عادته وبقي ثلاثة أيام ففي اليوم الثالث أقبل رجل وبين كتفيه مخلاة كهيئة المشاة إلى طريق مكة ، فحلها وأخرج منها ثياباً لبسها ودخل إلى القبة الشريفة وزار وصلّىٰ ودفع إليّ ديناراً وقال : أئت بطعام نتغدى فمضى القيم أبو البقا وأتىٰ بخبز ولبن وتمر ، فقال له : ما يوافق لي هذا ولكن أمضِ به إلى أولادك يأكلونه وخذ هذا الدينار الآخر واشتر لنا به دجاجاً وخبزاً ، فأخذت له بذلك فلما كان وقت صلاة الظهر صلّى الظهرين وأتىٰ إلى داره والرجل معه فأحضر الطعام وأكلا وغسل الرجل يديه وقال لي : إئتني بأوزان الذهب فطلع القيم أبو البقا إلى زيد بن واقصة وهو صائغ على باب دار التقي بن أسامة العلوي النسابة فأخذ الصينية وفيها أوزان الذهب وأوزان الفضة فجمع الرجل جميع الأوزان فوضعها في الكفة حتى الشعير والأرز وحبة الشبه وأخرج كيساً مملوءاً ذهباً وترك منه بحذاء الأوزان وصبه في حجر القيم ونهض وشد ما تخلف معه ومد مداسه فقال له القيم : يا سيدي ما صنع بهذا ؟ فقال له : هو لك الذي قال لك ارجع إلى حيث كنت ، قال : لي أعطه حذاء الأوزان ولو جئت بأكثر من هذه الأوزان لأعطيتك . فوقع القيم مغشياً عليه ومضى الرجل فزوج القيم بناته وعمر داره وحسنت حاله .

قصة البدوي

مع شحنة الكوفة

وفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة كان الأمير مجاهد الدين سنقر أمر بقطع الكوفة وقد وقع بينه وبين بني خفاجة ، فما كان أحد منهم يأتي إلى المشهد ولا غيره إلاّ وله طليعة فأتي فارسان فدخل أحدهما وبقي الآخر طليعة فخرج سنقر من مطلع الرهيمي وأتىٰ مع السور ، فلما بصر به الفارس نادى لصاحبه جاءت العجم تحته سابق

من الخيل ، فأفلت ومنعوا الآخر أن يخرج من الباب واقتحموا وراءه فدخل راكباً ، ثم نزل عن فرسه قدام باب السلام الكبير البراني فمضت الفرس فدخلت في باب ابن عبد الحميد النقيب ابن أسامة ودخل البدوي ووقف على الضريح الشريف ، فقال سنقر : إئتوني به فجاءت المماليك يجذبونه من الضريح الشريف وقد لزم البدوي برمانة الضريح وقال : يا أبا الحسن أنا عربي وأنت عربي وعادة العرب الدخول وقد دخلت عليك لا يا أبا الحسن دخيلك دخيلك وهم يكفون أصابعه عن الرمانة الفضة وهو ينادي ويقول لا تخفر ذمامك يا أبا الحسن فأخذوه ومضوا به فأراد أن يقتله فقطع على نفسه مأتي دينار وحصان من الخيل الذكور ، فكفله ابن بطن الحق على ذلك ومضى ابن بطن الحق يأتي بالفرس والمال ، فلما كان الليل وأنا نائم مع والدي محمد بن الطحال بالحضرة الشريفة وإذا بالباب يطرق فنهض والدي وفتح الباب وإذا أبو البقاء بن الشيرجي السواري ومعه البدوي وعليه جبة حمراء وعمامة زرقاء ومملوك على رأسه منشفة مكورة يحملها فدخلوا القبة الشريفة حين فتحت ووقفوا قدام الشباك وقال : يا أمير المؤمنين عبدك سنقر يسلم عليك ويقول لك إلى الله وإليك المعذرة والتوبة وهذا دخيلك وهذا كفارة ما صنعت ، فقال له والدي : ما سبب هذا ؟ قال : إنه رأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وبيده حربة وهو يقول له والله لئن لم تخل سبيل دخيلي لأنتزعن نفسك على هذه الحربة وقد خلع عليه وأرسله ومعه خمسة عشر رطلاً فضة بعيني رأيتها وهي سروج وكيزان ورؤوس أعلام وصفائح فضة ، فعملت ثلاث طاسات على الضريح الشريف صلوات الله على مشرفه وما زالت إلى أن سكت في هذه الحلية التي عليه الآن ، وأما البدوي وابن بطن الحق فرأى أمير المؤمنين في منامه في البرية وهو يقول له : إرجع إلى سنقر فقد خلي سبيل البدوي والذي كان قد أخذه فرجع إلى المشهد واجتمع بالأسير المطلق هذا رأيته سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

قصـة السيف

الذي سرق من الحضرة الشريفة وظهر فيما بعد

قال : وفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة في شهـر رمضان المبـارك كانوا يأتون مشـائخ زيـدية من الكـوفة كـل ليلة يزورون الإمـام عليه السلام وكان فيهم رجـل يُقـال لـه عبـاس الأمـعـص قـال ابن الـطحـال وكـانت نـوبـة الخـدمـة تلك الليلة عليّ فجاؤوا على العـادة وطـرقـوا البـاب ففتحت وفتحت باب القبة الشريفة وبيـد عباس سيف فقـال لي : أين أطرح هـذا السيف فقلت أطـرحه في هـذه لزاويـة وكان شـريكي في الخـدمـة شيـخ كبير يقال له بقا بـن عنقـود فوضعـه ودخلت فاشعلت لهم شمعـة وحركت القناديل وزاروا وصلوا وطلعـوا وطلب عباس السيف ، فلم يجـده فسألني عنه فقلت له : مكانه فقال : ما هـو هٰهنا ، فـطلبه فمـا وجده وعـادتنا أن لا نخلي أحد ينام بـالحضرة سـوى أصحاب النـوبة فلمـا يئس منه دخـل وقعـد عند الـرأس وقال : يـا أمير المؤمنين أنـا وليـك عبـاس واليـوم لي خمسـون سنـة أزورك في كـل ليلة في رجب وشعبـان ورمضـان والسيف الـذي معي عاريـة وحقك إن لم تـرده عليّ ما رجعت زرتـك أبـداً وهـذا فـراق بيني وبينـك ومضىٰ ، فـأصبحت فـأخبـرت السيـد النقيب السعيـد شمس الـدين علي بن المختـار فضجر عليّ وقـال : ألم انهكم أن ينـام أحـد بالمشهـد سـواكم فـاحضـرت الختمـة الشـريفـة وأقسمت بهـا أنني فتشت المـواضع وقلبت الحصـر وما تـركت أحداً عنـدنا فـوجد من ذلـك أمـراً عظيمـاً وصعب عليـه ، فلمـا كـان بعـد ثـلاثـة أيـام وإذا أصـواتهم بـالتكبيـر والتهليـل ففتحت لهم البـاب على جـاري عـادتي وإذا بعبـاس الأمعص والسيف معه ، فقال : يا حسن هذا السيف فـالزمـه ، فقلت : أخبرني خبره ؟ قال : رأيت مولانـا أمير المؤمنين عليه السلام في منـامي وقد أتي إليّ وقـال : يـا عبـاس لا تغضب إمضِ إلى دار فـلان بن فـلان إصعـد الغـرفـة التي فيهـا التبن وبحيـاتي عليـك لا تفضحـه ولا تعلم بـه أحـداً فمضيت إلى النقيب شمس الـدين فأعلمتـه بذلـك فطلع في السحـر إلى

الحضـرة وأخذ السيف منـه وحكى له ذلـك ، فقال : لا أعـطيـك السيف حتىٰ تعلمني من كان آخذه ؟ فقال له عباس : يا سيـدي يقول لي جـدك بحيـاتي عليك لا تفضحـه ولا تعلم به أحـداً وأخبرك ، ولم يعلمـه ومات ولم يعلم أحـداً من الآخـذ للسيف ، وهـذه الحكـايـة أخبـرنـا بمعنـاهـا المذكور القـاضي العالم الفـاضل المـدرس عفيف الدين ربيـع بن محمد الكوفي عن القاضي الـزاهد علي بن بـدر الهمداني عن عبـاس المذكـور يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة .

قصـة لطيفـة

قـال : وفي سنة تسـع وثمانين وخمسمـائة كـانت نوبتي أنـا وشيخ يُقـال له أبـو الغنائم بن كـدونا وقـد أغلقت الحضرة الشـريفة صلوات الله على صـاحبها فـإذا وقع في مسـامعي صوت أحـد أبـواب القبـة فـارتعت لـذلـك وقمت ففتحت البـاب الأول ودخلت إلى بـاب الـوداع فلمست الأقفال فوجدتها على ما هي عليه ومشيت إلى الأبواب أجمع فوجدتها بحالها وكنت أقول والله لو وجدت أحداً للزمته، فلمـا رجعت طالعـاً وصلت إلى الشباك الشريف وإذا رجـل على ظهر الضـريح أحققـه في ضوء القنـاديل فحين رأيته أخذتني القعقعـة والرعـدة العظيمـة ورنى لساني في فمي إلى أن صعـد إلى سقف حلقي فلزمت بكلتـا يـدي عمـود الشبـاك والصقت منكبي الأيمن في ركنـه وغاب وجـدي عني ساعـة ، وإذا همهمة الـرجل ومشيـه على فرش الصحن بـالقبة تحـريك الختمـة الشريفـة بالـزاوية من القبـة وبعد سـاعة رد روعي وسكن مـا عندي ، فـنظرت فلم أره فرجعت حتى أطلع وجدت الباب المقابل باب الحضرة للنساء قد فتـح منه مقـدار شبـر فرجعت إلى بـاب الوداع ففتحت الأقفـال والأغلال ودخلت أغلقتـه من داخل فهذا ما رأيته وشاهدته .

قصـة أخـرى

وقال أيضاً : أن رجلاً يُقال لـه أبو جعفـر الكناتيني سـأله رجـل أن

يدفع إليه بضاعة فلما ألح عليه أخرج ستين ديناراً وقال له : إشهد لي يا أمير المؤمنين بذلك فأشهده عليه بالقبض والتسليم ، ففعل ذلك فلما قبض المبلغ بقي ثلاث سنين ما أعطاه شيئاً وكان بالمشهد رجل ذو صلاح يُقال له مفرج فرأى في المنام كان الذي قبض المال قد مات وقد جاؤوا به على العادة ليدخلوا الحضرة الشريفة صلوات الله على صاحبها ، فلما وصلوا إلى الباب طلع أمير المؤمنين عليه السلام إلى القبة وقال : لا يدخل هذا البناء ولا يصلّي أحد عليه ، فتقدم ولد له يُقال له يحيى ، فقال : يا أمير المؤمنين وليك قال صدقت ولكن أشهدني عليه لأبي جعفر الكناتيني بمال ما أوصله إليه ، فلما أصبح مفرج أخبرنا بذلك فدعونا أبا جعفر وقلنا له أي شيء لك عند فلان ؟ قال : مالي عنده شيء ، فقلناله : ويحك شاهدك إمام ؟ قال : ومن شاهدي ؟ فقلنا له : أمير المؤمنين فوقع على وجهه يبكي فأرسلنا إلى الرجل الذي قبض المال ، فقلنا له : أنت هالك فأخبرناه بالمنام فبكي ومضي فأحضر أربعين ديناراً فسلمها إلى أبي جعفر وأعطاه الباقي .

قصة أخرى

وحكى علي بن مظفر النجار قال : كانت لي حصة في ضيعة فقبضت مني غضباً ، فدخلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام شاكياً وقلت : يا أمير المؤمنين إن ردت هذه الحصة عليّ عملت هذا المجلس من مالي ، فردت الحصة عليه فغفل مدة فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو قائم في زاوية القبة وقد قبض على يده وطلع حتى وقف على باب الوداع البراني وأشار إلى المجلس وقال : يا علي يوفون بالنذر ، فقال له : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين وأصبح يشتغل في عمله .

قصة أخرى

قال : سمعت بعض من أثق به يحكي عن بعض الفقهاء عن القاضي بن بد الهمداني وكان زيدياً صالحاً متعبداً توفي في رجب سنة

ثلاث وستين وستمائة ودفن بالسهلة . قال كنت بالجامع بالكوفة وكانت ليلة مطيرة فدق باب مسلم جماعة فذكر بعضهم أن معهم جنازة فادخلوها على الصفة التي تحاذي باب مسلم بن عقيل (رض) ، ثم أن أحدهم نعس فرأى في منامه كأن قائلاً يقول لآخر : ما نبصره هل لنا معه حساب وينبغي أن نأخذه منه معجلاً قبل أن يتعدى الرصافة فما يبقىٰ لنا معه طريق ، فانتبهت وحكيت لهم المنام وقلت لهم : خذوه معجلاً فأخذوه ومضوا في الحال .

وقال رحمه الله في ذلك الكتاب : ذكر إبراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الدينوري في كتاب : نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول ، وقد اختلفت الروايات في قبر أمير المؤمنين عليه السلام والصحيح أنه مدفون في الموضع الشريف الذي على النجف الآن ويقصد ويزار وما ظهر لذلك من الآيات والآثار والكرامات أكثر من أن تحصىٰ ، وقد أجمع الناس عليه على اختلاف مذاهبهم وتباين أقوالهم وقد كنت في النجف ليلة الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ونحن متوجهون نحو الكوفة بعد أن فارقنا الحاج بأرض النجف ، وكانت ليلة مصحية كالنهار وكان من الوقت ثلث الليل فظهر نور دخل القمر في ضمنه ولم يبق له أثر وكان يسير إلى جانبي بعض الأخيار وشاهد ذلك أيضاً ، فتأملت سبب ذلك وإذا على قبر أمير المؤمنين عليه السلام عمود من نور يكون عرضه في رأي العين نحو الذراع وطوله عشرون ذراعاً ، وقد نزل من السماء وبقي على ذلك حدود ساعتين ما زال يتلاشىٰ على القبة حتى اختفىٰ عني وعاد نور القمر على ما كان عليه ، وكلّمت الجندي الذي كان على جانبي فوجدته قد ثقل لسانه وما زلت به حتى عاد لما كان عليه وأخبرني أنه شاهد مثل ذلك ، ثم ذكر السيد قدس سره أن هذا باب متسع لو ذهبنا إلى جميع ما قيل فيه لضاق عنه الوقت ولظهر العجز عن الحصر .

قال : مؤلف هذا الكتاب جعفر بن محمد النقدي عفى عنه وأنا

أذكر بعضاً من هذه الكرامات التي ظهرت بعد عصر هذا السيّد الأجل أو قبل عصره ولم تذكر في كتاب .

فمن ذلك ما شاع وذاع وذكره جماعة في مؤلفاتهم وهي قصة الخليع الشاعر المعروف وابن حماد وتفصيلها : أن الشاعر المعروف بالخليعي نظم قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وأنشدها بباب الروضة المقدسة فأكرم من قبل أمير المؤمنين عليه السلام بخلعه غراء وقعت على كتفه وشيء ستر من باب الروضة، ولما اجتمع بالشاعر المعروف بابن حماد أفتخر عليه وقال له : أنا أعز منك عند أمير المؤمنين عليه السلام لأني مدحته بقصيدة واحدة فاستوجبت منه هذا الإكرام وأنت في كل يوم تمدحه بقصيدة ولم يعطك شيئاً ، فقال له ابن حماد : أنا لم أطلب منه ولو طلبت لأعطاني ما أريد ، وبعد النزاع والمفاخرة استقر رأيهما أن ينظم كل واحد منهما قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ويطلب منه أن يبيّن له مقامه عنده عليه السلام ويودعان القصيدتين في ضريحه الأقدس فنظماهما وأودعاهما وبعد المراجعة وجدا أنه عليه السلام كتب تحت قصيدة الخليعي بماء الذهب أحسنت وكتب تحت قصيدة ابن حماد بماء الفضة أحسنت فانكسر ابن حماد ، واغتم غماً شديداً ، فلما جن عليه الليل ونام رأى في منامه أمير المؤمنين عليه السلام يقول له : يابن حماد لا يهمك ما رأيت فإن صاحبك جديد الإيمان ففي غد جئني بشعر حتى أجيبك ، فنظم قصيدة .

ولما بلغ في إنشادها إلى بيت يقول فيه :

(من قتل مرحباً وابن ود)

أتاه الجواب أنا أنا ، فحمد الله على هذه النعمة وكان الخليعي منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام في بدء أمره ، ثم استبصر وصار شاعر أهل البيت عليهم السلام .

ومن ذلك أن السيد محمد الشريف الكاظمي ابن السيد فلاح

الحسيني كان فاضلاً أديباً شاعراً وكان من سروات بني هاشم وذوي كراماتهم ، حدثني جماعة من مشائخي أنه إحتاج إلى بعض الدراهم وهو في النجف الأشرف فقصد أمير المؤمنين وجلس في الروضة المقدسة أمام قبره الشريف وأنشأ :

أبا حسن ومثلك من ينادى	لكشف الضر والهول الشديد
أتصرع في الوغىٰ عمرو بن ود	وتقتل مرحباً بطل اليهود
وتسقىٰ أهل بدر كأس حتف	مصبرة كعتبة والوليد
وتجري النهروان دماً عبيطاً	بقتل المارقين ذوي الجحود
وتابىٰ أن تكف جيوش عسري	وتنصرني على الدهر العنيد
فها هو قد أراني الشهب ظهراً	وحرم ناظري طيب الهجود
أترضى أن يكدر صفو عيشي	وتصبح أنت في عيش رغيد
تنعم في الجنان خلي بال	ومني القلب في جهد جهيد
أما قد كنت تؤثر قبل هذا	ببذل القوت في القحط الشديد
فكيف أخيب منك وأنت مثر	جواهر كدرت عيش الحسود
فمن در وياقوت ولعل	والماس يلوح على عقود
ومن قنديل تبريات يجلو	سناه الهم من قلب الوفود
فجدلي يا علي ببعض هذا	فإن التبر عندك كالصعيد
ولي يا بن الكرام عليك حق	رثاء سليلك الظامي الشهيد
فكم أجريت من دمع عليه	وكم فطرت قلباً كالحديد
فكن في هذه الدنيا معيني	وكن لي شافعاً يوم الورود

فلما أنتهىٰ بها سقط عليه قنديل ذهب فأخذ من يده وعلق فوقع عليه ثانياً فأخذه ومضىٰ ولم يتعرضه أحد ، وقد ذكرت بهذه الحكاية نادرة للفاضل الشيخ محمد صالح آل محي الدين النجفي وهو أنه رحمه الله إحتاج يوماً إلى بعض الدراهم فوقف عند ضريح أمير المؤمنين عليه السلام وأنشأ يقول :

فجدلي يا علي بجزء تبر	فإن التبر عندك كالتراب

فإن لم تعطني تبراً فإني أغير ملتي وأصير بابي

فسمعه بعض العلماء فأخذه معه وأجازه بعشر ليرات عثمانية وقال له : هذا من أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن ذلك فتحه عليه السلام باب روضته المقدسة لأهل البحرين كما في مزار البحار وفتحه باب سور النجف للزوار والأعراب مراراً وكراراً كما هو معلوم لدى أهل النجف .

ومن ذلك ظهور النور مراراً من الروضة المقدسة وذكر بعضها في فرحة الغري في ضمن القصص الكثيرة .

ومن ذلك قتله الوهابية حين أتوا لتخريب النجف الأشرف وإنشاد بعض أهل العلم أبياتاً باللسان العامي منها (سموك حامي الحمى وتريد إلك حماي) .

ومن ذلك قتله مرّة بن قيس حين جاء لتخريب قبره الشريف وقد ذكر القصة شيخنا النوري في كتابه دار السلام ، وذكر قصصاً أمثال هذه القصة فليراجعها من شاء في الكتاب المذكور .

ومن ذلك ما شاع وذاع ونقله جماعة في كتبهم منهم العلامة المجلسي في مزار البحار واللفظ له قال (ره) تواترت الأخبار ونظموا في الأشعار وشاع في جميع الأصقاع والأقطار واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار وكان بالقرب من تاريخ الكتابة سنة إثنتين وسبعين بعد الألف من الهجرة وكانت كيفية تلك الواقعة على ما سمعته من الثقاة أنه كان في المشهد الغروي عجوز تسمىٰ بمريم وكانت معروفة بالعبادة والتقوىٰ فمرضت مرضاً شديداً وامتد بها حتى صارت مقعدة مزمنة وبقيت كذلك قريباً من سنتين بحيث أشتهر أمرها وكونها مزمنة في الغري ، ثم أنها لتسع ليال خلون من رجب تضرعت لدفع ضرها إلى الله تعالىٰ واستشفعت بمولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وشكت

إليه عليه السلام في ذلك ، ونـامت فـرأت في منـامهـا ثـلاث نسوة دخلن إليهـا واحـدتهن كالقمـر ليلة البدر نـوراً وصفاء وقلن لهـا لا تخافي ولا تحـزني فإن فرجك في ليلة الثاني عشر من الشهر المبـارك فانتبهت فـرحة وقصت رؤيـاها على من حضـرها وكـانت تنتظر ليلة ثـاني عشر رجب فمـرت بها ولم تـر شيئاً ، ثم تـرقبت ليلة الثاني عشـر شعبان فلم تـر شيئـاً أيضـاً ، فلما كانت ليلة تاسع شهر رمضان رأت في منـامها تلك النسـوة بأعيـانهن وهن يبشـرنهـا فقلن لهـا : إذا كـانت ليلة الثـاني عشـر من هــذا الشهـر فـامضِ إلى روضـة أميـر المؤمنين صلوات الله عليـه وارسلي إلى فـلانـة وفلانة وفلانة وسمين نسوة معروفـات وهن باقيـات إلى حين هذا التحـرير واذهبي بمن معـك إليها ، فلمـا أصبحت قصت رؤياهـا وبقيت مسـرورة مستبشـرة بذلـك إلى أن دخلت تلك الليلة فأمـرت بغسل ثيـابها وتـطهيـر جسـدها وأرسلت إلى تلك النسـوة ودعتهن فـأجبن وذهبن بهـا محمـولـة لأنهـا كـانت لا تقـدر على المشي ، فلمـا مضى قـريب من ربـع الليـل خـرجت واحدة منهن واعتـذرت منها وبقيت معهـا إثنتـان وانصـرف منهن جميـع من حضر الـروضة المقـدسـة وغلقت الأبـواب ولم يبق في الرواق غيرهن ، فلما كان وقت السحر أرادت صاحبتاهـا أكل السحـور أو شرب التتن ، فـاستحيتا من الضـريح المقـدس فتركتـاها عنـد الشباك المقـابل للضـريح المقـدس في جـانب القبلة وذهبتـا إلى البـاب الـذي في جهـة الخلف ويفتـح إلى الصحن وخلفه الشبـاك فدخلتـا هناك وأغلقتـا البـاب لحاجتهما ، فلما رجعتا إليها بعد قضاء وطرهما لم تجداهـا في الموضـع الـذي تـركتـاهـا ملقـاة فيه فتحيـرتـا فمضتـا يمينـاً وشمـالاً فـإذا بهـا تمشي في نهاية الصحـة والاعتدال فسألتاهـا عن حالهـا وما جـرى عليها فـأخبرتـهمـا أنكما لمـا أنصرفتمـا عني رأيت تلك النسوة الـلاتي رأيتهن في المنـام أقبلن وحملنني وأدخلنني داخـل القبـة المنـورة وأنـا لا أعلم كيف دخلت ومن أين دخلت ، فلمـا قـربت من الضـريـح المقـدس سمعت صـوتـاً من القبـر يقول حـركن المرأة الصالحـة وطفن بها ثـلاث

مرّات فطفن بي ثلاث مرّات حول القبر ثم سمعت صوتاً آخر أخرجن من باب الفرج فأحرجنني من الجانب الغربي الذي يكون خلف من يصلّي بين البابين بحذاء الرأس وخلف الباب شباك يمنة الإستطراق ، ولم يكن الباب معروفاً قبل ذلك بهذا الاسم قالت : فالآن مضين عني وجثماني وأنا لا أرىٰ بي شيئاً من المرض والألم والضعف ، وأنا في غاية الصحة والقوة ، فلما كان آخر الليل جاء خازن الحضرة الشريفة وفتح الأبواب فرآهن يتمشين بحيث لا تتميز واحدة منهن . قال المجلسي (ره) : وإني سمعت من المولىٰ الصالح التقي مولانا محمد طاهر الذي بيده مفاتيح الروضة المقدسة ومن جماعة كثيرة من الصلحاء الذين كانوا حاضرين في تلك الليلة في الحضرة الشريفة أنهم رأوها في أول الليلة محمولة عند دخولها وفي آخر الليل سائرة أحسن ما يكون عند خروجها . قال رحمه الله : والحمد لله على كرامة أمير المؤمنين صلوات الله عليه لتقر أعين أوليائه وترغم أنوف أعدائه وأمثال ذلك كثيرة لو أردنا ذكرها لطال الكتاب .

ومن ذلك ما بلغ حد التواتر لدىٰ مشايخ النجف ونقله الفاضل النوري عن السيّد مرتضىٰ النجفي ونقلناه باختصار وهو أن الزاهد الورع العالم الشيخ مهدي ملا كتاب طاب ثراه . كان جالساً عند باب الرحمة في الصحن المقدس وحوله جماعة من أهل العلم فجلس إليه العالم التقي الشيخ جواد العاملي وعليه آثار الحزن ، فسأله الشيخ عن حاله ؟ فقال : إن رجلاً في السوق يطلبني ثلاثين شامياً وقد طالبني بخشونة ولا أتمكن من إعطائه شيئاً ، فقال الشيخ : لا تهتم فإنه علي ، فقال الجماعة : على سبيل المداعبة وهم يعلمون أن ليس عنده شيء من أين لك ما قلت إلاّ أن تحوله على الصراف اليهودي ؟ فقال : نعم أحوله على الصراف الحقيقي قم يا شيخ جواد فقد أحلتك على أمير المؤمنين ، فاقبض منه ، ولما كانوا يعلمون أن الشيخ لا يقول نكراً قال الشيخ جواد : قبلت الحوالة وقام ودخل الحضرة

الشريفة ، فما كانت إلاّ ساعة وإذا به قد رجع والمجلس بحاله لم يتفرق وبيده كيس فيه ثلاثون شامياً وقال : لما دخلت الباب الثاني قلت يا أمير المؤمنين إني لم آت إليك زائراً وإنك تعلم ذلك وإنما جئتك من جهة الشيخ مهدي . قال فقبلت العتبة وأخذت في الرجوع ،فلما مشيت خطوات وإذا بشخص يقول خذ هذا فإنه حوالة الشيخ فالتفت فناولني هذا . ثم التفت فلم أجده في الرواق ولا في الايوان وهذا من فضل الله تعالىٰ فكبر الحاضرون جميعاً .

ومن ذلك ما حدثني به جماعة شاهدوا القصة وكلهم ثقاة أن ناصبياً أراد في يوم الغدير أن يدخل الحضرة المقدسة بنعاله ، فعارضه الكشوان فشتمه ودخل ، فلما وصل الإيوان وقابل الضريح إنقلب على قفاه وعرضت له حالة جنون وأخبر أن سيداً خرج من الروضة وضربه بإصبعه ومات بعد يومين وقد أرخ القصة الشيخ أحمد قفطان بقوله من أبيات :

صاحب الروضة أرخ أسد قبل أن يدخلها قد سطره

ومن ذلك تجدد كرامات له عليه السلام في كل عام كما في الكلمة التي ذكرها الرحالة ابن بطوطة في رحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار قال في الجزء الأول منها عند زيارته النجف الأشرف ، وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها عندهم أن بها قبر علي رضي الله عنه ، فمنها أن في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمىٰ عندهم ليلة المحيا يؤتي إلى تلك الروضة بكل مقعد من العراقين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك ، فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة ، فإذا مضىٰ من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع أصحاء من غير سوء هم يقولون لا إله إلاّ الله محمد رسول الله علي ولي الله وهذا أمر مستفيض عندهم

سمعته من الثقاة ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من أصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم على شأنهم ، فأخبروني أنهم لم يدركو اليلة المحيا وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقاً عظيمة مدة عشرة أيام إلى أن قال ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برىء . ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من الذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الأعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرته انتهى .

وكانت زيارة هذه الرحالة في سنة ٧٢٥ من الهجرة ولنختم هذا الفصل بقصة ذكرها جماعة من العلماء في مؤلفاتهم عن زيد النساج قال : كان لي جار وهو شيخ كبير عليه آثار النسك والصلاح وكان يدخل إلى بيته ويعتزل عن الناس ولا يخرج إلاَّ يوم الجمعة ، قال زيد : فمضيت يوم الجمعة إلى زيارة زين العابدين عليه السلام فدخلت إلى مشهده وإذا أنا بالشيخ الذي هو جاري قد أخذ من البئر ماء وهو يريد أن يغتسل غسل الجمعة والزيارة ، فلما نزع ثيابه وإذا في ظهره ضربة عظيمة أكبر من شبر وهي تسيل قيحاً ومدة فاشمأز قلبي منها ، فحانت منه التفاتة فرآني فخجل فقال لي : أنت زيد النسج ؟ فقلت : نعم ، فقال : يا بني عاوني على غسلي ، فقلت : لا والله لا أعاونك حتى تخبرني بقصة هذه الضربة التي بين كتفيك ومن كف من خرجت وأي شيء كان سببها ؟ فقال لي : يا زيد أخبرك بها بشرط أن لا تحدث بها أحداً من الناس إلاَّ بعد موتي ، فقلت : لك ذلك ، فقال : عاوني على غسلي ، فإذا لبست أطماري حدثتك بقصتي ، قال زيد : فساعدته فاغتسل ولبس ثيابه وجلس في الشمس وجلست إلى جانبه وقلت له : حدثني يرحمك الله ؟ فقال لي : إعلم إنا كنا عشرة أنفس

قد تواخينا على الباطل وتوافقنا على قطع الطريق وارتكاب الآثام وكانت بيننا نوبة نديرها في كل ليلة على واحد منا ليصنع لنا طعاماً نفيساً وخمراً عتيقاً وغير ذلك ، فلما كانت الليلة التاسعة وكنا قد تعشينا عند واحد من أصحابنا وشربنا الخمر ، ثم تفرقنا وجئت إلى منزلي ونمت ، أيقظتني زوجتي وقالت لي : إن الليلة الآتية نوبتها عليك وما عندنا في البيت حبة من الحنطة ، قال : فانتبهت وقد طار السكر من رأسي وقلت كيف أعمل وما الحيلة وإلى أين أتوجه ؟ فقالت لي زوجتي : الليلة ليلة الجمعة ولا يخلو مشهد مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام من زوار يأتون إليه يزورونه فقم وامضِ واكمن على الطريق فلا بد أن ترىٰ أحداً تأخذ ثيابه وتبيعها وتشتري شيئاً من الطعام لتتم مروتك عند أصحابك وتكافيهم على صنيعهم ، قال : فقمت وأخذت سيفي وجحفتي ومضيت مبادراً وكمنت في الخندق الذي في ظهر الكوفة وكانت ليلة مظلمة ذات رعد وبرق فأبرقت برقة فإذا أنا بشخصين مقبلين من ناحية الكوفة ، فلما قربا مني أبرقت برقة أُخرىٰ فإذا هما امرأتان ، فقلت في نفسي في مثل هذه الساعة تأتيني امرأتان ، ففرحت ووثبت إليهما وقلت لهما إنزعا الحلي الذي عليكما سريعاً فطرحاه فأبرقت السماء برقة أُخرىٰ فإذا إحداهما عجوز والأُخرىٰ شابة من أحسن النساء وجهاً كأنها ظبية قناص أو درة غواص فوسوس لي الشيطان على أن أفعل بها القبيح ، وقلت في نفسي مثل هذه الشابة التي لا يوجد مثلها حصلت عندي في هذا الموضع واخليها فراودتها عن نفسها فقالت العجوز : يا هذا أنت في حل مما أخذته منا من الثياب والحلي فخلنا نمضي إلى أهلنا فوالله إنها بنت يتيمة من أُمها وأبيها وأنا خالتها وفي الليلة القابلة تزف إلى بعلها وإنها قالت لي : يا خالة إن الليلة القابلة أُزف إلى ابن عمي وأنا والله راغبة في زيارة سيدي علي بن أبي طالب وإني إذا مضيت عند بعلي ربما لا يأذن لي بزيارته ، فلما كانت هذه الليلة ليلة الجمعة خرجت بها لأزورها مولاها

وسيّدها أمير المؤمنين عليه السلام فالله عليك لا تهتك سترها ولا تفض ختمها ولا تفضحها بين قومها ، فقلت لها : إليك عني وضربتها وجعلت أدور حول الصبية وهي تلوذ بالعجوز وهي عارية ما عليها غير السروال وهي في تلك الحال تعقد تكتها وتوثقها عقداً فدفعت العجوز عن الجارية صرعتها على الأرض وجلست على صدرها ومسكت يدها بيد واحدة ، وجعلت أحل عقد التكة باليد الأخرىٰ وهي تضطرب تحتي كالسمكة في يد الصياد وهي تقول : المستغاث بك يالله المستغاث بك يا علي بن أبي طالب خلصني من يد هذا الظالم ، قال : فوالله ما استتم كلامها إلاّ وحسست حافرفرس خلفي ، فقلت في نفسي هذا فارس واحد وأنا أقوى منه وكانت لي قوة زائدة وكنت لا أهاب الرجال قليلاً أو كثيراً ، فلما دنى مني فإذا هو عليه ثياب بيض وتحته فرس أشهب تفوح منه راحة المسك ، فقال لي : يا ويلك خل المرأة فقلت له : اذهب لشأنك فأنت نجوت وتريد أن تنجي غيرك . قال : فغضب من قولي ولكزني بشيء قليل من ذبال سيفه فوقعت مغشياً عليّ لا أدري أنا في الأرض أو في غيرها وانعقد لساني وذهبت قوتي لكني أسمع الصوت وأعي الكلام ، فقال لهما : قوما إلبسا ثيابكما وخذا حليكما وانصرفا لشأنكما ، فقالت العجوز: فمن أنت يرحمك الله وقد من الله علينا بك وإني أُريد منك إلى زيارة سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب ؟ قال : فتبسم في وجوهما وقال لهما : أنا علي بن أبي طالب إرجعا إلى أهلكما فقد قبلت زيارتكما ، قال فقامت العجوز والصبية وقبلتا يديه وانصرفتا في سرور وعافية ، قال الرجل : فأفقت من غشوتي وانطلق لساني فقلت له : يا سيدي أنا تائب إلى الله على يدك وإني لا عدت أدخل بمعصية أبداً ، فقال : إن تبت تاب الله عليك ، فقلت له : تبت والله على ما أقول شهيد ، ثم قلت له : يا سيدي إن تركتني وفي هذه الضربة هلكت بلا شك ، قال : فرجع إليّ وأخذ بيده قبضة من تراب ثم وضعها على الضربة ومسح بيده الشريفة عليها فالتحمت بقدرة الله

تعالىٰ ، قال زيد النساج فقلت له : كيف التحمت وهذه حالها ؟ فقال لي : والله إنها كانت ضربة مهولة أعظم مما تراها الآن ولكنها بقيت موعظة لمن يسمع ويرىٰ .

فصل
في تاريخ النجف الأشرف

وفضله وموضع قبره عليه السلام وكيفية ظهوره وغير ذلك مما يتعلق بمدفنه صلوات الله عليه في بدء عمران النجف الأشرف إلى عصرنا الحاضر وفضل زيارته عليه السلام .

قال في (معجم البلدان) النجف بالتحريك قال السهيلي بالفرع عينان يُقال لإحداهما : الربض والأُخرىٰ النجف ، تسقيان عشرين ألف نخلة وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ذكرته الشعراء في أشعارها فأكثرت فقال علي بن محمد العلوي المعروف بالحماني الكوفي :

فيا أسفي على النجف المعرى — وأودية منورة الأفاحي
وما بسط الخورنق من رياض — مفجرة بافنية فساح
ووا أسفاً على القناص تغدو — خرائطها على مجرى الوشاح

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي يمدح الواثق ويذكر النجف الأشرف :

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف — نحيي داراً لسعدي ثم ننصرف
وأبك المعاهد من سعدي وجارتها — ففي البكاء شفاء الهائم الدنف
أشكو إلى اللّه يا سعدي جوى كبد — حرى عليك.متى ما تذكري تجف
أهيم وجداً بسعدي وهي تصرمني — هذا لعمرك شكل غير مؤتلف
دع عنك سعدي فسعدي عنك نازحة — وأكفف هواك وعد القول في لطف

ما أن أرى الناس في سهل ولا جبل … اصفي هواء ولا أعذى من النجف
كأن تربته مسك يفوح به … أو عنبر دافه العطار في صدف
حفت ببر وبحر من جوانبها … فالبر في طرف والبحر في طرف
وبين ذاك بساتين تسيح بها … نهر يجيش مجاري سيله القصف
وما يزال نسيم من أيا منه … يأتيك منه برياً روضة أنف
تلقاك منه قبيل الصبح رائحة … تشفي السقيم إذا أشفى على التلف
لو حله مدنف يرجو الشفاء به … إذاً شفاه من الأسقام والدنف
يؤتي الخليفة منه كلما طلعت … شمس النهار بأنواع من التحف
والصيد منه قريب إن هممت به … يأتيك مؤتلفاً في زي مختلف

أقول : ثم خرج إلى مدح الواثق ونقل ياقوت بيتين من المدح وقد فات هذا الشاعر أن يصف النجف بمعناه الحقيقي بعد وصف الظاهر وذلك ما حواه من وجود جثمان أمير المؤمنين فيه وقد أضفت إلى شعره هذين البيتين لذلك الغرض فقلت :

أعده اللّه مثوىً للوصي كما … أعد يثرب للمختار ذي الشرف
في حسن ظاهره الأبصار حائرة … لكن معناه عن غير المحب خفي

قال ياقوت ولبعض أهل الكوفة :

وبالنجف الجاري أن زرت أهله … مهاً مهملات ما عليهن سائس
خرجن بحب اللهو في غير ريبة … عفائف باغى اللهو منهن آيس

إلى آخر الأبيات السبعة التي نقلها ، ولم نجد حاجة إليها في كتابنا هذا ويُقال للنجف الغري ، أما لحسنه لأن الغري في اللغة هو الحسن من كل شيء هذا رجل غري الوجه إذا كان حسناً مليحاً أو لمجاورته الغريين وأنهم كنوا عن التثنية بالوحدة أو لهجو بالغري مفرداً طلباً للخفة ومن ذلك قول عزّ الدين ابن أبي الحديد المعتزلي :

يا برق إن جئت الغري فقل له … أتراك تعلم من بأرضك مودع
فيك ا[illegible] عمران الكليم وبعده … عيسى يقفيه واحمد يتبع

بل فيك جبريل وميكال وإسرافيل والملا المقدس أجمع
بل فيك نور الله جل جلاله لذوي البصائر يستشف ويلمع
فيك الإمام المرتضىٰ فيك الوصي المجتبى فيك البطين الأنزع

أما الغريان المجاوران للنجف فقد قال ياقوت هما طربا لأن ولاهما بناتان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال قال ابن دريد الطربال قطعة من جبل أو قطعة من حائط تستطيل في السماء وتمتد .

وفي الحديث كان عليه الصلاة والسلام إذ أمر بطربال مائل أسرع المشي ، والجمع الطرابيل وقيل الطربال القطعة العانية من الجدار والصخرة العظيمة المشرفة من الجبل وطرابيل الشام صوامعها ، ثم قال بعد كلام وإنما سميا الغريين لحسنهما ، ثم ذكر قصة بنائهما وهو أن المنذر بن أمرىء القيس بن ماء السماء وهو أحد مشاهير ملوك العرب كان له نديمان من بني أسد يُقال لأحدهما خالد بن نضلة وللآخر عمر بن مسعود ، فثملا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فأمر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حيين ، فلما أصبح استدعاهما فأخبر بالذي أمضاه فيهما فغمه ذلك وقصد حفرتهما وأمر ببناء طربالين عليهما وهما صومعتان ، فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري لا يمر أحد من وفود العرب إلاّ بينهما وجعل لهما يوم بؤس ويم نعيم يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويغري بدنه الطربالين ، فإن رفعت له الوحش طلبها الخيل وإن رفع طائر أرسل عليه الجوارح حتى يذبح ما يعن ويطليان بدمه ولبث بذلك برهة من دهره وسمي أحد اليومين يوم البؤس وهو اليوم الذي يقتل فيه ما ظهر له من إنسان وغيره وسمي الآخر يوم النعيم يحسن فيه إلى كل من يلقى من الناس ويحملهم ويخلع عليهم ، ثم ذكر سبب أبطال هذه السنة فقال : فلم يزل على ذلك حتى مر به في بعضَ أيام البؤس رجل من طي يُقال له حنظلة فقرب ليقتل ، فقال : أبيت اللعن أني أتيـ ك زائراً

ولأهلي من بحرك مائراً فلا تجعل ميرتهم ما توررده عليهم من قتلي ، قال له المنذر : لا بد من قتلك فسل حاجتك تقضي لك قبل موتك ، فقال : تؤجلني سنة أرجع فيها إلى أهلي فأحكم فيهم بما أريد ، ثم أسير إليك فينفذ في أمرك ، فقال له المنذر : ومن يكفلك إنك تعود فنظر في وجوه جلسائه فعرف شريك بن عمرو بن شراحيل الشيباني فقال :

يا شريك يابن عمرو هل من الموت محاله
يا شريك يابن عمرو يا أخا من لا أخا له
يا أخا المنذر فك اليـ ـوم رهناً قد أناله
يا أخا كل مضاف وأخا من لا أخا له
إن شيبان قبيل أكرم الناس رجاله
وأبو الخيرات عمرو وشراحيل الحما له
رقباك اليوم في المجد وفي حسن المقاله

فوثب شريك وقال : أبيت اللعن يدي بيده ودمي بدمه إن لم يعد لأجله ، فاطلقه المنذر ، فلما كان من القابل قعد المنذر في مجلسه في بؤسه ينتظر حنظلة فأبطأ عليهم فقدم شريك ليقتل ، فلم يشعر إلاَّ وراكب قد طلع وإذا هو حنظلة وقد تحنط وتكفن ومعه نادبته تندبه ، فلما رأى المنذر ذلك عجب من وفائه وقال : ما حملك على قتل نفسك ؟ فقال : أيها الملك إن لي ديناً يمنعني من الغدر ، قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية فاسحسن ذلك منه واطلقهما معاً وأبطل تلك السُّنة وكان سبب تنصره وتنصر أهل الحيرة فيما زعموا .

قال وروى الشرقي بن القطامي قال : الغري الحسن من كل شيء وإنما سُميا الغريان لحسنهما وكان المنذر بناهما على صورة غريين كان بعض ملوك مصر بناهما انتهىٰ محل الحاجة من نقله ، ويُقال أن يوم البؤس ويوم النعيم كانا للنعمان بن المنذر ، ونقل في (المستطرف)

قصة الطائي وشريك مع النعمان ، كما أنه ذكر أن شريك هو ابن عدي ابن شرحبيل وأن الطائي قال له :

يا شريك بن عدي ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلي بضمان والتزام
ولك الله بأني راجع قبل الظلام

وإنه طلب تأجيل قتله آخر النهار لأن لقياه النعمان كان أول النهار وأن النعمان صار يقول لشريك إن صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك علي سبيل حتى يأتي المساء وإنه لما أتى الطائي مساء ، قال : والله ما رأيت أعجب منكما ؟ أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه ولا ذكراً يفتخر به ، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء ، فلا أكون أنا الأمر الثلاثة إلّا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك .

قلت : والله اعلم بحقيقة الحال ، وكانت أرض النجف في أيام ملوك الحيرة أرضاً خضراء مأهولة بالأعراب وكانت على حالها حتى تمصرت الكوفة في سنة ١٧ من الهجرة أو (١٩) أو بينهما ، فكانت أرض النجف كمنتزه لأهل الكوفة وكان أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافته في الكوفة يخرج منفرداً إلى النجف ويشتغل بالعبادة هناك وربما كان يخرج إليها مع الخواص من أصحابه ويحدّثهم بفضل تلك الأرض المقدسة ، كما في حديث كميل بن زياد ونقل المجلسي رحمه الله عن بعض مؤلفات أصحابنا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم يصلي بالغرى إذ أقبل رجلان معهما تابوت على ناقة فحطا التابوت وأقبلا إليه

، فسلما عليه فقال عليه السلام : من أين أقبلتما ؟ قالا : من اليمن . قال : وما هذه الجنازة ؟ قالا : كان لنا أب شيخ كبير فلما أدركته الوفاة أوصىٰ إلينا أن نحمله وندفنه في الغرى ، فقلنا : يا أبانا إنه موضع شاسع بعيد عن بلدنا وما الذي تريد بذلك ؟ فقال : إنه سيدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله أكبر الله أكبر أنا والله ذلك الرجل ، ثم قام فصلّىٰ عليه ودفناه ومضيا من حيث أقبلا .

قلت : والذي يفهم من هذا الخبر أن فضل أرض النجف كان معروفاً لدى العلماء من الناس قبل أن يدفن أمير المؤمنين عليه السلام والذي يزيدنا تبصراً في ذلك ما نقله في (معجم البلدان) عند ذكر بإنقيا بكسر النون وإنها ناحية من نواحي الكوفة ، قال : وفي أخبار إبراهيم الخليل عليه السلام خرج من بابل على حمار له ومعه ابن أخيه لوط يسوق غنماً ويحمل دلواً على عاتقه حتى نزل بإنقيا وكان طولها اثني عشر فرسخاً وكانوا يزلزلون في كل ليلة ، فلما بات إبراهيم عندهم لم يزلزلوا فقال لهم شيخ بات عنده إبراهيم عليه السلام والله ما دفع عنكم بشيخ بات عندي فإني رأيته كثير الصّلاة فجاؤوه وعرضوا عليه المقام عندهم وبذلوا له البذول ، فقال : إنما خرجت مهاجراً إلى ربي ، وخرج حتى أتى النجف ، فلما رآه رجع أدراجه أي من حيث مضىٰ فتباشروا وظنوا إنه رغب فيما بذلوا له ، فقال لهم : لمن تلك الأرض ؟ يعني النجف . قالوا : هي لنا ، قال : فتبيعونها ؟ قالوا : هي لك فوالله ما تنبت شيئاً ، فقال : لا أحبها إلاّ شراء فدفع إليهم غنيمات كن معه بها والغنم يُقال لها بالنبطية نقيا ، فقال : أكره أن أخذها بغير ثمن فتصنعوا ما صنع أهل بيت المقدس بصاحبهم ووهبوا له أرضهم ، فلما نزلت بها البركة رجعوا عليه ، وذكر إبراهيم عليه السلام أنه يحشر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد فاليهود تنقل موتاها إلى هذا المكان لهذا السبب إلى هنا كلام ياقوت في معجم البلدان ، وقوله

سبعون ألف شهيد أي لهم ثواب الشهداء وقوله : فاليهود تنقل موتاها أي أهل الكتاب الذين عرفوا حديث إبراهيم والتخصيص باليهود من إجتهاد ياقوت وإلاَّ فمن جاء بعد إبراهيم ممن آمن بإبراهيم عليه السلام وصدقه كان ينقل موتاه في هذا المكان المقدس ويؤيد ما نقله ياقوت في المعجم الخبر الذي رواه الصدوق رحمه الله في (علل الشرائع) ونقله المجلسي طاب ثراه في مزار البحار وهو مضمون ما نقله وفيه زيادة أن إبراهيم عليه السلام رغب في أن ما يحشر منها يكون في ملكه وفي العصر المشؤوم الأموي كانت النجف برية خضراء واسعة فيها قرية صغيرة وفي تربتها الخضراء محل كبير ترتع فيه الظباء ويقصده الناس للصيد والقنص وعمرت هذه البرية بقصور وأنهار جارية في العصر العباسي وكثرت فيها البساتين حتى اتخذت كمضيف للمترفين من العباسيين وغيرهم ، ولم يكن يوجد للقبر الشريف أثر في أيام بني أميّة وكان أمره مكتوماً ، ولذلك اختلف غير الشيعة من الناس في محله . أما الشيعة فقد اجمعوا أنه بالغرى في المشهور الآن ما رووه خلفاً عن سلف إلى أئمة الدين صلوات الله عليهم أجمعين ، فإنهم كانوا يزورونه هناك ، وكان لا يعرف ذلك إلاَّ الخواص من الشيعة إلى أن ورد الصادق جعفر بن محمد عليه السلام الحيرة في زمن السفاح بينه لشيعته ، ومن هذا اليوم إلى الآن يزوره كافة الشيعة في ذلك المكان والذين زاروا قبر أمير المؤمنين عليه السلام مع الصادق وبأمره في موضعه الآن هم صفوان الجمال ومعاوية ابن عمار ومحمد بن مسلم وعمر بن يزيد وإبان بن تغلب وغيرهم من أصحابه ، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد أن قبره بالغرى وما يدعيه أصحاب الحديث يعني من السنين من الاختلاف في قبره وأنه حمل إلى المدينة أو أنه دفن في رحبة الجامع أو عند باب الإمارة أو ذود البعير الذي حمل عليه فأخذته الأعراب باطل لا حقيقة له وأولاده أعرف بقبره وأولاد كل أحد أعرف بقبور آبائهم من الأجانب وهذا القبر الذي زاره بنوه لما قدموا العراق منهم جعفر بن محمد إلى آخر ما قال .

وقال المفيد في الإرشاد حدثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة قال حدثني عبد الله بن حازم قال : خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغريين فرأينا ظباء ، فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجاولتها ساعة ثم لجأت الظبأ إلى أكمة فصعدت عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب ، فتعجب الرشيد من ذلك ، ثم أن الظبأ هبطت من الأكمة فنهضت الصقور والكلاب ، فرجعت الظبأ إلى الأكمة فتراجعت عنها الكلاب والصقور ففعلن ذلك ثلاثاً ، فقال هارون اركضوا فمن لقيتموه فأتوني به ، فأتيناه بشيخ من بني أسد فقال له هارون : أخبرني ما هذه الأكمة ؟ قال : إن أخبرتك لي الأمان ؟ قال : لك عهد الله وميثاقه . قال : حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام جعله الله حرماً لا يؤتي إليه شيء إلاَّ أمن، فنزل هارون فدعىٰ بماء فتوضأ وصلّىٰ عند الأكمة وتمرغ عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا ، قال محمد بن عائشة : فكان ذلك في قلبي فلما كان بعد ذلك حججت إلى مكة فرأيت بها ياسراً من رجال الرشيد فكان يجلس معنا إذا طفنا فجرى الحديث إلى أن قال قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقد قدمنا مكة ونزلنا الكوفة : يا ياسر قل لعيسىٰ بن جعفر فليركب ، قال : فركبا جميعاً وركبت معهما حتى إذا صرنا إلى الغريين ، فأما عيسىٰ فطرح نفسه فنام وأما الرشيد فجاء إلى الأكمة وصلّى عندها وكلما صلّىٰ دعا وبكىٰ وتمرغ على الأرض ، ثم قال : يابن عم أنا والله أعرف فضلك وسابقتك وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه وأنت أنت ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون عليّ ، ثم يقوم فيصلي ويعيد هذا الكلام ويدعو ويبكي حتى إذا كان وقت الفجر قال لي : يا ياسر أقم عيسىٰ ! فأقمته فقال له : قم وصلّ عند قبر عمك ، قال له : وأي عم مني ؟ قال : هذا قبر علي بن أبي طالب فتوضأ عيسىٰ وقام وصلّى ، فلم يزالا كذلك حتى طلع الفجر فقلت يا أمير المؤمنين أدرك الصبح فركبنا فرجعنا إلى الكوفة .

وفي فرحة الغري : بعد نقل هذا الخبر وذكر صفي الدين محمد بن مسعد نحو هذا المتن في رواية رآها في بعض الكتب الحديثة القديمة وأسنده بما صورته ، قال : حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا عبد العزيز بن يحيىٰ قال حدثنا محمد بن دينار العتبي ، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ، قال : حدثنا عبد الله بن حازم بن خزيمة ، قال : خرجنا مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية وذكر نحو المتن ، فلما وصل إلى آخره زاد فيه بعد قوله ورجعنا إلى الكوفة ، ثم أن الرشيد خرج إلى الرقة وأنا معه فقال لي ذات ليلة ونحن بالرقة وذلك بعد سنة فقال لي : يا ياسر تذكر ليلة الغريين ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : أتدري قبر من ذلك ؟ قلت : لا . قال : قبر علي بن أبي طالب عليه السلام، قلت : يا أمير المؤمنين تفعل هذا بقبره وتحبس أولاده ؟ فقال : ويحك إنهم يؤذونني ويحرجوني إلى ما أفعل بهم أنظر إلى من في الحبس منهم ببغداد والرقة ، فكانوا مقدار خمسين رجلاً ، فقال : ادفع إلى كل رجل منهم ألف درهم وثلاثة أثواب وأطلق جميع من في الحبس منهم ببغداد والرقة ، قال ياسر ففعلت ذلك فما لي عند الله حسنة أكثر منها ؟ فقال ابن عائشة : فصدق عندي حديث ياسر ما حدّثني به عبد الله بن حازم .

وفي فرحة الغرى أيضاً عن ابن الطحال أن الرشيد بنىٰ عليه بنياناً بآجر أبيض أصغر من هذا الضريح اليوم ، يريد الضريح الذي كان في عصره ، قال : ولما كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنياً عليه تربة وحصباً وأمر الرشيد أن يبني عليه قبة فبنيت من طين أحمر وطرح على رأسها جرة خضراء ، قال وهي في الخزانة إلى اليوم .

وفي عمدة الطالب : بعد ذكر زيارة الرشيد للقبر الشريف ثم أن هارون أمر فبنيت عليه قبة وأخذ الناس في زيارته والدفن لموتاهم حوله إلى إن كان زمن عضد الدولة فناخسرو بن بوية الديلمي عمره عمارة

عظيمة وخرج على ذلك أموالاً جزيلة وعين له أوقافاً ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكان قد ستر له عدة حيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة المشهد وقد بقي من عمارة عضد الدولة قليل وقبور آل بوية هناك ظاهرة مشهورة لم تحترق ، انتهى .

قلت ولعضد الدولة خدمات كثيرة لأرض النجف ، فمن ذلك بناؤه أول سور حصن تلك الأرض المقدسة وحفظها من شرار الأعراب ، ومنها بناؤه دوراً حول المشد المقدس للسدنة وأشراف المجاورين ، ومنها إجرائه النفقات السنوية عليهم ، ومنها زيارته المتكررة ترغيباً لغيره من الملوك والأعيان ، منها إجراءه الماء لتلك البقعة الطاهرة وإصلاحه الداثر من الأبار والأنهار التي كانت تنقل الماء من الفرات إليها .

ومنها : اتخاذه مقبرة حول المشهد العلوي للبويهيين وكان هو أول من دفن من قومه وكانت وفاته في شهر شوال سنة ٣٧٢ من الهجرة المباركة وخدماته لقبر الحسين عليه السلام والكاظمين عليهما السلام لا تقل عن خدماته لقبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وقلّده في أعماله هذه غيره من سلاطين آل بويه وخدموا الحضرات المقدسة بخدمات جليلة وفي أول زيارة زارها عضد الدولة يقول الصابي أبو إسحاق من قصيدة :

توجهت نحو المشهد العلم الفرد ... على اليمن والتوفيق والطائر السعد
تزور أمير المؤمنين فيا له ... ويا لك من مجد منيخ على مجد
فلم ير فوق الأرض مثلك زائراً ... ولا تحتها مثل المزور إلى اللحد
مددت إلى كوفان عارض نعمة ... يصوب بلا برق يروع بلا رعد
وتابعت أهليها ندى بمثوبة ... فرحت إلى فوز وراحوا إلى رفد

والظاهر أن هذه الزيارة التي ذكرها السيّد الأجل السيد عبد الكريم بن طاووس في كتابه فرحة الغرى قال (ره) : حدّثنا

يحيىٰ بن عليان الخازن بمشهد مولانـا أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب عليه السلام أنه وجد بخط الشيـخ أبي عبد الله بن محمـد السرف المعـروف بابن البـرسي رحمه الله المجـاور بمشهد الغـرى سلام الله على صـاحبه على ظهر كتاب بخـطه قال : كـانت زيارة عضـد الدولـة للمشهدين الشـريفين الـطاهريين الغـروي والحائـري في شهر جمـادي الأولى في سنة إحـدى وسبعين وثـلاثمائـة وورد مشهد الحـائر لمـولانا الحسين عليه السلام لبضـع بقين من جمــادي ، فـزاره صلوات الله عليــه وتصـدق وأعــطىٰ النـاس على اختــلاف طبقـاتهم وجعــل في الصنـدوق دراهم ففــرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم إثنان وثلاثـون درهماً وكـان عددهم الفين ومـائتي اسم ووهب للعـوام والمجـاورين عشـرة آلاف درهم ، وفـرق على أهـل المشهدين من الدقيق والتمر مائة ألف رطل ومن الثياب خمسمائـة قطعـة وأعطىٰ الناظـر عليهم ألف درهم وخرج وتـوجه إلى الكـوفة لخمس بقين من جمادي المؤرخ ودخلها وتـوجه إلى المشهـد الغرى يـوم الإثنين ثاني يـوم وروده ، وزار الحرم الشـريف وطرح في الصنـدوق دراهم فـأصـاب كل واحد منهم أحد وعشرون درهمـاً وكان عـدد العلويين ألف وسبعمائـة اسم وفــرق على المجــاورين وغيــرهم خمسمــائــة ألف درهم وعـلى المتـرددين خمسمائـة ألف درهم وعلى الناحيـة ألف درهم وعلى الفقـراء والفقهاء ثلاثين ألف درهم وعلى المغتـريين من الخازن والبـواب على يد أبي الحسن العلوي وعلى يـد أبي القـاسم بن أبي عــائـد وأبي بكــر بن سيار رحمه الله انتهىٰ وقـد أزاد الملوك والأعيان بعـد عمارة عضـد الدولـة في النجف الأشـرف وفي الروضـة العلوية عمـارات كثيـرة منهم الخليفـة الناصر والمستنصر وعمل هذا الأخير للمـرقد المقـدس الضريـح الشريف وبـالـغ فيـه كمـا في فـرحـة الغـرى ، أي بـالـغ في حسن صنعـه أو في قيمته .

وفي الفـرحة أيضـاً أن الصاحب عـطاء الملك بن محمد الجـويني صـاحب ديوان الـدولة الايلخـانية عمـل الربـاط وكان وضـع أسـاسـه سنة

ست وسبعين وستمائة وابتدأ تحقق الحفر للقناة إليه سنة اثنتين وستين وستمائة وأجرى الماء في النجف في شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، وقد كان سنجر بن ملكشاه أجهد في ذلك من قبل فلم يتفق له ، ذكره ابن الأثير الجزري في تاريخه وآثار البناء باقية انتهى ، وللملوك الصفوية خدمات لهذه البقعة الطاهرة تذكر فتشكر فإن الشاه إسماعيل الأول لما زار العتبات العالية ورأى ما يقاسيه سكان النجف من عدم الماء وذلك لاندثار القنوات في أيامه أوصل إليهم الماء ووقف البساتين التي على حافتيه على المحقق الشيخ علي الكركي وذريته وكان النهر الذي أوصله إلى النجف نهراً عامراً لكن لم تطل الأيام حتى لعبت به الحوادث .

وللشاه عباس الأول خدمات كثيرة منها : بناؤه سور الصحن الشريف ويُقال أنه كان بهندسة الشيخ البهائي رحمه الله ، وضعه على نحو أن كل حجرة من الحجرات الشريفة التي هي في أطراف الصحن المقدس يقابل كوكباً من الكواكب المربية للعلوم بحيث إذا كان طالب العلم الرياضي في حجرة تقابل الكواكب المربي للعلم الرياضي ، تعلم ذلك العلم بمدة قليلة ووضع جدار الصحن على نحو يتحقق أول الظهر في أي فصل كان من فصول السنة بوصل الشمس إلى الجدار
وبني الشيخ البهائي (ره) مكاناً في الصحن لمحافظةنعال الزائرين .
وكتب عليه :

هذا الأفق المبين قد لاح لديك	فاسجد متذللاً وعفر خديك
ذا طور سنين فاغضض الطرف به	هذا حرم الغرة فاخلع نعليك

وعمر هذا الملك رواق عمران بن شاهين المعروف وقيل إن الشاه صفي الصفوي هو الذي عمر رواق عمران بن شاهين ولهذا الرواق قصة ذكرها في فرحة الغرى ونقلها جماعة وهي أن عمران بن شاهين من أهل العراق عصى علي عضد الدولة ، فطلبه طلباً حثيثاً فهرب منه إلى المشهد العلوي مختفياً فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه

يقول له يا عمران في غد يأتي فناخسرو إلاّ المكان فيخرجون من بهذا فتقف أنت هٰهنا وأشار إلى زاوية من زوايا القبة فإنهم لا يرونك فسيدخل ويزور ويصلّي ويبتهل في الدعا والقسم بمحمد وآله أن يظفره بك فادن منه وقل له أيها الملك من هذا الذي قد ألححت بالقسم بمحمد وآله أن يظفرك به فيقول رجل شقي ونازعني في ملكي وسلطاني فقل ما لمن يظفرك به فيقول ان حتم عليّ بالعفو عنه عفوت عنه فاعلمه بنفسك فإنك تجد منه ما تريد فكان كما قال له ، فقال : أنا عمران بن شاهين ، قال من أوقفك هٰهنا ؟ قال له : هذا مولانا ، قال : في منامي غداً يحضر فنا خسرو إلى هٰهنا وأعاد عليه القول فقال له : بحقه عليك قال : لك فناخسرو ، قلت : أي وحقه ، فقال عضد الدولة ما عرف أحد أن إسمي فناخسرو إلاّ أُمي والقابلة وأنا ، ثم خلع عليه خلعة الوزراء وطلع من بين يديه إلى الكوفة ، وكان عمران بن شاهين قد نذر عليه أنه متى عفى عنه عضد الدولة أتىٰ إلى زيارة أمير المؤمنين حافياً حاسراً ، فلما جنه الليل خرج من الكوفة وحده فرآى علي بن طحال أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول له : أقعد لوليي عمران بن شاهين وافتح الباب فقعد وفتح الباب وإذا بالشيخ قد أقبل فلما وصل قال له : بسم الله مولانا ، فقال له : ومن أنا ؟ فقال : عمران بن شاهين . قال : لست بعمران بن شاهين ؟ قال : بلىٰ أن أمير المؤمنين أتاني في منامي وقال لي : افتح لوليي عمران بن شاهين . قال له : بحقه هو؟ قال : لك . قال : أي وحقه هو؟ قال لي ، فوقع على العتبة يقبلها وأحاله على ضامن السمك بستين ديناراً وكانت له زواريق تعمل في الماء لصيد السمك .

قال (ره) أقول : وبنِي الرواق المعروف برواق عمران في المشهدين الشريفين الغروي والحائري .

قلت : وكان هذا الرواق معروفاً بإسم بانيه إلى أن جدده الصفويون وجدد الشاه الصفي عمارة القبة المنورة والمرقد الطاهر وكان المتولي من قبله في ذلك وزيره الميرزا تقي خان المازندراني، وأنجز

عمله في ضمن ثلاث سنوات ونقلوا صخراً من نواحي النجف الأشرف كان في غاية الصفاء وحسن اللون عثروا عليه هناك فاستغنى من إتيان الصخور من محل آخر وكانوا يعدون ذلك من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام ولإنسداد القنوات أمر الشاه صفي بإجراء الماء إلى أرض النجف من الفرات وبعد هذه العمارات حدثت تجديدات وتلحيظات في المرقد الأطهر وفي الصحن الشريف حتى عصر السلطان نادر شاه الذي دوخ الملوك وكان خلف الصفوية في بلاد فارس فيقال أنه كان نذر لله أن يقوم لأمير المؤمنين عليه السلام بخدمة لم يقم بها غيره من الملوك ، فقام بتذهيب القبة والمنائر وتجديد ما كان يحتاج للتجديد من الصحن والرواق وقيل إنه لم يكن يعرف شيئاً من الأديان ، ولما أخذ بغداد رأى الزوار يسيرون إلى النجف الأشرف ، فسأل عنهم أرباب دولته قائلاً : إلى أين يسيرون هؤلاء ؟ فقال له وزيره الميرزا مهدي خان : يسيرون إلى زيارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقال : ومن هو حتى يُزار ؟ فقال له الوزير : هو وصي رسول الله وأخوه وزوج إبنته . فقال : هل يرون هناك شيئاً من الكرامات ؟ قالوا : نعم ، قال : يا ميرزا مهدي خان أن أُريد أن أنظر كرامة بعيني وإلاَّ أخذت رأسك وهدمت قبة علي بن أبي طالب ، فقال : نعم يا مولانا إن حضرة علي بن أبي طالب عليه السلام لم يدخلها الخمر ولا الكلاب أما الخمر فتستحيل خلاً ، وأما الكلاب فتموت أو تفر ، فمر يحّمل الخمر وخذ الكلاب هناك لتنظر صحة ما ذكرت فأمر نادر شاه بحمل ثلاثة أباريق من الخمر وثلاثة كلاب وسلسها بسلسلة من الذهب وقبض رأس السلسلة بيده وختم الخمر بخاتمه وأمر بالسير إلى النجف ، فلما قربوا من الأرض المقدسة وإذا بالكلاب قطعت السلاسل وهربت لوجوهها فتعجب نادرشاه من ذلك ونظر إلى أبارق الخمر وإذا هي خل من أحسن الخل ، فخر للأرض ساجداً تعظيماً لأمير المؤمنين عليه السلام وأمر ببناء ذلك البنيان المقدس وفي هذه الكرامة يقول الميرزا زكي خان

الملقب بنديم الشاه شعراً بالفارسية :

در خاك نجف ندیم آسوده بخواب — أندیشه مکن زپرسش روز حساب
جائیکه بدل بسرکه گردد می ناب — بی شبهه شود گنه مبدل بثواب

ولما أراد الدخول إلى الصحن الشريف لم يتجاسر على الدخول فأمر بسلسلة من الذهب ، وقال : ألقوها في عنقي وجروني كالكلب إلى باب علي ، فلم يجسر أحد على ذلك وإذا بشخص أقبل من كبد البر وأخذ السلسلة وألقاها في عنقه وجره إلى باب الصحن ، فلما زار وخرج سأل عمن فعل ذلك فتفقدوا الرجل فلم يجدوه ، ولما كملت القبة الشريفة سألوا عما يكتبوا في قنتها فقال اكتبوا : (يد الله فوق أيديهم) فكتبوا ذلك ، فقال الوزير للبنائين : أن نادرشاه رجل أعجمي لم يقرأ ولم يكتب فسلوه عما قال فإن الله أجرى ذلك على لسانه فسألوه فقال : كتبوا ما قلت لكم بالأمس وآثار نادرشاه كثيرة وإسمه إلى اليوم مكتوب على البنيان وفي القبة الشريفة وفي تاريخ الشروع في تذهيبها وتذهيب المنائر الكريمة يقول السيد نصر الله الحائري رحمه الله من قصيدة أولها :

إذا ضامك الدهر يوماً وجارا — فلذ بحمى أمنع الخلق جارا

وأحسن بيت فيها في القبة المباركة :

هي النار نار الكليم التي — عليها الهدى قد تبدي جهارا

وبيت التاريخ :

تبدي سناها عياناً فأرخت — (أنست من جانب الطور نارا)

ويقول السيد حسين بن ميررشيد طاب ثراه من قصيدة :

أمطلع الشمس قد راق النواظر أم — نار الكليم بدت من جانب الطور
أم قبة المرتضى الهادي بجانبها — منارتا ذكر تقديس وتكبير
وصدر أيوان عز راح منشرحاً — صدر الوجود به في حسن تصدير

إلى أن يقول فيها :

قـد بان تـذهيبها عن أمـر معتضـد　　بالنصر للحق عـالي القدر منصـور

إن شهـادة هذا الأديب الفـاضل يكـذب المنقـول عن نـادر أنـه لم يكن يعـرف شيئاً من الأديان ويمكن أن يُقال أن هذا الشعـر إنما قيـل فيه بعد تبصره واتخاذه دين الحق فلا تكذيب للمنقول المحتمل الصدق :

أغوث البرايا شهنشاه الـزمان عـلا　　النـادر الملك مغوار المغـاويـر

أدامـه الله ذو العـرش المجيـد لنـا　　كهفـاً ودافـع عنـه كـل محـذور

وبيت التاريخ :　　١١٥٥

يـا طـالبـاً عـام إبـداء البنـاء لهـا　　أرخ تجلي لكم (نـور على نـور)

وعلى ذكر القبة الشريفة أحب أن أنقل مـا يختص بهـا من قصيـدة عبد الباقي أفندي العمري قال :

قبـة المـرتضىٰ علي تعـالىٰ　　شأنهـا عن مـوازن وعـديـل

من نضـار صيغت بغير نـظير　　فـي مثـال منـزه عن مثيـل

فـوقهـا كـالإكليـل لاح هــلال　　رمقتـه السهـام بـطرف كليل

كبـرت فـاستقلت الفلك الــدو　　ار عنـهـا بأن يـرى من بـديـل

جللت مـرقـداً جليـلاً تجلت　　فـوقـه هيبـة المليـك الجليـل

فـعلىٰ قبـة السمـاء إذا مـا　　فضلوهـا أقـول بـالتفضيـل

هي بـاء مقلوبـة فـوق تلك الـ　　ـنقـطة المستحيـلة التـأويـل

هي فلك بـل ما عليـه استـوى　　الفلك ومن فوق لوحه من قبيل

هي كهف النجاة طور المناجاة　　ثمـال العفـاة مـأوى الـدخيـل

هي حق للجوهر الخاص ما للـ　　ـعرض العام عندها من مقيل

هي ظل ما ضـل من قال يـومـاً　　بحمـاها من تحت ظـل ظليـل

هي غمـد لـذي فقـار بـطين　　من سيـوف اللّه العلي صقيـل

هي غـاب ثـوى بـه أسـد اللّه　　علـيٌ بصـدر أشـرف غيـل

ذاك ليث أردى العدى بزئير ... وحسام أبادهم بصليل
كورة لليعسوب مازج صرف ... الشهد منها أطايب الزنجبيل
كرة مستديرة فوق قطب ... دبر الكائنات بالتعديل
أفرغتها يمنىٰ المفاخر من تبر ... المعالي في قالب التبجيل
صبغتها بالنور أيدي التجلي ... بقدامي من خافقي جبرائيل
فغشاها النور الإلهي حتى ... بخيال جلّت عن التخييل
قد حوي فصل بابها جمل الفضـ ... ـل التي قد غنين عن تفصيل
كعروس بدت بوجه جميل ... بسبى شمس الضحىٰ بخد أسيل
هي في الليل مثلها في نهار ... وبوقت الضحىٰ كوقت الأصيل
قابلتها البدور باللثم ليلاً ... وشموس النهار بالتقبيل
صحنها كالقنديل يزهو صفاء ... وهي تحكي ذبالة القنديل

وللملوك القاجارية خدمات لهذه البقعة المباركة لا تقل عن خدمات غيرهم ، فإن السلطان محمد شاه القاجاري جدد الضريح الفضي المشبك الموضوع على قبر أمير المؤمنين عليه السلام ووسعه ، وفي أيام فتح علي شاه أهدى وزيره الحاج محمد حسين الأصفهاني الصدر الأعظم باباً من الفضة للحرم الشريف واقتدى به الناس في بقية الأبواب وحصن النجف بسور رفيع بذل عليه أموالاً طائلة لمنع غارات الوهابيين إضافة إلى السور القديم الذي كان مهدداً بتلك الغارات لانخفاضه وانحطاطه ويُقال أن هذا السور بني بأمر الشاه على يد وزيره المذكور ، أما ناصر الدين شاه فقد صنعت في أيامه أبواب فضية للحضرة المقدسة ، منها على نفقته الخاصة ومنها على نفقة غيره وتجددت بعض العمارات وعلقت القناديل الذهبية والفضية وأهدي تاجاً مرصعاً بالدر والجوهر فيه الماسة مكتوب عليها سورة الملك ووسع الصندوق الفضي الذي على القبر الشريف فوق الصندوق النادري وتنقل له خدمات جليلة أيام زيارته الحضرة المعلوية ، وللعثمانيين خدمات وإصلاحات كثيرة وعمارات للصحن الشريف وللبلدة المقدسة

تتجدد كل سنة إلى يومنا هذا ومن هنا فلنذكر شيئاً مما ورد عن أئمة الدين في فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، عن المفضل بن عمر الخثعمي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له يابن رسول الله إني اشتاق إلى الغرى، قال: فما شوقك إليه؟ قلت له: إني أحب أن أزور قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لي: هل تعرف فضل زيارته؟ فقلت: لا، ألا تعرفني ذلك؟ قال: إذا زرت قبر أمير المؤمنين فاعلم أنك زائر عظام آدم عليه السلام وبدن نوح وجسم علي عليه السلام، فقلت: يابن رسول الله يقولون أن جسد آدم عليه السلام هبط بسرا نديب في مطلع الشمس وزعموا أن عظامه في بيت الله الحرام، فكيف صارت عظامه بالكوفة، فقال: إن الله عزّ وجلّ أوحىٰ إلى نوح وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً وطاف بالبيت كما أوحىٰ إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبتيه واستخرج تابوتاً فيه عظام آدم فحمله في جوف السفينة حتى طاف ما شاء الله أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها وفيها قال الله تعالىٰ للأرض إبلعي ماءك فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء منه وتفرق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة، فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغرى وهو قطعة من الجبل الذي كلّم الله به موسىٰ تكليماً وقدّس عليه عيسىٰ تقديساً واتخذ عليه محمداً وجعله للنبيين مسكناً، فوالله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين آدم ونوح أكرم من علي بن أبي طالب، فإذا زرت جانب الكوفة النجف فزر عظام أمير المؤمنين عليه السلام فإنك زائر الإباء الأولين ومحمد خاتم النبيين وعلي سيّد الوصيين عليهم السلام، وإن زائره تفتح له أبواب السماء عند دعوته فلا تكن عند الخير نواماً.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: حدّثني أبي عن جده الحسين قال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها، فقال: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها، فقال: يا أبا الحسن إن الله تعالىٰ جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة

وعرصة من عرصاتها وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً إلى الله تعالىٰ ومودة معهم لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي الواردون حوضي وهم زواري غداً في الجنة ، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ومن زار قبوركم عدل ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام ويخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتك كيوم ولدته أمه ، فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وعنه عليه السلام : من زار قبر أمير المؤمنين عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر وبعث من الآمنين وهون عليه الحساب واستقبلته الملائكة ، فإذا انصرف شيعته إلى منزله فإن مرض عادوه وإن مات شيعوه بالاستغفار إلى قبره ، وعنه يابن مارد من زار جدي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة والله يابن مارد ما تطعم النار قدماً في زيارة أمير المؤمنين ماشياً كان أو راكباً ، يابن مارد أكتب هذا الحديث بماء الذهب ، وعنه عليه السلام قال : إن إلى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروب قط فصلّىٰ عنده ركعتين أو أربع ركعات إلاّ نفس الله كربة وقضىٰ حاجته ، قال : قلت قبر حسين بن علي ؟ فقال لي : برأسه لا فقلت قبر أمير المؤمنين ؟ فقال: برأسه نعم ، وفي خبر آخر من زار قبر أمير المؤمنين ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة ، فإذا رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين .

وعن يونس بن أبي وهب القصري قال : دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله فقلت له : أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين ، فقال : بئس ما صنعت لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك ألا تزور من يزوره الله مع

الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنين ، قلت : جعلت فداك ما علمت ذلك ؟ قال : فاعلم أن أمير المؤمنين عند الله أفضل من الأئمة كلهم وله ثواب أعمالهم وعلى قدر أعمالهم فضلوا .

وعنه عليه السلام : أن أبواب السماء لتفتح عند دخول الزائر لأمير المؤمنين ، والأحاديث في فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة ، فلنكتف بما نقلناه منها ولنختم هذا الفصل بهذا التخميس النفيس لعبد الباقي أفندي العمري والأصل للشيخ صالح التميمي رحمه الله .

القصيدة الهمزيّة في مدح
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يا عليا به تباهي العلاء   وتناهي في نعته الإطراء
ما لمجد شأوت فيه انتهاء   غاية المدح في علاك ابتداء
ليت شعري ما تصنع الشعراء

كنت للمجتبى بحرب وسلم   ووزيراً قائماً بكل مهم
أنت صنو له بعلم وحكم   يا أخا المصطفىٰ وخير ابن عم
وأمير إن عدت الامراء

رتب نلتها بنسبة طاها   قصرت كل رتبة عن مداها
إن نظرنا الأنام من مبتداها   ما نرى ما استطال إلاّ تناهى
ومعاليك ما لهن انتهاء

لذراريك في سما المجد ضوء   وبحضن الأدوار منهن خبأ
يقتفي الختم من سواريك بدء   فلك دائر إذا غاب جزء
من نواحيه أشرقت أجزاء

أو كشمس يغشى سناها الهباء   من غبار تثيره الهيجاء
فيميط الهباء منها الهواء   أو كبدر ما يعتريه خفاء
من غمام إلاّ عراه انجلاء

أنت بحر لكنه غير آجن   لقريش به حمى ومساكن

لك مد قبل التكون كائن يحذر البحر صولة الجزر لكن

غارة المد غارة شعواء

نلت فضلاً أبا تراب فاقصى كل فضل عم الوجود وخصا

وبيوم الحساب لا يستقصى ربما رمل عالج يوم يحصىٰ

لم يضق في رماله الإحصاءِ

ولو أن الإقلام كل نبات ومياه البحار حبر دواة

ضقن عما أظهرت من خارقات وتضيق الأرقام عن معجزات

لك يا من ردت إليه ذكاء

منهجاً للهدى خلقت قديماً جئت تهدي عمياً وتشفي سقيماً

فاتخذناك هادياً وحكيماً يا صراطاً إلى الهدى مستقيماً

وبه جاء للصدور الشفاء

شدت في ذي الفقار للدين أصلا فتسامى قدراً وعز وجلا

وعلى ما أسست قولاً وفعلاً بنى الدين فاستقام ولولا

ضرب ماضيك ما استقام البناء

أنت والحق دمتما بوفاق أنت يوم اللقا على الحوض ساق

أنت ذاك الكرار يوم سباق أنت للحق سلم ما لراق

يتأنى بغيره الارتقاء

فيك خير الأنام أوتي سئلا مثل ما أوتي ابن عمران قبلا

يا أبا شبر وقد صح نقلا أنت هارون والكليم محلا

من نبي سمت به الأنبياء

قل تعالوا ندعو بمحكم ذكر لك فخر بها على كل فخر

أنا أدري وجملة الخلق تدري أنت ثاني ذوي الكسا ولعمري

أشرف الخلق من حواه الكساء

كنت في جيب الغيب معنى يـ ـصان حين لا أعصر ولا أحيان

أيقل الأسرار منك مكان ولقد كنت والسماء دخان

ما بها فرقد ولا جوزاء

بـك ليـل العمـاء ضـاء بـلالي فاستضاء الوجود من ظلمة الغي
درة كنت والـخـلائق لا شـيء في دجىٰ بحـر قدره بين بـردى
صـدف فـيـه لـلوجـود الـضـيـاء

نقـطة أفـرغت ولـيس وعـاء مـلئت حـكـمـة ولا امـلاء
تحت بـاء لهـا العبـاء غـطاء لا الخـلا يـوم ذاك فيهـا خـلاء
فـيـسـمـى ولا الـمـلاء مـلاء

خبـر جـاءنـا بـذا مـأثـور وحـديث مسلسـل مشهـور
عنعنـه عن الصـدور صـدور قـال زوراً من قـال ذلـك زور
وافـتـرى مـن يـقـول ذاك إفـتـراء

قصب السبق من مقـام كـريم حزتهـا من لـدن حكيم عليم
أنت يـا من سبقت في تقـديم آيـة في القـديم صنـع قـديم
قـاهـر قـادر عـلى مـا يـشـاء

هـل أتى في سواك ذكـر حكيم لـك فـي نص آيـة تـعـظيم
أو لم يغن من لـه الجهـل خيم نـبـأ والعـظيم قـال عـظيم
ويـل قـوم لـم يـغـنـهـا الأنـبـاء

خصـك اللّه من لـدنـه بمفخـر في مـزايـا العقـول لا يتصـور
كنت في غـايـة الهـويـة حيـدر لم تكن في العموم من عالم الذر
ويـنـهـىٰ مـن الـعـمـوم الـنـهـاء

إنمـا النـاس إن نـظرت معـاذ فـرقهـا في تفـاضـل متبـاين
خـلني مـن دفـائن وضـغـائن معدن الناس كلها الأرض لكن
أنـت مـن جـوهـر وهـم حـصـبـاء

كم قضينا من نشر تلك المطاوي عجبـاً يوقـع النهي في مهـاوي
ولقـد صح إذ سبـرنا القحـاوي شبه الشكل ليس يقضي تساوي
إنـمـا فـي إلـحـقـائـق الاسـتـواء

لم ينل نجم الأرض مهما تـزيا مثـل نجم السمـا مكـانـاً عليـا
فـاتحـاد الألفـاظ لم يغن شيئـاً لا تفيـد الثرى حـروف الثـريـا
رفـعـة أو يـعـمـه اسـتـعـلاء

روضـة أنـت للعقـول ودوح		يجتني من طوباك رشـد ونصح
ومتى هب من عبيـرك نـفـح		شمل الروح من نسيمك روح
حـيـن مـن ربـه أتـاه الـنـداء

طالما لـلأملاك كنت دليـلاً		ولنـا موسهم هـديت سبيـلاً
يـوم نادى رب السمـا جبرئيـلا		قـائلاً من أنـا فـروى قليـلا
وهـو لـولاك فـأتـه الإهـتـداء

لـك شكـل نتيجـة للقضايـا		لـك قلب للعـالمين مـرايـا
لـك فعل حـوى رفيع المـزايا		لـك اسم رآه خيـر البـرايـا
مـذ تـدلـى وضـمـه الأسـراء

فـوعـاه بـالحس حـداً ورسمـاً		حيث ساوى ومعناه منك مسمى
قبل عرض الأسماء إسماً فإسما		خط مع اسمه على العرش قدما
فـي زمـان لـم تـعـرض الأسـمـاء

أثـر هـذا أبـدي عـوالم ملك		فاطر الأرض والسما ذات حبك
وأنـاط البـروج فيهـا بسـلك		ثم لاح الصباح من غير شـك
وبـدى سـرهـا وبـان الـخـفـاء

فقضـاهـا مـسبب الأسبـاب		نـوبـة لـلأرحام والأصـلاب
وجـرى ما جـرىٰ بـأم الكتـاب		وبـرى الله آدمـاً مـن تـراب
ثـم كـانـت مـن آدم حـواء

وهذه القصيدة الكوثرية للعلامة الحجة السيد رضا نجل آية الله الكبرى السيد محمد الهندي سلمه الله تعالىٰ .

أمفلج ثـغـرك أم جـوهـر		ورحيق رضـا بـك أم سكـر
قـد قـال لثغـرك صانعـه		(إنـا أعـطينـاك الكـوثـر)
والخـال بخـدك أم مسـك		نقـطت بـه الـورد الأحمر
أم ذاك الخـال بـذاك الخـد		فتيت النـد عـلىٰ مجـمـر
عجباً من جمرتـه تـذكـو		وبهـا لا يحتـرق العنبـر
يـا من تبـدو لي وفـرتـه		في صبـح محياه الأزهـر

فأجن به بالليل إذا يغشى والصبح إذا اسفر
إرحم أرقاً لو لم يمرض بنعاس جفونك لم يسهر
تبيض لهجرك عيناه حزناً ومدامعه تحمر
يا للعشاق لمفتون يهوي رشاً أحوى أحور
أن يبد لذي طرب غنى أو لاح لذي نسك كبر
آمنت هوى بنبوته وبعينيه سحر يؤثر
أصفيت الود لذي ملل عيشي بقطيعته كدر
يا من قد أثر هجراني وعليّ بلقياه إستأثر
أقسمت عليك بما أولتك النظرة من حسن المنظر
وبوجهك إذ يحمر حياً وبوجه محبك إذ يصفر
وبلؤلؤ مبسمك المنظوم ولؤلؤ دمعي إذ ينثر
أن تترك هذا الهجر فليس يليق بمثلي أن يهجر
فأجل الأقداح بصرف الرا ح عسى الأفراح بها تنشر
واشغل يمناك بصب الكأ س وخل يسارك للمزهر
فدم العنقود ولحن العود يعيد الخير وينفي الشر
بكر للسكر قبيل الفجر فصفو الدهر لمن بكر
هذا عملي فاسلك سبلي إن كنت تقر على المنكر
فلقد أسرفت وما أسلفت لنفسي ما فيه أعذر
سودت صحيفة أعمالي ووكلت الأمر إلى حيدر
هو كهفي من نوب الدنيا وشفيعي في يوم المحشر
قد تمّت لي بولايته نعم جمت عن أن تشكر
لأصيب بها الحظ الأوفى واخصص بالسهم الأوفر
بالحفظ من النار الكبرى والأمن من الفزع الأكبر
هل يمنعني وهو الساقي أن أشرب من (حوض الكوثر)
أم يطردني عن مائدة وضعت للقانع والمعتر
يا من قد أنكر من آيات أبي حسن ما لا ينكر
إن كنت لجهلك بالأيام جحدت مقام أبي شبر

فـأسأل بـدراً واسـألِ أحـداً	وسـل الأحزاب وسـل خيبر

من دبـر فيهـا الأمـر ومن	أردىٰ الأبـطال ومـن دمـر

من هد حصون الشرك ومن	شـاد الإسـلام ومن عمـر

مـن قـدمـه طـه وعـلى	أهـل الإيمـان لـه أمـر

قـاسوك أبـا حسن بسـوا	ك وهل بالطور يقاس الذر

إنـى سـاووك بمن نـاوو	ك وهـل ساووا نعلي قنبـر

من غيرك يدعى للحـرب	ولـلمحـراب ولـلمنـبـر

أفعـال الخيـر إذا أنتشـرت	في الناس فأنت لهـا مصدر

وإذا ذكـر المعـروف فمـا	لسـواك بـه شيء يـذكـر

أحييت الـدين بـأبيض قـد	أودعت بـه المـوت الأحمر

قـطباً للحـرب يـديـر الضـر	بـويجلوالكرب بيـوم الكـر

فاصدع بـالأمر فنـاصرك الـ	ـبتـار وشـانئـك الأبتـر

لو لم تؤمر بالصبر وكظم الغـ	ـيظ ولـيتـك لـم تـؤمـر

سـأنـال أخـو تـيـم	فتنـاولـه منـه حـبتـر

لكن أعـراض العـاجـل مـا	علقت بـردائـك يـا جـوهـر

أنت المهتم بحفظ الـدين	وغيـرك بـالـدنيـا يغتـر

أفعـالـك مـا كـانت فيهـا	إلاّ ذكـرى لـمـن أذكـر

حججاً ألزمت بها الخصماء	وتـبصـره لـمن استـبصـر

آيـات جلالـك لا تحصىٰ	وصفات كما لـك لا تحصر

من طـول فيـك مـدائحـه	عن أدنىٰ واجـبهـا قـصـر

فـاقبـل يـا كعبـة أمـالي	من هذى مديحي ما استيسر

خـاتمـة

في ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وأزواجه وأصحابه

أما أولاده عليه السلام فهم :

١ ـ الحسن ، و٢ ـ الحسين ، و٣ ـ زينب الكبرىٰ ، و ٤ ـ زينب الصغرىٰ المكناة بأم كلثوم ، ٥ ـ المحسن وأمهم الصديقة فاطمة بنتِ رسول الله صلوات الله عليها وعلى أبيها ، و ٦ ـ محمد الأوسط وأمه امامة بنت أبي العاص بن الربيها وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوجها أمير المؤمنين بوصية من فاطمة صلوات الله عليها ، ومحمد هذا ممن استشهد يوم الطف مع الحسين عليه السلام ، و٧ ـ محمد المكنىٰ بأبي القاسم المعروف بابن الحنفية وأمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة ، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين ، والسبب في عدم خروجه مع أخيه الحسين عليه السلام أنه كان مريضاً بمرض لم يتمكن معه على حمل السلاح ، و٨ ـ العباس ، و٩ ـ جعفر ، و١٠ ـ عثمان ، و١١ ـ عبد الله وأمهم أم البنين فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية ، واستشهدوا جميعاً مع أخيهم الحسين يوم الطف، و ١٢ ـ عمر، و١٣ ـ رقية وأمهما حبيب بنت ربيعة التغلبية ولدتهما توأمين وعاش عمر هذا إلى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ومات وهو ابن سبع وسبعين

سنة ، قيل إنه لم يخرج مع أخيه الحسين لمرض ، وقيل غير ذلك وأخته رقية كان تزوجها مسلم بن عقيل وهي أم عبد الله بن مسلم المقتول يوم الطف ، وأم علي ومحمد إبني مسلم ، و١٤ ـ يحيىٰ ، و١٥ ـ محمد الأصغر وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية ، وقيل ان محمد الأصغر أمه أم ولد والثاني من ولدي أسماء ـ و ١٦ ـ عون بن علي ومات يحيىٰ في حياة أمير المؤمنين صغيراً ومحمد الأصغر كان يكنىٰ بأبي بكر ، قيل قتل يوم الطف وقيل مات صغيراً كأخيه والمقتول يوم الطف هو أبو بكر بن ليلى بنت مسعود النهشلية وقتل عون يوم الطف بلا خلاف ، و١٧ ـ زينب الصغرىٰ وتكنىٰ أم كلثوم الصغرىٰ ، و ١٨ ـ رقية الصغرىٰ وأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفية كانت الأولىٰ عند محمد بن عقيل ، فولدت له عبد الله ، والثانية عند عبد الرّحمٰن بن عقيل فولدت له سعداً وعقيلاً وأم الحسن ،و١٩ ـ الحسن ، و٢٠ ـ رملة وأمهما أم شعيب المخزومية تزوج الأولىٰ أحد أولاد عقيل ، والثانية تزوجها أبو الهياج عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، و٢١ ـ أبو بكر ، و٢٢ ـ عبد الله وأمهما ليلىٰ بنت مسعود النهشلية ، أما أبو بكر فقتل مع أخيه الحسين عليه السلام يوم الطف ، وأما عبد الله فإنه عاش إلى أيام المختار ، وقتل في المذار لم يدر قاتله ، و٢٣ ـ خديجة وأمها المحياة بنت امرىء القيس الكلابية ماتت وهي صغيرة ، و٢٤ ـ أمامة ، و٢٥ ـ أم هانيء ، و٢٦ ـ جمانة ، و٢٧ ـ فاطمة ، و٢٨ ـ تميمة ، و٢٩ ـ ميمونة ، و٣٠ ـ أم الكرام لأمهات شتىٰ فأولاده حسب ما ذكرنا ذكوراً وإناثاً ثلاثون . وقيل أكثر وقيل غير ذلك وتوفي عليه السلام عن أزواج أربع وثمانية عشر أم ولد ، وكان أوصىٰ أن جميع أمهات أولاده يحسبن على أولادهن بما إبتاعهن به وإن غيرهن من إمائه يتحررن من ثلثه صلوات الله عليه ، ولم تتزوج امرأة من نسائه بعده .

ولما خطبت زوجته أمامة روت عنه عليه السلام أنه لا يجوز لأزواج النبي

والوصيّ أن يتزوجن بعده .

أما أصحابه صلوات الله عليه فكثيرون وأقتصرنا هنا على ذكر من وفد منهم على معاوية بعد وفاته ﷺ ذكوراً وإناثاً لاشتمال قصصهم على فضائله ، وشرح خصاله الحميدة ووفائهم له ﷺ في دولة أعدائه وعدم إكتراثهم بما يلاقون في سبيل الحق الوافدون على معاوية وفود جماعة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ على معاوية روي أنه لما أجتمع الناس إلى معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد بن سمية وكان عامله بالكوفة أوفد على أشراف أصحاب علي بن أبي طالب ولهم الأمان وليكونوا عشرة نفر خمسة من أهل الكوفة وخمسة من أهل البصرة ، فلما ورد عليه الكتاب بعث إلى حجر بن عدي وعدي بن حاتم الطائي وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وهانيء بن عروة المرادي وعامر بن واثلة الكناني ، وكان يكنىٰ بأبي الطفيل ودعاهم تجهزوا إلى أمير المؤمنين فقد جعل لكم الأمان وأحب رؤيتكم ، وكتب إلى خليفة بالبصرة أن أوفد إلى الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان وحارثة بن قدامة السعدي وخالد بن معمر السدوسي وشريك بن الأعور ، فلما قدموا عليه أشخصهم جميعاً إلى معاوية ، فلما قدموا على معاوية حجبهم يومهم وليلتهم وبعث إلى رؤساء الشام ، فلما جاؤوا وأخذوا مجالسهم ، قال معاوية لصاحب أذنه : أدخل عليّ حجر بن عدي ، فلما دخل وسلم قال له معاوية : يابن الأدبر القبيح المنظر أنت القاطع منا الأسباب والملتمس بحربنا الثواب والمساعد علينا أبا تراب ؟ فقال حجر : صه يا معاوية لا تذكر رجلاً كان لله خائفاً ولما يسخطه عائفاً وبما يرضي الله عارفاً خميص الضلوع طويل الركوع كثير السجود ظاهر الخشوع قليل الهجوع قائماً بالحدود طاهر السريرة محمود السيرة ناقد البصيرة ملك أمرنا ، فكان كبعضنا لم يبطل حقاً ولم يظلم أحداً ، ولم يقرب غوياً ، ولم يحف بريئاً . ثم بكىٰ حتى نشج ثم رفع رأسه فقال : وأما توبيخك إياي فيما كان من نفسي فاعلم

يا معاوية أني غير معتذر إليك مما فعلت ولا مكترث مما صنعت فاعلم بسرك وأظهر أمرك .

فقال معاوية لصاحب أذنه : أخرجه عني وأدخل عليّ عمرو بن الحمق الخزاعي ، فلما دخل عليه قال له معاوية : يا أخا خزاعة فارقت الطاعة وأشهرت علينا سيفك وأهديت إلينا حيفك فأطلت الأعراض وشتمت الأعراض ودلاك بغرور جهلك المحذور فكيف رأيت صنع الله بصاحبك ؟ قال : فبكىٰ عمرو حتى سقط لوجهه فرفعه الشرطي فقال : يا معاوية بأبي وأمي من ذكرت وتنقصت كان والله العالم بحكم الله المجد في طاعة الله المحدود في غيظ الله الزاهد في الفانية الراغب في الباقية لا يظهر منكراً ولا يظهر تجبراً يعمل بما يرضي الله عنه ويقرّبه منه رحمة الله عليه فقد مزقنا فقده وتمنينا الموت بعده ، فقال معاوية لصاحب أذنه : أخرجه عني وأدخل عليّ عدي بن حاتم الطائي ، فلما دخل عليه قال له معاوية : ما أبقىٰ الدهر من ذكر علي بن أبي طالب ، فقال عدي : وهل رعىٰ إلاّ ذكره ؟ قال : وكيف حبك له فتنفس الصعداء وقال : حبي والله جديد لا يبيد وقد تمكن من شغاف الفؤاد إلى يوم المعاد وقد امتلأ من حبه صدري وفاض في جسدي وفكري ، فقال الأمويون : يا أمير المؤمنين أصبح عدي بعد صفين ذليلاً فبكىٰ عدي رحمه الله وأنشأ يقول :

يجادلني معاوية بن حرب	وليس إلى الذي يبغي سبيل
يذكرني أبا حسن علياً	وخطبي في أبي حسن جليل
فكان جوابه مني شديداً	ويكفي مثله مني القليل
وقد قال الوليد وقال عمرو	عدي بعد صفين ذليل
فقلت صدقتم قد هد ركني	وفارقني الذين بهم أصول
سيخسر من يواده ابن هند	ويربح من يواده الرسول

فقال معاوية لصاحب أذنه : أخرجه وادخل عليّ عامر بن وائلة

وكان يكنىٰ أبا الطفيل ، فلما دخل عليه رحب به معاوية فقال أصحابه من هذا الذي رحبت به يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا خليل أبي تراب وفارس أهل العراق وشاعرهم يوم صفين ، فقالوا : الأم فارس وأفحش شاعرنا لو أمنه فغضب أبو الطفيل وقال : أما والله يا معاوية ما هؤلاء سبوني ولا أدري من هم وإنما أنت شتمتني فأخبرني من هم وإلاَّ وحق علي شتمتك ؟ فقال معاوية : هذا عمرو بن العاص ، وهذا مروان بن الحكم ، وهذا سعيد بن العاص ، وهذا ابن أُختي . فقال أبو الطفيل : أما عمرو فانطقته جباية مصر ، وأما مروان وسعيد فانطقتهما جباية الحجاز ، وأما ابن أُختك فقد وهبته لك ، فقال معاوية : يا أبا الطفيل ما أبقى الدهر لك من حب علي ، قال : والله حب أُم موسىٰ لموسىٰ وأشكو إلى الله التقصير . قال : فما أبقىٰ لك الدهر من وجدك عليه ، قال : وجد العجوز المقلاة والشيخ الرؤوف ، قال : فما بقي من بغضك لنا ؟ قال : بغض آدم لإبليس لعنه الله .

فقال معاوية لصاحب أذنه أخرجه عني وادخل عليّ هانيء بن عروة المرادي ، فلما دخل قال له معاوية : يا هانيء أنت المائل مع علي بن أبي طالب والمحارب للمسلمين مع علي يوم صفين ؟ فقال له هانيء : أنى لك يا معاوية بالشرف الشامخ والمجد الباذخ وما كنتم إلاّ شضية يخطفها العرب حتى بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم فدان له العباد في جميع البلاد ، وأما خروجي عليك يابن هند فغير معتذر إليك منه ولو كنت رأيتك ذلك اليوم لنفدت رمحي بين خصييك والله ما أحببناك مذ أبغضناك ولا بعنا السيوف التي بها ضربناك ، فقال معاوية لصاحب أذنه : أخرجه عني وادخل عليّ صعصعة بن صوحان ، فلما دخل عليه نظر فإذا الرجال عليهم السلاح وقوف ومعاوية جالس على سريره ، فقال صعصعة : سبحان الله ولا إله إلاّ الله والله أكبر يرفع بها صوته ، فالتفت معاوية يمنة ويسرة فلم ير شيئاً يفزعه ، فقال : يا صعصعة ما أظنك تدري ما الله ؟ فقال : بلىٰ والله يا معاوية ربنا ورب آبائنا الأولين

وإنـه لبالمـرصاد من وراء العبـاد ، فقال معـاوية : يـا صعصعـة مـا كنت أحب أن تقوم هذا المقام حتى يصيبك ظفر من أظفاري ، قـال : وأنا يـا معاوية لقـد أحببت أن لا أحييك بتحيـة الخلافـة حتى تجري مقـادير الله فيـك ، فالتفت معـاوية إلى عمرو بن العاص وقـال : أوسـع لصعصعـة ليجلس إلى جانبك ، فقال عمرو : لا والله لا أوسعت لـه على ترابيتـه ، فقـال صعصعـة : نعم والله يـا عمـرو أني لتـرابي ومن عبيـد أبي تـراب ولكنـك مـارج من نـار منهـا خلقت وإليهـا تعـود ، ومنهـا تبعث إن شـاء الله . فقال معاويـة : يا صعصعـة والله إني هممت أن أحبس عطايـا أهل العـراق في هذه السنـة ، فقال صعصعـة : والله يا معـاوية لـو رمت ذلك منهم لدهمك مائة ألف أمرد على مائـة ألف أجرد وصيـروا بطنـك ميادين لخيولهم وقطعوك بسيوفهم ورماحهم ، قال فـامتلأ معـاوية غيـظاً وأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه وقـال : لقد أكـرمنا الله حيث يقـول لنبيه ﷺ: وانه لذكرى لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالىٰ : ﴿لإيلاف قريش ـ إلى قوله ـ ﴿وآمنهم من خوف﴾ ونحن قريش وقال تعالىٰ لنبيـه : ﴿وأنذر عشيـرتك الأقـربين﴾ ونحن عشيرتـه الأقربـون ، فقـال صعصعـة : على رسلك يـا معاوية فإن الله يقول : ﴿فكذب به قومك وهو الحق﴾ وأنتم قومه .

وقال تعالىٰ : ﴿وقال الرسول يا رب أن قـومي اتخذوا هـذا القرآن مهجوراً﴾ ولو زدت زدناك يا معاوية فافحمه .

قـال معاويـة لصاحب أذنـه : أخرجـه عني وأدخل عليّ خـالـد بن معمر السدوسي ، فلما دخل قال له معاوية : يا خالـد لقد رأيتـك تضرب أهل الشام بسيفك على فرسك الملهوب ، فقـال خالـد : يا معـاوية والله مـا ندمت على مـا كان مني ولا زلت على عـزيمتي أثني ومـع ذلـك إني عند نفسي مقصر والله المستعـان والمدبـر ، فقال لـه معاويـة : ما علمت يا خالد ما نذرت عند قدومك في قومك ؟ قـال : لا ، فقال : نـذرت أن أنذر مقاتلهم وأسبي نساءهم، ثم أفرق بين الأمهات والأولاد فيبايعـون ، فقال خالـد : وما تـدري ما قلت في ذلـك ؟ قال : لا ؟ قـال : فاسمعـه

مني فأنشأ يقول :

يروم ابن هند نذره من نسائنا ودون الذي يبغي سيوف قواضب

قال معاوية لصاحب أذنه : أخرجه عني وأدخل عليّ جارية بن قدامة السعدي وكان قصيراً ، فلما دخل قال له معاوية : يا جارية أركضت علينا الخيل يوم صفين في بني سعد تمنيهم الفتن وتحملهم على قـ-يمات الأحن مع قتلة أمير المؤمنين عثمان وقاتلت أم المؤمنين عائشة وما أنت إلاّ جارية ؟ فقالت الجارية : إن الله فضل على اسمك إسمي ، قال وكيف ذلك ؟ قال : لأن الجارية لا تكون إلاّ من أحياء العرب والمعاوية لا تكون إلاّ من أناث الكلاب ، وأما ما ذكرت من أمير المؤمنين عثمان فأنتم خذلتموه وقتلتموه والدار عند نازحة ، وأما أم المؤمنين عائشة فلما نظرنا في كتاب الله عزّ وجلّ ولم نجد لها علينا حقاً يلزمنا إلاّ أن تطيع ربها وتقر في بيتها ، فلما ألقت الجلابيب عن وجهها بطل ما كان لها علينا من حق ، وأما ركضي الخيل عليك يوم صفين فإنما ذلك حيث أردت أن تقطع أعناقنا عطشاً ، فلم ننظر في عاقبة ولم نخف جائحة فثنينا الخيل مع أقدم الناس إسلاماً وأحسنهم كلاماً وأعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه حين أراد جهادك على بصيرة وأنت على الحمية الجاهلية فإن أردت نريك مثل ذلك اليوم فخيلنا معدة ورماحنا محددة .

قال معاوية لصاحب أذنه : أخرجه وادخل عليّ شريك الحارثي ، فلما دخل وكان دميم المنظر ، فقال له معاوية : إنك شريك وما لله من شريك وإنك لأعور والصحيح خير من الأعور وإنك لابن الأصفر والأبيض خير من الأصفر وإنك مخالف والمستقيم خير من المخالف وإنك لدميم ولجميل خير من الدميم ، فكيف سدت قومك ؟ فقال شريك : إنك لمعاوية وما معاوية إلاّ كلبة عوت فاستعوت فاستنبحتها الكلاب ، فسميت معاوية وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر وابن حرب والسلم خير من الحرب وابن أمية وما أمية إلاّ أمة صغرتها

العرب ، فكيف صرت أمير المؤمنين علينا فأمر معاوية بإخراجه فخرج وهو يقول :

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من بني عمي رجال ضراغمة تهش إلى الطعان
يعير بالبدمامة من سفاه وربات الجمال من الغواني

قال : ثم نهض معاوية من مجلسه ودخل داره وفي اليوم الثاني دعى بهم فاحضروا وأكرمهم وردهم إلى أهليهم مكرمين :

وفود الوليد بن جابر الطائي على معاوية

قال المرزباني : كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم ، ثم صحب علياً عليه السلام وشهد معه صفين وكان من رجاله المشهورين ، ثم وفد على معاوية في أيام إستقامة الأمور له وكان معاوية يثبته معرفة بعينه فدخل عليه في جملة الناس ، فلما انتهى إليه إستنسبه فانتسب له فقال له : أنت صاحب ليلة الهرير ؟ قال : نعم ، قال : والله ما تخلو مسامعي من رجزك تلك الليلة وقد علا صوتك أصوات الناس وأنت تقول :

شدوا فداء لكم أمي وأب فإنما الأمر غداً لمن غلب
هذا ابن عم المصطفى والمنتجب تنميه للعلياء سادات العرب
ليس بموصوم إذا نص النسب أول من صلّى وصام واقترب

قال : نعم أنا قائلها ، فلماذا قلتها ؟ قال : لأنا كنا مع رجل لا يعلم خصلة توجب الخلافة ولا فضيلة تصير إلى التقدمة إلاّ وهي مجموعة له كان أول الناس سلماً وأكثرهم علماً وأرجحهم حلماً ، فأت الجياد فلا يشق غباره يستولي على الأمد ، فلا يخاف عثاره وأوضح منهج الهدى فلا يبيح مناره وسلك القصيد فلا تدرس آثاره ، فلما ابتلانا الله بافتقاده وحول الأمر إلى من يشاء من عباده دخلنا في جملة

المسلمين فلم ننزع يداً عن طاعة ولم نصدع صفات جماعة على أن لك منا ما ظهر وقلوبنا بيد الله وهو أملك بها منك ، فأقبل صفونا وأعرض عن كدرنا ولا تتركا من الأحقاد فإن النار تقدح بالزناد ، قال معاوية : وإنك لتهددني يا أخا طي بأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق ، فقال : يا معاوية الذين أشرقوك بالريق وحبسوك في المضيق وذادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف ودعوت إليها من صدق بها وكذبت وأمن بمنزلها وكفرت وعرف من تأويلها ما أنكرت . فغضب معاوية فأدار طرفه فيمن حوله فإذا جلهم من مضر ونفر قليل من اليمن ، فقال : يا أيها الشقي الخائن إني لا خال إن هذا آخر كلام تتفوه به وكان عفير بن سيف بن ذي يزن بباب معاوية فعرف موقف الطائي ومراد معاوية ، فخاف عليه فهجم الدار وأقبل علي اليمانية فقال : شاهت الوجوه ذلاً وقلا وجدعاً وفلا كثم الله هذه الآناف كثماً مرعياً ، ثم التفت إلى معاوية فقال : أي والله يا معاوية ما أقول قولي هذا حباً لأهل العراق ولا جنوحاً إليهم ولكن الحفيظة تذهب الغضب لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة يعني صعصعة بن صوحان وهو أعظم جرماً عندك من هذا وأذكىٰ لقلبك واقدح في صفاتك وأجد في عداوتك وأشد انتصاراً في حربك ، ثم أثبته وسرحته وأنت الآن مجمع على قتل هذا زعمت استصغاراً لجماعتنا بأنا لا نمر ولا نجلي ولعمري لو وكلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر وذكرك لداثر وحدك المفلول وعرسك المشلول فاربع على ظلعك واطونا على بلالتنا ليسهل لك حزننا ويتطأ من لك شاردنا فإنا لا نرام بوقع الضيم ولا نتلظ جرع الخسف ولا نعمر بغمار الفتن ولا ندر على الغضب ، فقال معاوية : الغضب شيطان فاربع نفسك أيها الإنسان فأنا لم نأت إلى صاحبك مكروهاً ولم نرتكب منه مغضباً ولم ننتهك منه محرماً فدونك صاحبك فإنه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره ، وقد وهبنا له عشرة آلاف دينار ، فقال : عفير لا والله لم يقبلها منك وبادر فأخذ بيد الوليد وخرج

به إلى منزله وقال له : والله لتأوبن بأكثر مما أب به معدى من معاوية وجمع من بدمشق من اليمانية وفرض على كل رجل دينارين في عطائه ، فبلغت أربعين ألفاً فتعجلها من بيت المال ودفعها إلى الوليد ورده إلى العراق مكرماً .

وفود عبدالله بن هاشم على معاوية

روى الزبير بن بكار أنه لما بعث معاوية زياداً على البصرة أمره أن يقرر من ينادي أن الناس من الأسود والأحمر في الأمان إلاَّ عبد الله بن هاشم المرقال : ومكث يطلبه أشد الطلب فما وجد له خبر ولا وقف منه على أثر حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له : يا أمير المؤمنين أنا أدلك على عبد الله بن هاشم أكتب إلى زياد فإنه عند فلانة المخزومية فدعى معاوية كاتبه فكتب من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان ، أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فأعمد إلى حي بني مخزوم وفتشه داراً داراً حتى تأتي دار فلانة المخزومية فاستخرج منها عبد الله بن هاشم المرقال فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده وغل يده إلى عنقه واحمله إليَّ على قتب بغير غطاء ولا وطاء وانفذه إليّ . فحمله زياد إلى معاوية كما أراد بعدما أقتحم حي بني مخزوم وأخرجه فوصل إلى الشام يوم الجمعة وقد لاقى نصباً كثيراً من الهجير ما نحل جسمه ، فلم يشعر معاوية إلاَّ وعبد الله بين يديه وقد ذبل وتغير وجهه فعرفه معاوية ولم يعرفه عمرو بن العاص ، فقال معاوية : يا أبا عبد الله أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا ابن الذي كان يقول يوم صفين :

أعور يبغي أهله محلاً ... قد عالج الحياة حتى ملا

فقال عمرو : وإنه لهودونك الضب المضب فاشخب أوداجه ولا رجعة إلى أهل العراق فإنهم أهل فتنة ونفاق وإن له مع ذلك هوى يرديه وبطانة تغويه ، فوالذي نفسي بيده لأن أفلت من حبائلك ليجهزن

عليك جيشاً يكثر صواهله بشر يوم لـك ، فقال عبـد الله وهو في القيـد : يابن الأبتر هلا كانت عندك هذه الحماسة يـوم صفين ونحن ندعـوك إلى البـراز وأنت تلوذ بشمائـل الخيل كـالأمة السـوداء أو كالنعجـة القوداء ، أما أنه إن قتلني معاوية فلقد قتل رجلاً كريم الخبـرة حميد المقـدرة ليس بالجبس المنكوس ، ولا الثلب المرفوس ، فقـال عمرو : دع عنـك كيت وكيت فلقـد وقعت بين لحيي لهـزم فـروس الأعـداء يسعـطك أسعـاط اللوذن الملجم ، فقـال له عبـد الله : أكثر اكثـارك فإني أعلمـك بطراً في الرخاء هيابة عند كفاح الأعـداء ترىٰ أن تقى مهجتـك بأن تبـدي سوئتـك أنسيت يـوم صفين وأنت تـدعـو إلى البـراز فتحيـد عن القتـال خـوفـاً أن يغمـرك وجال لهم أبـدان شـداد وأسنـة حـداد يتهبـون السـراج ويـذلـون العزيز ، قـال عمرو : قـد علم معاويـة أني شهدت تلك المـواقف فكنت فيهـا كـدرة الشـول ولقـد رأيت أبـاك المـرقـال في بعض تلك المـواقف تخفق أحشـائه وتنتق أمعـائه ، فقـال عبـد الله : لـو لقيـك أبي في ذلـك المقام لارتعدت منه فرائصـك ولم تسلم منه مهجتـك ولكنه قـاتل غيـرك فقتل دونك ، فقال معاويـة : ألا تسكت لا أم لك ، فقـال له عبـد الله : يـابن هند أتقـول لي هذا والله لئن شئت لأعـرقن جبينك ولأقيمنك وبين عينيك وسم تلين له أخداعاك أبـاكثر من المـوت تخوفني فقـال معاويـة : يكفي يـابن أخي ، وأمـر بـه إلى السجن . فكتب عمـرو إلى معـاويـة يقول :

أمـرتـك أمـراً حـازمـاً فعصيتني	وكـان من التوفيق قتـل ابن هـاشم
وكـان أبـوه يـا معـاويـة النـدي	رمـاك على حرت بحـز الغـلاصم
وقـاتلنـا حتى جـرت من دمـائنـا	بصفين أمثـال البحـور الخضـارم
وهــذا ابنـه والفـرع يشبـه أصله	ستقـرع أن أبـقيتـه شـر نـادم

فأجـابـه معاوية :

أرى العفـو عن عليا قـريش وسيلة	إلى اللّه في اليوم العصيب القماطر

ولست أرى قتلي الغداة ابن هاشم | بادراك ثاري في لـوي وعامـر
بـل العفو عنـه بعد مـا بان جـرمه | وزلت بـه إحدى الجـدود العوائـر
فكـان أبـوه يـوم صفين جمـرة | علينـا فـاردتـه رمـاح شهـابـر

ثم أطلقه فكاد عمرو بن العاص يموت غيظاً .

وفود ضرار بن ضمرة على معاوية

يحكى أن معاوية وفد عليه ضرار بن ضمرة وكـان من أصحاب أميـر المؤمنين عليه السلام ومن خـواصه وأراد أن يفتـك بـه ، فلمـا رأى زهـده وتقـواه واشتغاله بالآخرة عن دنياه عدل عن ذلـك وأراد امتحانـه فقال : صف لي عليـاً ؟ فقال : إعفني ، فقـال : أقسمت عليـك بحقـه إلاَّ مـا وصفتـه ، قال : أما إذا كان ولا بد فإنه والله كـان بعيد المـدىٰ شديـد القوي يقـول فصـلاً ويحكم عدلاً ينفجـر العلم من جوانبه وتنفلق الحكمة من لسـانه ، يستوحش من الدنيـا وزهرتهـا ، ويأنس بـالليل ووحشتـه كان صلوات الله عليه غزير الدمعـة طويـل الفكرة يعجبـه اللباس مـا خشن ومن الطعـام ما جشب ، كان فينا كأحدنـا يجيبنا إذا سـألناه ويـأتينا إذا دعـوناه ونحن والله مع تقربـه لنا وقـربه منـا لا نكاد نكلمـه هيبة لـه ، كان صلوات الله عليـه يعظم أهل الدين ويقرّب المسـاكين لا يطمـع القوي في بـاطله ولا ييأس الضعيف من عـدله ، وأني أشهـد بالله لقـد رأيته في بعض مـواقفـه وقـد أرخ الليـل سدولـه وغارت نجـومه قـابضاً على لـحيتـه يتملمـل تململ السليم ويبكي بكـاء الحـزين وهـو يقـول : يـا دنيـا غـري غيـري أبي تعـرضت أم إليّ تشوقت ؟ هيهـات قد طلقتـك ثـلاثـاً لا رجعـة لي فيهـا فعمرك قصير وخـطرك كبير وعيشـك حقير ، آه من قلّة الـزاد وبعد السفـر ووحشة الطريق ، فبكىٰ معاوية وقـال : رحم الله أبا الحسن قـد كان والله كـذلك فكيف حـزنك عليـه يا ضُرار ؟ قال : حـزن من ذبـح ولـدهـا فهي لا يـرقى دمعها ولا تخفى فجعتهـا فأمـر له بمـال جزيـل ، فلم يقبل منه شيئاً وانصرف وهو يندب أمير المؤمنين عليه السلام .

الوافدات على معاوية

من كتاب عقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي المالكي

وفود سودة بنت عمارة على معاوية قال الشهاب أحمد بن عبد ربه عن عامر عن الشعبي قال : وفدت سودة إبنة عمارة أخت الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه فاذن لها فلما دخلت عليه سلّمت فقال لها : كيف أنت يا أخت الأشتر ، قالت : بخير . قال لها : أنت القائلة الأبيات :

شمر كفعل أبيك يابن عمارة	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه	وأقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخا النبي محمد	علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لواءه	قدماً بابيض صارم وسنان

قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي ، قال : هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسىٰ ، قالت : صدقت والله ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخراً لتأتم الهداة به	كأنه علم في رأسه نار

وبالله اسأل إعفائي مما استعفيته ، قال : قد فعلت فقولي حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين إنك للناس سيّد ولأمورهم مقلّد والله سألك عما افترض عليك من حقنا ولا تزل تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة هذا ابن أرطأة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فأما عزلته فشكرناك وأما لا فعرفنك ، فقال معاوية : إياي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أدرك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم أنشدت تقول :

صلّىٰ الإلـه على روح تـضمنـه قبـر فـأصبح فيـه الحق مـدفـونـاً
قـد حـالف الحق لا يبغي له ثمناً فصـار بـالحق والإيمـان مقـرونـاً

فقال معاوية : ومن ذلك ؟ قـالت : ذلك سيـدي ومولاي علي بن أبي طالب ، قال : مـا أرى عليك منـه أثراً ؟ قـالت : بلى أتيته يـوماً في رجـل ولاه صدقـاتها فكـان بيننا مـا بين الغث والسمين فـوجـدتـه قـائمـاً يصلّي فانفتل من الصـلاة ثم قال بـرأفة وتعـطف : ألك حـاجة فـأخبرتـه خبـر الـرجـل ، فبكىٰ ثم رفـع يـديـه إلى السمـاء فقـال : اللَّهمَّ إني لم آمـرهم بـظلم خلقـك ولا تـرك حقـك ، ثم أخـرج من جيبـه قـطعـة من جـراب فكتب فيـه بسم الله الـرّحمٰن الـرّحيم : **﴿قـد جـاءتكم بينـة من ربكم فـأوفوا الكيـل والميزان ولا تبخسـوا الناس أشيائهم ولا تعثـوا في الأرض مفســدين بقيـة الله خيـر لكم إن كنتم مؤمنين ومـا أنـا عليكم بحفيظ﴾** إذا أتـاك كتـابي هـذا فـاحتفظ بمـا في يـديـك حتى يـأتي من يقبضـه منك والسـلام فعزلـه ما خـزلـه بخـزام ولا ختمـه بختـام ، فقـال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لهـا والعدل عليهـا ، فقالت : إليّ خـاصة أم لقومي عامة ؟ قال : ومـا أنت وغيرك ، قـالت : هي والله إذاً الفحشاء واللؤم إن كـان عدلاً شـاملاً وإلاَّ يسعني مـا يسع قـومي ، قال معـاويـة : هيهات لمظكم ابن أبي طالب الجرأة وغركم وهو قوله :

فلو كنت بـوابـاً على بـاب جنـة لـقلت لـهمــدان ادخـلوا بســلام
نـاديت همـدان والأبـواب مغلقة ومثـل همـدان سنى فتحـة البـاب
كـالهنـد وإني لم تفلل مضـاربـه وجــه جميـل وقلب غيـر وجـاب

اكتبوا لها بحاجتها .

وفود بكارة الهلالية على معاوية

قال الشهاب أحمـد بن عبد ربـه المالكي : عن محمـد بن عبد الله الخزاعي عن الشعبي قال : استـأذنت بكارة الهـلالية على معـاوية فـأذن لهـا وهو يـومئذ بـالمدينـة فدخلت عليـه وكـانت إمـرأة قـد أسنت وغشى

بصرها وضعفت قوتها ترعش بين خادمتين لها ، فسلّمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال : كيف أنت يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : غيرك الدهر ؟ قالت كذلك هو ذو غير من عاش كبير ومن مات فقيد ، قال عمرو بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيد دونك فاتخذ من دارنا سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنت أدخره ليوم كريهة فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال مروان هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابن هند للخلافة مالكاً هيهات ذاك وإن أراد بعيد
منتك نفسك في الخلافة ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد

وقال سعيد بن العاص : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أُمية خاطبا
واللّه أخر مدتي فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا فقالت : يا معاوية نبحتني كلابك وكلامهم أغشىٰ بصري وقصر حجتي أنا والله القائلة ما قالوا وما خفي عليك مني أكثر فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك أذكري حاجتك ، قالت : لا حاجة لي عندك وخرجت .

وفود الزرقاء على معاوية

قال الشهاب أحمد بن عبد ربه المالكي : عن عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : حدثني جماعة من بني أُمية ممن كان يسمر مع معاوية قال : بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدي بن قيس الهمدانية وكانت شهدت مع قومها حرب صفين فقال : إيكم يحفظ كلامها ، قال بعضهم نحن نحفظه يا

أمير المؤمنين ؟ قال : فأشيروا علي في أمرها ؟ قالوا : أقتلها ، فقال : بئس الرأي أشرتم به علي فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وأن يمهد لها وطاء لينا ويسترها بستر خصف ويوسع لها بالنفقة فأرسل إليها فاقرئها الكتاب فقالت : إن كان جعل الأمر إليّ فإني لا آتيه وإن كان حتم فالطاعة أولى فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به ، فلما دخلت على معاوية قال مرحباً وأهلاً قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : كيف كنت في مسيرك ؟ قالت : ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً ، قال : بذلك أمرناهم أتدرين لِم بعثنا إليك ؟ قالت : أنى لي بعلم ما أعلم ؟ قال : ألست الراكبة الجمل الأحمر يوم صفين والواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب ، فما حملك على ذلك ؟ قالت : مات الرأس وبتر الذنب ولم يعد ما ذهب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر ، قال لها معاوية : أتحفظين كلامك يومئذ ؟ قالت : لا والله لا أحفظه ولقد نسيته ، قال : لكني أحفظه الله أبوك حين تقولين أيها الناس ارعوا وارجعوا إنكم قد أصبحتم في فتنة غشيتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحبة ، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لنا عقها ولا تنساق لقائدها إن المصباح لا تضيء في الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر ولا يقطع الحديد إلاّ الحديد من إسترشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ، أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبراً يا معشر المهاجرين على الغصص فكأن قد إندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا يجهلن أحد فيقول كيف وانى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء، لهذا اليوم وما بعده والصبر خير في الأمور عواقباً إيهاً في الحرب قدماً غير ناكصين ولا متشاكسين . ثم قال لها : يا زرقا لقد شركت علياً في كل دم سفكه ، قالت : أحسن الله بشارتك وأدام

سلامتك فمثلك يبشر بالخير ويسر جليسة ، قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم والله لقد سررت بالخير فإني لك بتصديق الفعل فضحك معاوية وقال : والله لوفائكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته وأمر لها ولمن معها بجوائز وانصرفت عنه .

وفود أم سنان بنت جشمة على معاوية

قال الشهاب أحمد بن عبد ربه المالكي : عن سعيد بن أبي حذافة قال : حبس مروان وهو والي المدينة غلاماً من بني ليث في جناية جناها فأتته جدة الغلام وهي أم سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية فكلمته في الغلام فاغلظ مروان ، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال : يا ابنة جشمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتمينا وتحضين علينا عدونا فقالت : إن لبني عبد مُناف أخلاقاً طاهرة وأحلاماً وافرة لا يجهلون بعد علم ولا يسفهون بعد حلم ولا ينتقمون بعد عفو ، قال : صدقت نحن كذلك فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا ... إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد ... أن يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مظفراً ... والنصر فوق لوائه لا يفقد

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين وارجو أن تكون لنا خلفاً فقال رجل من جلسائه وهي القائلة :

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل ... بالحق تعرف هادياً مهدياً
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت ... فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً كما ... أوصى إليك بنا فكنت وفياً

قالت : إن هذا اللسان صدق وقول نطق وقد والله ما ورثك

الشنآن في قلوب المسلمين إلاَّ هؤلاء فادحض مقالتهم وأبعد منزلتهم فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ومن المؤمنين حباً ، قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله مثلك مدح بباطل ولا أعتذر إليه بكذب وإنك تعلم ذلك من رأينا كان والله علي أحبّ إلينا منك وأنت أحب إلينا من غيرك ، قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص . قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك وكريم عفوك ، قال : فإنهما يطمعان في ذلك فما حاجتك ؟ قالت : أن مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة يتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن أبني فأتيته فقال : كيت وكيت فاسمعته أخشن من الحجر والقمته أمر من الصاب . ثم رجعت إلى نفسي بالائمة وقلت لم لا أصرف ذلك لمن هو أولىٰ بالعفو عنه فأتيتك لتكون في أمري ناظراً قال : صدقت اكتبوا لها بإطلاقه .

وفود عكرشة بنت الأطرش على معاوية

قال الشهاب أحمد بن عبد ربه المالكي : عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة قال : دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكأة على عكاز فسلّمت عليه بالخلافة ، ثم جلست فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ليس بحي قال : ألست المقلدة حمائل السيوف بصفين وأنت واقفة بين الصفين تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم أن الجنة لا يرحل من أوطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم مستظهرين الصبر على طلب حقهم إن معاوية جاء إليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم إلى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله

إيـاكم والتواكـل ، فإن ذلـك ينقض عن الإسلام ويطفيء نـور الحق هذه الصغـرى والعقبة الأخـرىٰ ، يا معشـر المهاجـرين والأنصار أمضـوا على بصيرتكم وأصبروا على عـزيمتكم فكأني بكم غـداً وقد لقيتم أهـل الشام كالحمر الناهقة تصقـع صقع البعيـر فما حملك على ذلـك ؟ فقالت : يـا معاوية إنه كانت صـدقاتنـا تؤخذ من أغنيـائنا فتـرد على فقرائنـا والآن قد فقـدنا ذلـك ، فما يجبـر لنا كسيـر ولا ينعش لنا فقيـر فإن كـان ذلك عن رأيـك فمثلك يتنبه عن الغفلة ويـراجع التـوبة وإن كـانت عن غيـر رأيـك فما مثلك إستعان بالخونـة ولا استعمل الـظلمة ، قـال معاويـة : يا هـذه إنه ينوبنا عن أمور رعيتنـا أمور تنبثق وبحـور تنفهق ، فقالت : يـا سبحان الله والله مـا فـرض الله لنـا حقـاً فجعله ضـرراً على غيـرنـا وهـو عـلام الغيـوب ، قال معـاوية : يـا أهل العـراق نبهكم علي بن أبي طـالب فلم تطاقوا ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإتصالها .

قصة دارمية الحجونية مع معاوية

قال الشهاب أحمد بن عبد ربـه المالكي : عن سهـل التميمي عن أبيـه قـال : حـج معـاويـة فسأل عن امـرأة من بني كنـانـة كـانت تنـزل بـالحجون يُقـال لها دارميـة وكانت سـوداء كثيرة اللحم فـاخبر بسـلامتهـا فبعث إليهـا فجيء بها فقـال :ما جاء بك يا ابنة حام ؟فقالت: لست لحام وإنمـا أنا امرأة من بني كنانـة ، قال : صـدقت أتدرين لِم بعثت إليـك ، قـالت : لا يعلم الغيب إلاّ الله قـال : بعثت إليـك لأسـألـك على ما أحببت علياً وابغضتني وواليته وعـاديتني ؟ قالت : أو تعفيني ؟ قـال : لا أعفيـك ، قالت : أمـا إذا أبيت فإني أحببت علياً على عدلـه في الرعيـة وقسمته بالسوية وابغضتك على قتال من هو أولىٰ منك بـالأمر وطلبتـك ما ليس لـك بحق وواليت علياً على مـا عقد لـه رسول الله ﷺ من الـولاء وحبـه المساكين وإعـظامه لأهـل الدين وعـاديتـك علىٰ سفكـك الـدمـاء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى ، قال : فلذلك انتفخ بـطنك وعـظم ثـدياك وورمت عجيـزتك ؟ قـالت : يا هـذا بهندامـك والله كـان يضـرب

المثل في ذلك لا بي . قال معاوية : يا هذه إربعي فإنا لم نقل إلاّ خيراً إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها وإذا عظم ثدياها تروي رضيعها وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها ، فرجعت وسكتت قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : أي والله ، قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك ، قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم والله كان كلامه يجلو القلوب من العمىٰ كما يجلو الزيت صدى الطست . قال : صدقت فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها ، قال : ماذا تصنعين بها ؟ قالت : أغذر بألبانها الصغار واستحيي بها الكبار وأكتسب بها المكارم وأصلح بها العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب ؟ قالت : سبحان الله ولا دونه فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعـد بـالحلم مني عليكم ... فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ما جد ... جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما والله لو كان علي حياً ما أعطاك منها شيئاً ؟ قالت : لا والله العظيم ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

وفود أم الخير بنت حريش على معاوية

قال أحمد بن عبد ربه المالكي : عن عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقي برحلها واعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فاقرأها كتابه فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري ، فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها : يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بالخير

خيراً وبالشر شراً فما لي عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطمعك برك بي إن أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتي بك إن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساءه فسلمت عليه بالخلافة فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير بحق دعوتني بهذا الاسم أم بالباطل ؟ فقالت : لكل أجل كتاب . قال : صدقت فكيف حالك يا خالة وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : بخير وعافية ، فقال : بحسن نيتي ظفرت بكم ، فقالت : يا معاوية أعيذك من دحض المقال وما تؤدي عاقبته إلى الزوال ، قال : ليس هذا أردنا فأخبريني كيف كان كلامك إذ قتل عمّار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة ، فإن أحببت أن أحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت . فقال معاوية لجلسائه : إيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها . قال : هات . قال : كأني بها وهي على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول : أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، إن الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم في عمياء مدلهمة فأين تريدون رحمكم الله أفراراً عن أمير المؤمنين أم فراراً من الزحف أم رغبة عن الإسلام أو إرتداداً عن الحق ، أما سمعتم الله جلّ ثناؤه يقول : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ ، ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللّهمّ قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع اللّهمّ بها الكلمة على التقوىٰ وألف القلوب إلى الهدىٰ وأردد الحق إلى أهله هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والرضي التقي ، والصديق الأكبر ، إنها أحن بدرية وأحقاد جاهلية ، وثب بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس .

ثم قالت : قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون

صبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعما قليل ليصبحن نادمين متى تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ولات حين مناص إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق وتعطل الحدود وتقوىٰ كلمة الشيطان فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله وصهره وأبي سبطيه خلق من طينته وتفرع من نبعته وجعله باب دينه وأبان بعضه المنافقين ، وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الأصنام صلّىٰ والناس مشركون وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزيه وافنىٰ أهل أُحد وهزم الأحزاب وقتل الله به أهل خيبر وفوق به جمع أهوائهم فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً وردة وشقاقاً وإزدادت المؤمنين إيماناً قد اجتهدت بالقول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال معاوية : يا أُم الخير أراك ما أردت لهذا الكلام إلاَّ قتلي ولو قتلتك ما خرجت في ذلك ؟ قالت : والله ما يسوئني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه ؟ قال : هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان ؟ قالت : وما عسيت أقول في عثمان استخلفه الناس وهم به راضون وقتلوه وهم له كارهون ، فقال لها : هذا ثناؤك ؟ قالت : ما أردت نقصاً قد كان سابقاً إلى الخير وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال : فما تقولين في الزبير ؟ قالت : وما أقول في عمه النبي فاسألك بحق الله يا معاوية أن تعفيني من هذه المسائل ، قال : قد أعفيتك وأمر لها بجائزة .

وفود أروى بنت الحرث بن عبد المطلب على معاوية :

قال أحمد بن عبد ربه المالكي : عن العباس بن بكار قال: حدّثني

عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي أن أروى بنت الحرث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا خالة فكيف كنت بعدنا ؟ فقالت : يابن اخي لقد كفرت يد النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير إسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ ، فاتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا ﷺ هو المنصور فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابته ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وكان عليّ بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار ، فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك ، فقالت له : وأنت يابن النابغة تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكة وأخذهن الأجرة ادعاك خمسة نفر من قريش ، فسألت أمك عنهم فقالت : كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فالحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت ، فقال مروان : كفى أيتها العجوز واقصري لما جئت له ؟ فقالت : وأنت يابن الزرقاء تتكلم ، ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ما جرأه عليّ هؤلاء غيرك فإن أمك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لي عن عتبة من صبري وشكر وحشي علي دهري
حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها بنت عمي :

خزيت في بدر وغير بدر يابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك ؟ فقالت : ما لي إليك حاجة وخرجت عنه. هذا آخر ما نختم به كتابنا هذا ونسأل الله تعالىٰ العصمة من الضلال والموت على هدى محمد المصطفىٰ وآله وهو حسبنا ونعم الوكيل

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

الفهـرس